

2020
1.1.2019

جورج سوندرز

لينكون في البارديو

الرواية الفائزة
بجائزة مان بوكر
2017

ترجمة: أحمد حسن المعيني



لينكون في البارادو

رواية

جورج سوندرز

ترجمة: أحمد حسن المعيني



ليتكون في البارديو

لينكون في البارود / رواية

جورج سوندرز

ترجمة أحمد حسن المعيني

الطبعة الأولى 1440 / 2019

ردمك 978-1-947836-25-9

Copyright © 2017, George Saunders

All rights reserved



دار أثر للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الدمام

تلفون: 00966505774560

الموقع الإلكتروني: www.darathar.net

البريد الإلكتروني: info@darathar.net

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو
الكترونية أو ميكانيكية.. بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على
أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى.. بما فيها حفظ
المعلومات أو استرجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

إلى كيتلين وأليينا

الجزء الأول

يوم زفافنا كنت أبلغ من العمر ستة وأربعين عامًا، وهي في الثامنة عشرة. ستقولون إنه رجل مسنّ (ليس نحيفًا، يعاني من بعض صلّع، أعرج، وبأسنان خشبية) يريد أن يمارس حقوقه الزوجية، أن يغرس الموت في جسد تلك الشابة المسكينة...

لكنّ الذي تفكّرون فيه غير صحيح.

لِعلمكم، هذا بالضبط ما رفضتُ أن أفعله.

في ليلة عرسنا تلكاُت على السلام، وأنا أصعد بوجهي المحمرّ من أثر الرقص والشراب، فوجدتها متأنقة برداء متخفف أوصتها إحدى عمّاتها أن ترتديه. كانت ياقته الحريرية ترفرف، فيما هي ترتعد... ولم أستطع أن أفعلها.

أخذتُ أحدثها بلطف، وقلتُ لها صادقًا ما كنتُ أشعر به في قلبي، قلت لها إنها جميلة. أما أنا فكنتُ رجلاً مسنّاً ودميماً ومُستهلكًا. كان اقترانًا غريبًا هذا الذي تمّ بيننا، اقترانًا لا يقوم على الحب، بل على المصلحة. فأبوها كان رجلاً فقيرًا، وأمها ترقد على فراش المرض. لهذا السبب وحده كانت هنا. كنتُ أدرك هذا تمامًا، ولذلك لم يكن في نيّتي أن ألمسها. هكذا قلت لها حين رأيت خوفها... «نفورها». نعم، كانت هذه هي الكلمة التي قلتها.

راحت توكّد لي أنها لم تكن تشعر بـ«النفور»، غير أنني رأيت وجهها (الأبيض المتورّد) يلتوي من أثر الكذب.

اقترحت عليها أن نكون.. صديقين. أن نتصرف أمام الآخرين وكأننا

قد أتممنا زيجتنا. طلبتُ منها أن تتحرر من أي ضغط، وأن تستمتع بحياتها الجديدة في بيتي، وأن تسعى لأن يكون بيتها هي أيضًا. ومن ناحيتي لن أنتظر منها شيئًا أكثر من ذلك.

هكذا عشنا. أصبحنا صديقين، صديقين مقرّبين. لم يحدث أكثر من ذلك، لكنه بالنسبة إليّ كان شيئًا كبيرًا. كنا نضحك معًا، نقرّر احتياجات البيت معًا، وقد تعلمتُ منها أن أعامل الخدم معاملةً أفضل، وأن أقلل من الحديث إليهم دون اكتراث كما كنتُ أفعل سابقًا. كانت تتحلّى بذوق رفيع، فاستطاعت أن تجدد الغرف بكلفةٍ أقل بكثير مما هو متوقع. حُبّها الذي يُشرق حين أدخل، وانحناءها عليّ حين نتناقش في أمور البيت، هذه الأشياء غيرت حياتي إلى الأفضل بطريقةٍ لا أستطيع حتى أن أشرحها. لقد كنتُ سعيدًا، سعيدًا للغاية، غير أنني كثيرًا ما وجدتُ نفسي أردد في سري بنبرة رجاءٍ عفوية: إنها هنا، ما تزال هنا. بدا الأمر كما لو أنّ نهرًا دافقًا غير مجراه إلى بيتي، فغمره برائحة الماء الزلال، ويأدراك أنّ شيئًا باذخًا، وطبيعيًا، وآسرًا كان دائمًا يجري على مقربة.

ذات يوم على مائدة العشاء، ودونها سابق إنذار، وأمام نفر من أصدقائي، أخذت تكيل لي المديح... فقالت إنني إنسان خير أراعي الآخرين، ذكي، وطيب.

ولما التقت أعيننا رأيتُ أنها كانت تتحدث بصدق.

في اليوم التالي تركتُ لي رسالة على طاولتي. تقول في رسالتها إنه على الرغم من الحياء الذي يمنعها من التعبير عن شعورها فعلاً أو كلامًا، إلا أنّ طبيعتي نحوها أفضت إلى نتيجة إيجابية جدًا؛ فقد كانت سعيدة ومرتاحة للغاية في بيتنا، وكانت راغبة -على حدّ قولها- في «نقل سعادتنا إلى حدود العلاقة الحميمة التي ما أزال حتى الآن غريبة عنها». هكذا طلبتُ مني أن أخذ بيدها في هذا الأمر، مثلما كنتُ أخذ بيدها في «كثير من شؤون الكبار».

قرأتُ الرسالة، وذهبتُ إلى مائدة العشاء. وجدتها هناك متوهجة. تبادلنا نظرات صريحة على مرأى من الخدم، مبتهجين بما استطعنا أن نحققه بعد بدايات لم تكن مبشرة.

في تلك الليلة، على سريرها، حرصتُ على ألا أبدو مختلفًا عما كنت عليه في سابق الأيام؛ أي أن أبدي لها اللطف نفسه، والاحترام والمراعاة. كانت أشياء قليلة تلك التي فعلناها، ما بين قبلات وأحضان، ولكن لكم أن تتخيلوا حجم المشاعر التي اندفعت على حين فجأة. فكل واحد منا شعر بذلك المد المتصاعد من الشبق (نعم، بالتأكيد كان شبقًا)، لكنه شبق ينهض على عاطفة قوية متمهلة بينها معًا، في علاقة مفعمة بالثقة، طويلة الأمد، وحقيقية. لم أكن رجلاً تنقصه التجارب، فقد كنتُ طائشًا في شبابي، ولا أنكر أني قضيتُ وقتًا غير يسير في «زقاق ماريل»، و«باند بوكس» و«وولفس دن»⁽¹⁾. كما أنني خيرتُ الزواج من قبل، وكان زواجًا سعيدًا.. غير أن هذا الشعور له قوة جديدة تمامًا لم أعرفها من قبل.

كان الأمر مفهومًا بيننا دون تصريح أننا سوف نستكشف ذلك «العالم الجديد» في الليلة التالية، فذهبتُ إلى مطبعتي في الصباح، أصارع قوة كانت تدفعني إلى البقاء في المنزل.

ذلك اليوم نفسه.. للأسف.. كان يوم العارضة الخشبية.

نعم، نعم. يا له من حظ!

عارضة خشبية سقطت من السقف، فهوت عليّ، هنا بالضبط، فيما كنتُ جالسًا على مكتبي. لذلك اضطررنا بالطبع إلى تأجيل ما كنا مقبلين عليه، إلى أن أتعافى. وبناءً على نصيحة الطبيب فقد توجهتُ إلى —

1 - زقاق معروف ببيوت الدعارة في واشنطن في تلك الأيام، و«وولفس دن» بيت دعارة معروف أيضًا. (المترجم).

وأتفق على أن شيئًا يشبه صندوق المرضى.. قيل إنه سيكون—

هانز فولن

مفيدًا.

روجر بيفنز الثالث

مفيدًا، نعم. شكرًا يا صديقي.

هانز فولن

على الرحب والسعة.

روجر بيفنز الثالث

ها أنذا ممددٌ هناك، في صندوق المرضى، يتتابني شعور بالبلاهة في تلك الصالة، الصالة نفسها التي ذرعناها مؤخرًا إلى غرفة نومها (بابتهاج، وضميرٍ واخز، يدًا بيد). حينها عاد الطبيب، وحمل مساعدوه صندوق المرضى إلى عربة المرضى، فأدركتُ أن... أن ما كنا مقبلين عليه سوف يؤجل إلى حينٍ غير معلوم. يا لخيبة الأمل! متى سأدرك المتعة الكاملة في فراش الزوجية؟ متى سألمس جسدها العاري؟ متى ستلتفت إليّ بتلك الهيئة، بالشفقتين الجائعتين والوجنتين المتوردتين، ومتى سينهمر أخيرًا شعرها المنساب لِعوبًا حولنا؟

بات واضحًا أننا سوف ننتظر إلى أن أتعافى تمامًا.

شيء بغيض ولا شك.

هانز فولن

كل أمر يهون يا صديقي.

روجر بيفنز الثالث

صحيح.

أعترف أنني لم أكن أقرّ بذلك حينها. ففي ذلك الوقت، هناك على عربة المرضى، وقبل أن يقيدوني، خطر لي أنه باستطاعتي مغادرة صندوقي برهة، فأجوب المكان مسرعًا حتى أخلف عاصفةً من الغبار ورائي، وربما أحدث شقًا في مزهرية على الرواق. لكنّ زوجتي وذاك الطبيب لم يلاحظا شيئًا عليّ، فيما كانا يتناقشان بجديّة في أمر إصابتي. لم أستطع أن أحتمل أكثر، وأعترف أنني رحّْتُ في سورة غضب، وعبرتُ في أجساد الكلاب وأوحيتُ في كلّ واحدٍ منها أضغاث أحلام عن دبّ، فولّت مُدبرة وهي تنبح. كان بمقدوري أن أفعل ذلك! يا لها من أيام! أما الآن فعجزني عن الإيحاء للكلاب بشيء أشبه بعجزني عن دعوة صديقنا الصغير الصامت هذا إلى العشاء!

(يبدو صغيرًا، أليس كذلك سيد بيفنز؟ في معالمة؟ في هيئته؟).

على أية حال، عدتُ إلى صندوقي، وأخذتُ أبكي على النحو الذي عرفناه وألفناه. هل عرفته أيها الصغير؟ حين نكون مستجدّين في ساحة المشفى هذه أيها السيد الصغير، ونشعر برغبة في البكاء، يصيبنا شيء من التوتر، وألم شديد في المفاصل، وأشياء صغيرة تندفق داخلنا. في بعض الأحيان قد نتغوّط قليلًا. وهذا ما حدث بالضبط، هناك فوق العربة ذلك اليوم، فقد

تغوّطتُ لفرط غضبي وأنا ما أزال جديدًا في صندوقي. فماذا استفدت؟ ظلّ ذلك البراز معي في مكانه. وأرجو ألاّ تعتبر ما سأقوله قلة ذوق أو مدعاة للنفور مني يا سيدي الصغير، أرجو ألاّ يؤثر ذلك على صداقتنا الجديدة، إلاّ أنّ ذلك البراز ما يزال هنا، في صندوقي، لكنه متبيّس!

يا إلهي! هل أنت طفل؟

إنه طفل، أليس كذلك؟

هانز فولمن

بلى، يبدو كذلك.

ها هو.

يكاد يكتمل تكوينه الآن.

روجر بيغنز الثالث

آسف جدًّا. يا إلهي، ألا يكفي أن تكون محشورًا في صندوق مرضى وأنت ما تزال طفلًا، ثم تُضطر إلى سماع رجل كبير يسترسل في الحديث عن براز متبيّس في صندوق؟ بنس الطريقة لدخول المرء في بداية الـ...، أه—

إنه صبيّ. مجرد صبيّ. يا إلهي!

آسف جدًّا.

هانز فولمن

قالت لي السيدة لينكون: «أتدريين، يُنتظر من الرئيس أن يقيم سلسلة من حفلات العشاء الرسمية كل شتاء، وهي مكلفة للغاية. ولكن إن أقمْتُ ثلاث حفلات استقبال كبيرة، فلن تعود هناك ضرورة لتلك الحفلات الرسمية. ليتني أستطيع أن أقنع السيد لينكون بهذا الرأي، وسأتكفل بالباقي».

وقال الرئيس: «أظنك على حق. أحسنتِ الرأي، وأرى أن ينبغي علينا اتخاذ القرار فيما يخص حفلات الاستقبال».

هكذا قُضي الأمر، وبدأت الترتيبات لحفل الاستقبال الأول.

“Behind the Scenes or Thirty Years a Slave and Four Years in the White House” (Elizabeth Keckley)

انتقد المعارضون حفلات البيت الأبيض، ورفض العديد حضورها. وقيل إن (بن ويد) أرسل اعتذارًا شديد اللهجة قال فيه: «أفلا يدرك الرئيس والسيدة لينكون أن رحي الحرب الأهلية ما تزال دائرة؟ إن لم يكونا مدرّكين، فالسيد والسيدة ويد يدركان الأمر، ولهذا السبب يرفضان أن يشاركا في احتفال ورقص».

“Reveille in Washington, 1860-1865” (Margaret Leech)

أما الطفلان (تاد) و (ولي) فقد ظلّا يتلقيان الهدايا واحدة بعد الأخرى. كان ولي سعيدًا جدًّا بالمهر الصغير الذي حصل عليه، حتى أنه أصرّ على

امتطائه كل يوم. كان الطقس متقلبًا، ولذلك أصيب ولي بنزلة بردٍ شديدة تطوّرت إلى حمّى.

(Keckley, op. cit.)

كان ولي يشتعل حرارةً من أثر الحمّى في ليلة الخميس، في الوقت الذي كانت فيه أمه ترتدي ملابسها للحفل. كان يتنفس بصعوبة، وكانت ترى أن رثتيه تضيقان أكثر فأكثر، ففزعت.

“Twenty Days” (Dorothy Meserve Kunhardt and Philip B. Kunhardt Jr.)

تعرّض حفل [الرئيس وحرمه] إلى هجوم شرس، غير أن جميع الشخصيات المهمة حضرت.

(Leech, op. cit.)

لم يكن بإمكان أحد أن يمدّ بصره طويلاً وسط ذلك الزحام؛ فالمرء لا يملك إلا أن يتحرّك مشدوهاً عبر سوق متنوعة من الروائح والكولونيات والعمّور والمرائح والباروكات والقبعات والوجوه العابسة، فيما الأفواه فاغرة في صيحات مفاجئة، يصعب القول ما إذا كانت سعيدة أم مفزوعة.

“All This Did I See: Memories of a Terrible Time” (Mrs. Margaret Garrett)

أحضرت زهور عجيبة من المستنبت الرئاسي، ووضعت في مزهرية تلو أخرى كلّ بضعة أقدام.

(Kunhardt and Kunhardt, op. cit.)

كان من بين الحضور لفيف من أعضاء السلك الدبلوماسي: (اللورد ليونز)، و(م. ميرسير)، و(م. ستويكل)، و(فون ليورغ)، و(السينيور تسارا)، و(الكونت باير)، و(النيل بيرتيناقي)، وغيرهم.

(Leech, op. cit.)

كانت ثمة ثريّات متعدّدة الطبقات ترسل أضواءها في القاعة الشرقية،
فوق سجّاد أخضر كزبد البحر.

“Rise to Greatness” (David Von Drehle)

تناهت ثرثرة لغاتٍ مختلفة من الأوروبيين في القاعة الزرقاء، حيث كان
الجنرال مكدويل) يتحدث بفرنسيته الطليقة.

(Leech, op. cit.)

كان ثمة حضور من كل بلد، وعرق، ورتبة، وعُمر، وطول، وعرض،
وحِدّة صوت، وتصفيغة شعر، ووقفة، وعطر. قوس قزح حلّ في هذا
المكان، يصدح بلهجاتٍ متعدّدة.

(Garrett, op. cit.)

كان هناك أعضاء من الحكومة، ومجلس الشيوخ، ومجلس النواب،
ومواطنون مرموقون، ونساء جميلات من كل ولاية تقريباً. وكان هناك بضعة
ضباط من الجيش رتبهم أدنى من قائد فرقة. كما حضر الأمراء الفرنسيون،
والأمير (فيلكس سالم سالم)، وهو نبيل بروسّي وضابط في سلاح الفرسان
تحت إمرة (الجنرال بلنكر)...

(Leech, op. cit.)

...الألمانّي المختال (سالم سالم)، والأخوان (وتني) (وهما توأم لا تكاد
تفرّق بينهما لولا أنّ أحدهما يعلّق شريطة نقيب والآخر شريطة ملازم)،

والسفير (ثورن تُولي)، والسيد (فيسندن) وحرّمه، والروائية (إما دوروثي ساوثوورث)، و(جورج فرانسيس ترين) وزوجته الجميلة (في ذلك الوقت راجت مقولة «في نصف عمره وضعف قامته»).

(Garrett, op. cit.)

وقفت زمرة من الرجال المسنين شبه تائهين بين تنسيقات الزهور الضخمة، منشغلين في نقاش مهمّ، ورؤوسهم مائلة. وهؤلاء هم (أبراناثي) و(سيفيل) و(كورد)، وجميعهم سيموتون خلال هذا العام. أما الأختان (كاستن) الطويلتان الشاحبتان تمامًا، فقد وقفتا على مقربة، مثل بئر من المرمر تسعى إلى الضوء، في محاولة لاستراق السمع.

“The Union Citadel: Memories and Impressions” (Jo Brunt)

وعند الحادية عشرة، كانت السيدة لينكون تقود حفل الرقص إلى القاعة الشرقية، وهي تتأبط ذراع الرئيس.

(Leech, op. cit)

وفيما كنا نندفع إلى الأمام، استعرض رجل غير معروف رقصةً جديدة، رقصة «الميري جِم». وبعد إلحاح من أولئك المتحلّقين حوله كرّرها ثانية فصفقوا له.

(Garrett, op. cit.)

علت قهقهات صاخبة حين اكتُشف أنّ خادماً قد أقفل قاعة الطعام الرئاسية وأضاع مفتاحها. صاح أحدهم مازحاً: «أنا مع حركة التقدّم!». وقال آخر مقلداً خطبةً حديثة في الكونغرس: «التقدّم لا يرده إلا حماقة القادة».

(Leech, op. cit.)

خطر لي أنّ هذا بالضبط هو المجتمع البشري المنفلت الذي ساق أمةً مسلّحة - وهو مدفوع بحكمة جمعيّة بليدة - إلى ضربٍ غير مألوف من الطوفان القتاليّ: كائن هائل متخبّط، يمشي ببصيرة جريٍ غير مدزّب. من رسائل ألبرت سلون الخاصة، بإذن من أسرة سلون.

لم تكمل الحرب عامها الأول بعد. ولم نكن نعرف وقتها ما هي بالضبط.

“A Thrilling Youth: A Civil War Adolescence” (E.G. Frame)

حين عُثر على المفتاح أخيراً وتدقّق الضيوف الكرام، كان للسيدة لينكون أن تشعر بالفخر بروعة الطعام.

(Leech, op. cit)

كان طول القاعة أربعين قدمًا وعرضها ثلاثين قدمًا، زاهية جدًا بألوانها حتى أنها بدت ممتلئة قبل أن يدخلها أحد.

“The Lincolns: Portrait of a Marriage” (Daniel Mark Epstein)

تدققت أنواع النبيذ والمشروبات الكحولية، وامتلأت طاسة «البَنش» اليابانية بعشرة غالونات من بَنش الشمبانيا.

(Leech, op. cit)

أسندت السيدة لينكون وليمة العشاء إلى متعهد الولائم المعروف (هيردت) من «نيويورك». وقد أشيع بأن الكلفة كانت أكثر من عشرة آلاف دولار. كان هناك اهتمام بكلّ التفاصيل، فالثريات مكللة بالزهور، والموائد مزخرفة بأوراق الورد المنثورة على مرايا مربعة.

(Brunt, op. cit)

إنه استعراض شره ومُفرط في أوقات حرب.

(Sloane, op. cit)

كانت (إلسا) مشدوهة، واكتفت بالضغط على يدي. يتتابك شعور بأنّ الأسلاف أكرموا في مراقدهم. يا له من كرم! وما أطيّب مضيّقينا العزيزين!

“Our Capital in Time of War” (Petersen Wickett)

في قاعة الطعام ثمة طاولة طويلة بها مرآة ضخمة عليها أشكال هائلة الحجم مصنوعة من السكر. أما أكثرها وضوحًا فكانت قلعة «سمتر»، وسفينة حربية، وهيكل المجلس التشريعي، ومعبد صيني، وكوخ سويسري...

(Kunhardt and Kunhardt, op. cit.)

...مجسمات محلاة تحيط بها إلهة الحرّية، ومعابد صينية، وقرون وفرة⁽¹⁾،
ونوافير عليها رشّات من السكر المغزول، ومحاطة بنجوم...

“Mr. Lincoln’s Washington” (Stanley Kimmel)

ثمة خلايا محتشدة بنحلٍ كأنه حيّ، مُلئت بحلوى الشرلوت. وثمة
خوذة أيضًا تشير ضمنيًا إلى الحرب، عليها رشّات من السكر المغزول. أما
الفرقاطة الأميركية «يونيون» ذات المدافع الأربعين والأشعة الكاملة فقد
أضيفت إليها أشكال ملائكة مكسوّة بالنجوم والشرائط [علم أمريكا].

(Leech, op. cit)

لاحت قلعة «بيكنز» في السكر على طاولة جانبية، حولها شيء أشهى من
مدافع الدروع في السفينة، على شكل «مقبلات دجاج» شهية...

(Kimmel, op. cit)

انسدل الرداء السكري لسيدة الحرية كستارٍ على معبد صيني، تسبح
داخله سمكات منمنمات من الشوكولاتة في بحيرة من غزل البنات. وعلى
مقربة منه ملائكة من الكعك تهشّ النحل المتربّص عاليًا فوق خيوط رفيعة
من طبقة السكر.

(Wickett, op. cit)

1- قرن الوفرة (cornucopia): رمز من الحضارة الإغريقية عبارة عن قرن ماعز ممتلئ بالثمار
والحبوب، ويرمز إلى الوفرة. (المترجم عن الموسوعة البريطانية).

بدأت هذه المدينة الحلوانية شهيةً وكاملة في البدء، لكنّها مع مرور الوقت وقعت ضحيةً للنهب، إذ كان المدعوون يسلبون ساحاتٍ كاملة من المدينة بقبضاتهم، ثم إلى جيوبهم كي يشاركوا بها أحبابهم في البيت. وما إن اصطدم الناس بالطاولة الزجاجية لاحقاً حتى استسلمت تلك الصروح المحلّاة.

(Garrett, op. cit)

تناولوا طائر تُدرج شهياً، وطائر حجل سمين، وقطع ستيك من لحم الغزال، ولحم خنزير من « فرجينيا». كما أكلوا بنهم بطاً أميركياً برياً، وديوكاً روميةً طازجة، وآلافاً من المحار الذي جُمع قبل ساعة ووضِع في الثلج، إما يُرتشف نيئاً، أو يوضع في الزبدة والدقيق، أو يطبخ في الحليب.

(Epstein, op. cit.)

وُزعت هذه الأطباق الشهية وغيرها في وفرة غامرة، حتى أنّ الهجمة المشتركة لألف ضيف أو يزيدون لم تفلح في القضاء على تلك الأطباق.

(Kimmel, op. cit.)

مع ذلك، فقد غابت البهجة عن المضييفة التي كانت تبتسم على نحو آلي هي وزوجها. لقد ظلّا يرتقيان السلام للاطمئنان على ابنهما ولي، ولم يكن أبداً على ما يرام.

(Kunhardt and Kunhardt, op. cit.)

4

تهادت النغمات القوية التي كانت تعزفها الفرقة البحرية في الأسفل إلى غرفة المريض، في همهمات خفيفة مكبوتة، مثل نشيج خافت لأرواح بعيدة.

(Keckley, op. cit.)

ولي مستلقٍ في غرفة «أمير ويلز»، بستائرهما الأرجوانية وشراباتها الذهبية.

(Epstein, op. cit.)

الوججتان على وجهه المدور الوسيم مشتعلتان من أثر الحمى، فيما قدماه لا تهدآن أبدًا تحت الغطاء الماروني.

“History Close at Hand” (ed. Renard Kent, account of Mrs. Kate O’Brien)

أيما امرئٍ أحبّ طفلاً من قبل، وجرب الهواجس المخيفة التي يعرفها الآباء والأمهات، يمكنه أن يتخيل حجم الرعب والفرع الذين تملكوا الرئيس وزوجته، ذلك الإحساس بأنّ القدر قد لا يولي اعتباراً كبيراً لحياة الطفل، وقد يتخلص منها إن شاء.

“Selected Civil War Letters of Edwine Willow” (ed. Constance Mays)

بالخوف الساكن في قلبيهما، نزلا من السلام مرة أخرى للاستماع إلى المغنين في الأمسية، عائلة (هتشنسن)، وهم يقدمون أداءً مخيفاً في واقعته لأغنية «سفينة تحترق»، ما تطلب محاكاةً لعاصفة رعدية شديدة في البحر، وللصرخات الفزعية بين الركاب المحاصرين، ولأم تشد طفلها على صدرها المترع بالثلج. «سفينة، هزيمة، وصخب—حريق، حريق!».

شَحِبَتْ خَدُودُ الْبَحَّارَةِ

من ذلك المنظر—والتمعت أعينهم بوميض الضوء

تصاعد الدخان في أكاليل سميكة

أعلى، فأعلى—رباه كم مفرع هذا الموت بالنار!

(Kunhardt and Kunhardt, op. cit.)

بلغت الضوضاء والجلبة حدًا كان يتطلب معه أن تصرخ كي يفهمك من تحدته. وظلت العربات تتوالى، وفُتحت النوافذ وتحلقت مجموعات حولها طلبًا لنسمة هواءٍ باردة. فالنسيم السائد في القاعة كان شيئًا من الفرح المفضي إلى ارتباك. بدأتُ أشعر بالدوار، وأخالني لستُ الوحيدة. فقد انهارت سيدات رفيفات الشأن هنا وهناك فوق المقاعد. وثمة رجال سكارى أخذوا يتفحصون اللوحات بتركيز زائد عن الحد.

(Garrett, op. cit.)

دَوَّتْ صرَخَاتُ جَاحِمَةٍ.

(Sloane, op. cit.)

أحدهم وقف في كامل سعادته، بينطاله البرتقالي ومعطفه الأزرق المفتوح، يتناول طعامه في مكانه عند المائدة كأمبروسّي رائع وجد أخيرًا بيت أحلامه.

(Wickett, op. cit.)

تنسيقات الزهور كانت حدثًا تاريخيًا! تلك البروزات السامقة من الألوان الوافرة جدًّا—سرعان ما سيُلقي بها كي تجفّ وتسمّر تحت شمس فبراير الهادئة. جثث الحيوانات—أي «اللحم»—دافئة مغطاة بعساليج، على صحون غالية، ريانة يتصاعد منها البخار، سُحنت الآن بعيدًا إلى مكان ما، وقد أضحت فضلات، جثثًا جزئية مرة أخرى بعد تساميتها المؤقت إلى منزلة طعام ينشر السعادة! والفساتينُ الألف التي لُبست بوقارٍ عصر ذلك اليوم، بعد تنظيفها من الغبار في الممرات، جُمعت أطرافها الآن لتؤخذ في العربة. أين هي الآن؟ هل أيّ منها معروض في متحف؟ هل حُفظ بعضها في العليّات؟ أغلبها استسلم للغبار، مثل النساء التي ارتدتها بزهوٍ في تلك اللحظة العابرة من البهاء.

“The Social Life of the Civil War: Frolic, Carnage, Extirpation” (unpublished, Melvin Carter)

5

ضيوف كثيرون يذكرون القمرَ الجميل الذي التمع في تلك الأمسية.

“A Season of War and Loss” (Ann Brighney)

لقد أشارت عدة شهادات عن تلك الأمسية إلى سطوع القمر.

“Long Road to Glory” (Edward Holt)

العلامة المشتركة بين تلك الشهادات هي القمر الذهبي المعلق على نحوٍ عجيب في الأعلى.

“White House Soirees: An Anthology” (Bernadette Evon)

لم يكن ثمة قمر تلك الليلة، بل إنّ السماء كانت مثقلة بالسحب.

(Wickett, op. cit.)

كان ثمة هلال أخضر سمين معلق فوق ذلك المشهد الغريب، مثل قاضي متبلّد بعدما اعتاد على جميع الحماقات البشرية.

“My Life” (Dolores P. Leventrop)

كان البدرُ في تلك الليلة أصفرَ حمراً، كما لو أنه يعكس ضوء نارٍ على الأرض.

(Sloane, op. cit.)

وأنا أتحرّك في القاعة كنتُ أصادف قطعةً فضيةً من قمرٍ عند نافذةٍ أو أخرى، مثل شحاذٍ عجوزٍ يرجو أن يُدعى إلى الداخل.

(Carter, op. cit.)

حين وُضع العشاء، سطع القمر عاليًا أزرق صغيرًا في الأعلى، برّاقًا لكنه متضائل بعض الشيء.

“A Time Departed” (unpublished memoir, I.B. Brigg III)

مضت الليلة مظلمةً غير مقمرة، وثمة عاصفة تتشكّل في الأفق.

“Those Most Joyful Years” (Albert Trundle)

بدأ الضيوف يغادرون، والبدرُ الأصفر معلق بين نجوم الصباح.

“The Washington Powers” (D. V. Featherly)

كانت السحب مثقلةً، منخفضةً، ولها لونٌ وردانيّ باهت. لم يكن ثمة قمر. توقفتنا أنا وزوجي نظراً عاليًا نحو الغرفة التي كان يرقد فيها لينكون الصغير

مريضًا. تلوتُ صلاةً صامتةً رجاءً أن يشفى الصبيّ. استقلينا العربة وقفلنا
عائدين إلى المنزل حيث أطفالنا النائمون في سلام، حمدًا للرب الرحيم.

“One Mother Remembers” (Abigail Service)

6

لبث آخر الضيوف حتى الفجر تقريبًا. هناك، في القبو، قضى الخدم الليلة كلها في التنظيف، يرتشفون بقايا النيذ بينما هم يكدحون. وهم على ذلك الحال من الحرّ، والتعب، والشهالة، إذا بعددٍ منهم يبدأ في مشاجرات كلامية، ما لبثت أن تحوّلت إلى عراك بالأيدي داخل المطبخ.

(Von Drehle, op. cit.)

سمعتها تُقال عدة مرات، في همساتٍ خافتة. لم يكن من اللائق الخوض في احتفالٍ مثل هذا، في الوقت الذي كان الموتُ نفسه يطرق الأبواب، ولعله في أوقاتٍ كهذه من الأنسب التزام التحشّم في الحياة العامة.

“Collected Wartime Letters of Barbara Smith-Hill” (Ed. by Thomas Schofield and Edward Moran)

مرّت الليلة بطيئة. جاء الصبح، وساء وضعُ ولي.

(Keckley, op. cit.)

بالأمس قرابة الثالثة فجراً جاء موكب كبير..ربما عشرون عربية، ولا مكان يسعها كلها..توقفت عند حدائق المنازل، وظلّت هناك مائلة على الأرض الإسمنتية عند السياج..ولم يكن الذي ترّجل من عربية الموتى سوى السيد «ل» نفسه، إذ تعرّفتُ عليه من ملامحه..لكنه منحني على الأرض من الألم يغشاه الحزن، كما لو أنه في حاجةٍ إلى من يحثّه على السير، كما لو أنه متردد في الدخول إلى ذلك المكان الكثيب..لم أكن قد سمعتُ الأنباء الحزينة بعد، فحرّتُ للوهلة الأولى، لكنني ما إنْ وضع لي الأمر حتى أخذتُ أدعو للصبيّ وأسرته..كانت الصحف قد كتبت كثيراً حول مرضه، وقد أتت النهاية الحزينة...ظلّت العربات تتوالى على مدار الساعة التالية، إلى أن لم يعد بالإمكان المرور في الشارع.

اختفى الحشد الكبير داخل الكنيسة، ومن نافذتي المفتوحة كان يصل إلى مسمعي ما يحدث في الداخل: موسيقى، وموعظة، وبكاء. بعدها تفرّق الجمع، وتحركت العربات، غير أنّ العديد منها علق فتطلّب الأمر معالجتها، أما الشارع والحدائق فقد أصبح عاليها سافلها.

واليوم، والجو ممطر بارد مرة أخرى، وصلت عند الساعة الثانية فجراً عربية صغيرة وحيدة وقفت عند بوابة المقبرة. ومن جديد ظهر الرئيس، مصحوباً هذه المرة بثلاثة رجال: شاب وشيخين..استقبلهم عند البوابة السيد (وستن) ومساعدته الشاب، ثم انطلقوا جميعاً إلى داخل الكنيسة..انضمّ مساعدٌ إلى المساعد، وسرعان ما كانا يعالجان تابوتاً صغيراً على عربية يدوية، فانطلق الجمع الحزين، والعربة أمامهم، والرئيس وصحبُه يتهادون

خلفها..بدا أنهم يتجهون إلى الركن الشمالي الغربي من المقبرة. التلة هناك عالية، والمطر مستمر، ما أفضى إلى تمازج غريب من كآبة قائمة وارتباك شديد، إذ يجاهد المساعدان للإبقاء على التابوت الصغير في العربة..وفي الوقت نفسه كان الجميع، حتى السيد «ل»، يمشون بتؤدة ثابتة كي يحافظوا على أقدامهم فوق العشب الزلق.

على أية حال، يبدو أنّ طفل لينكون المسكين سيترك هناك، على عكس الأخبار المنشورة في الصحف، تلك التي زعمت أنه سوف يُعاد إلى «إلينيوي». لقد أُعيروا مكانًا في قبو القاضي (كارول)، ولك أن تتخيل كم هو مؤلم يا (أندرو) أن تضع ابنك في ذلك الحجر البارد، مثل طائر مهشّم، ثم تمضي في طريقك.

هدوءٌ في هذه الليلة. بل حتى الجدول نفسه يبدو أنه يدمدم بهدوءٍ أكثر من المعتاد يا أخي. ظهر القمر الآن فقط، فأضاء الأحجار في المقبرة..للحظةٍ واحدة بدا وكأنّ الأرض اجتاحتها الملائكة من أشكالٍ وأحجامٍ متعددة: ملائكة بدينة، وملائكة بحجم الكلاب، وملائكة على ظهور خيول، وهلم جرا.

لقد أصبحتُ مع الوقت مرتاحةً بصحبة هؤلاء الموتى، وإني لأراهم أصحابًا مقبولين، هناك في تربتهم والبيوت الحجرية الباردة.

“Wartime Washington: The Civil War Letters of Isabelle Perkins” (compiled and edited by Nash Perkins III, entry of February 25, 1862)

8

وهكذا فقد ترك الرئيسُ ابنه في قبرٍ مُعار، وعاد لياشر أعمال الدولة.

“Lincoln: A Story for Boys” (Maxwell Flagg)

لا يوجد شيء أكثر هدوءًا أو جمالًا من حالة هذا القبر، وقد كان عصيًا على الاكتشاف للزائر العادي، إذ إنه القبر الأخير على اليسار، في المكان الأقصى من الساحة، على جانب تلةٍ شديدة الانحدار، تنتهي إلى الجدول الصخري في الأسفل. الماء الجاري بسرعةٍ أحدث صوتًا محببًا، أما أشجار الغابة فانتصبت عارية وقوية في السماء.

(Kunhardt and Kunhardt, op. cit)

في مطلع شبابي أدركتُ أنّ لديّ مَيْلاً معيّناً، بدا طبيعياً بالنسبة إليّ بل رائعاً، غير أنه لم يبدُ طبيعياً ولا رائعاً على الإطلاق للآخرين (أبي وأمي وإخوتي وأصدقائي والمعلمين ورجال الدين وأجدادي)، بل منحرفاً وشائناً. وهذا ما أفضى إلى معاناتي: تُرى هل ينبغي عليّ أن أتكرّم لميولي، وأتزوج، وأحكم على نفسي بوادٍ رغبتي، إن صحَّ التعبير؟ كنت أسعى إلى السعادة (وأحال الجميع يسعون إلى ذلك أيضاً)، فاتخذتُ صداقةً بريئة، أو لنقل بريئة إلى حدٍ كبير، مع زميل لي في المدرسة. لكننا أدركنا سريعاً أنه لا مستقبل ينتظرنا (ولكي نففز على بعض التفاصيل، والوقفات والبدايات، والبدايات الثانية، والقرارات الصادقة، والتراجع عنها، هناك في ركنٍ من، أه، موقف العربات وما إلى ذلك)، ففي عصر يومٍ من الأيام، بعد يومٍ أو نحو ذلك من حوار صريح قال فيه (غلبت) إنه ينوي أن «يعيش عيشة صحيحة» من تلك اللحظة فصاعداً، حملتُ ساطوراً إلى غرفتي، وكتبتُ رسالة إلى والديّ (فحواها أنني آسف)، ورسالة أخرى إليه (إني أحببتُ، وهذا يكفيني للرحيل)، ثم قطعْتُ معصمِي بوحشيةٍ على حوض من البورسلين.

ولما شعرتُ بالغثيان لفرط الدم والحمرة المتدفقة المفاجئة على بياض الحوض، ألقىتُ بنفسي دائحاً على الأرض، وحينها... أعرف أنه من المخجل قول ذلك، لكنني سأقولها: حينها غيرت رأيي. حينها فقط (بعد أن كدتُ أرحل) أدركتُ كم هو جميل للغاية كل هذا، كيف كان مهيناً بدقّة من أجل متعتنا، ورأيتُ أنني كنتُ على شفا تبديد نعمة رائعة؛ أن يكون من المسموح لي، كل يوم، أن أتجوّل في هذه الجنّة الحسيّة، في هذه السوق العظيمة الممتلئة بكلّ ما هو رائع: أسراب حشرات تتراقص في أشعة شمس أغسطس المائلة،

ثلاثة خيول سود تنتصب رأسًا برأس وأرجلها غائصة في حقل من الثلج،
رائحة حساء لحم تحملها النسائم من نافذة برتقالية اللون في خريف بارد—

روجر بيفنز الثالث

سيدي. صديقي.

هانز فولن

أوه، هل.. هل فعلتُها ثانية؟

روجر بيفنز الثالث

نعم.

خذ نفسًا. كل شيء على ما يرام.

أظنك تثير قلق زائرنا الجديد.

هانز فولن

خالص اعتذاري، سيدي الصغير. كل ما كنتُ أقصده هو أن أرحب

بك، على طريقي.

روجر بيفنز الثالث

وأنت تشعر «بالغثيان لفرط الدم»، «ألقيت بنفسك دائخًا على الأرض»،
و«غيّرت رأيك».

هانز فولمن

نعم.

ولما شعرتُ بالغثيان لفرط الدم والحمرة المتدفقة المفاجئة على بياض
الحوض، ألقيتُ بنفسي دائخًا على الأرض. وحينها غيّرت رأيي.

ولأنني كنتُ أدرك أنّ أملي الوحيد هو أن يجديني أحد الخدم، فقد مشيتُ
مترنحًا إلى السلام وألقيتُ بنفسي إلى الأسفل. من هناك استطعتُ أن أزحف
إلى المطبخ—

وهو المكان الذي ظللتُ فيه.

أنا في انتظار أن يجديني أحد (بعدهما ارتحُتُ على الأرض، رأسي إلى الموقد،
وثمة كرسي مقلوب بالقرب مني، ونبقة من قشرة برتقال تحت خدي)،
لكي يُمكن إحيائي من جديد، وأنهض، وأصلح ما أفسدته في المطبخ (فأمتي
ستغضب من ذلك)، وأخرج، إلى ذلك العالم الجميل، إنسانًا جديدًا أكثر
شجاعة، وأعيش! هل سأتابع ميولي؟ نعم! باستمتاع شديد! ولأنني اقتربتُ
من أن أخسر كل شيء، فقد أصبحت متحررًا من كل خوف، وتردد، وجبن.
وما إن يتم إحيائي، فسوف أجول في الأرض بنهم، أتشرب وأشتم وأنظر
وأعابن وأحب أي شخص أريد. ألمس وأذوق وأقف ثابتًا بين الأشياء
الجميلة في هذا العالم مثل كلبٍ نائم يركل في منامه مثلًا من ظلّ الشجر،
وهَرَمٍ سَكِرٍ على سطح طاولةٍ من الخشب الأسود يُعاد ترتيبه حبة حبةً
بتصميم يستعصي على الإدراك، وسحابةٍ على هيئة سفينةٍ تمرّ فوق تلةٍ خضراء
مدوّرة، فوقها صفٌّ من القمصان الملونة التي تتراقص في الريح، في الوقت

الذي يتكشّف فيه يومٌ أرجوانيٌّ-أزرق في البلدة (وَحْيٌ من تجسّد الربيع)،
وكلّ ساحةٍ مبتلة العشب مثقوبة بالأزهار يجنّ جنوبها من—

روجر بيفنز الثالث

صديقي.

بيفنز.

هانز فولن

كانت لـ«بيفنز» أعين عديدة تتقلب هنا وهناك، وأنوف عديدة كلها
تشتمّ أياديه (فقد كانت له أياد عديدة، أو ربما كانت يداه سريعتين للغاية
حتى أنها تبدوان هكذا) وتلك الأيدي تحبّط هنا وهناك، تلتقط أشياء،
تقرّبها من وجهه على نحوٍ غريب⁽¹⁾

خيف بعض الشيء

وفيما كان يحكي قصّته نبتت له عدة أعين وأنوف وأياد إضافية لدرجة أنّ
جسده اختفى عيون كالعنبات على كرمة الأيدي تتحسس العيون الأنوف
تشتم الأيدي

شقوق على كل معصم.

ولي لينكون

1 - سلاحظ القارئ أنّ حوارات ولي لينكون غير ملتزمة دائئًا بالنقاط في نهاية الجمل، ما عدا
الجملة الأخيرة، وذلك مقصود في الأصل. (المترجم).

جلس صاحبنا الجديد على سطح بيته، بيت المرضى، ينظر في تعجب إلى
السيد بيقنز.

هانز فولمن

ومن وقتٍ لآخر يسترق نظرة تعجب إليك، سيدي. إلى حجم—
روجر بيقنز الثالث

يا رجل، لا داعي للحديث عن—

هانز فولمن

الرجل الآخر (الذي سقطت عليه العارضة) عار تمامًا عضوه متضخم
إلى حجم لم أستطع أن أبعاد عينيّ

كان يتقافز وهو

جسمه مثل كرة العجين أنفه عريض مسطح مثل أنف خروف

عارٍ تمامًا

بعجة مريعة على رأسه كيف يمكنه أن يمشي ويتحدث بشيء كرهه مثل

هذه—

ولي لينكون

وهنا انضمّ إلينا القسّ ايثري تومس.

هانز فولن

وقد وصل، كعادته، بعدوّة عرجاء، وحاجبين مقوّسين للأعلى، ينظر خلفه بقلق، وشعره واقف، وفمه فاغر من الفزع. لكنّه تحدث، كعادته، بهدوء تام ومنطق سليم.

روجر بيقتز الثالث

قال القس: قادم جديد؟

قال السيد بيقتز: أظنّ أنّ اسمه سيد (كارول).

واكتفى الصبيّ بالنظر إلينا نظرة فارغة.

هانز فولن

القادم الجديد كان صبيّاً في العاشرة أو الحادية عشرة. ولد صغير وسيم يرمش ويحدّق بحذرٍ حوله.

القس ايثري تومس

يشبه سمكةً جرفها الماء إلى الشاطئ فطلّت هناك قلقةً دون حراك، واعية جداً بضعفها.

هانز فولن

إنه يذكرني بابن أخ لي سقط ذات مرة في نهرٍ جليدي، وجاء إلى البيت متجمدًا حتى العظام. وإذا كان فزعًا من العقوبة، لم يجرؤ على الدخول. وجدته متكئًا على الباب يستجدي أي قدرٍ من الدفء يمكن الحصول عليه، ذاهلاً، شاعرًا بالذنب، يكاد يخلو من الإحساس لفراط البرد.

روجر بيفتز الثالث

قال السيد فولن: لا بد أنك تشعر بجذبة، صحيح؟ رغبة دافعة؟ للذهاب؟ لمكانٍ ما؟ أكثر راحة؟

قال الصبي: أشعر أنه يجدر بي الانتظار.

قال السيد بيفتز: إنه يتحدث!

القس ايفرلي تومس

قال السيد الخروف كرة العجين: تنتظر ماذا؟

قلت: أمي. أبي. سيأتيان عما قريب. ليأخذاني. هز السيد الخروف كرة العجين رأسه في أسى عضوه أيضًا اهتزَّ في أسى

قال الرجل ذو الأعين الكثيرة: قديأتان. لكنني أشك في أنهما سيأخذانك. ثم ضحك الثلاثة بتصفيق كبير من الأيادي الكثيرة لذلك الرجل ذي الأعين الكثيرة واهتزازات العضو المتضخم للسيد الخروف كرة العجين حتى القسّ ضحك لكنه رغم ضحكه يبدو فزعًا

قال السيد الخروف كرة العجين: على أية حال، لن يبقيا طويلًا.

قال الرجل ذو الأعين الكثيرة: وطوال الوقت تحدوهما الرغبة في أن

يكونا في مكانٍ آخر.

قال القسّ: يفكران في الغداء فقط.

عما قريب سيحلّ الربيع ألعاب أعياد الميلاد بالكاد لعبت بها لديّ جندي
زجاجي يمكنه أن يدير رأسه ويمكن التبديل بين الكتفيّات عما قريب سوف
تتفتح الأزهار (لورنس) من سقيفة الحديقة سيعطي كل واحد منا كأساً من
البذور

قلت: يجدر بي الانتظار

ولي لينكون

سدّدتُ نظرةً إلى السيد بيفنز.

هانز فولن

هؤلاء الصغار لا ينبغي أن يمكثوا طويلاً.
روجر بيفنز الثالث

(ماتيسن، ناهز التسع سنوات) مكث أقلّ من ثلاثين دقيقة. ثم تبدّد بفرقة تشبه الضرطة. (ذواير، ناهز الست سنوات وخمسة أشهر) لم يكن في صندوق المرضى حين وصل. يبدو أنه انصرف في مرحلة الانتقال. (سولفن، رضيع) مكث اثنتي أو ثلاث عشرة دقيقة، مثل كرة زاحفة زاعقة من ضوء غير تام. (روسو، عين أمها التي أخذت في سنتها السادسة) مكثت أربع دقائق لا أكثر. أخذت تنظر وراء حجرٍ تلو آخر. «أبحثُ عن كتابي المدرسي».

هانز فولن

مسكينة.

القس ايقرلي تومس

التوأمان (إيفانز، رحلا عن هذا الوادي الحزين معًا في الخامسة عشرة من عمرهما وثمانية أشهر) مكثا تسع دقائق، ثم غادرا في اللحظة نفسها تمامًا (توأمان حتى النهاية). (پيرسفل سترأوت، ناهز السبع عشرة سنة) مكث أربعين دقيقة. (سالي بيرجس، ناهزت الاثنتي عشرة سنة، محبوبة عند الجميع) مكثت سبع عشرة دقيقة.

هانز فولمن

(بِلندا فرننتش، الطفلة الصغيرة)، تذكرونها؟

روجر بيفنز الثالث

في حجم رغيف الخبز، تظل في مكانها، تصدر ضوءًا أبيض باهتًا، ونحبيًا
حادًا.

القس ايفرلي تومس

لسبع وخمسين دقيقة مستمرة.

هانز فولمن

بعد فترة طويلة من ذهاب أمها (أماندا فرننتش، ذهبته وهي تهب الحياة لطفلة جميلة، لكنها سيئة الحظ).

روجر بيفنز الثالث

تستلقيان معًا في صندوق مرضى واحد.

هانز فولمن

منظر مؤثر للغاية.

القس ايقرلي تومس

لكنها مع الوقت ذهبت.

روجر بيثنز الثالث

مثلما ينبغي لهؤلاء الصغار أن يذهبوا.

القس ايقرلي تومس

مثلما يفعل معظمهم، على نحو طبيعي تمامًا.

روجر بيثنز الثالث

والإلا.

القس ايقرلي تومس

لك أن تتخيل استغرابنا إذًا، حين وجدنا الصبي، بعد مرور ساعةٍ أو أكثر، ما يزال فوق السطح، ينظر حوله في ترقب، وكأنه ينتظر عربةً تصل وتنطلق به بعيدًا.

هانز فولن

واعذروني على قول هذا، لكن رائحة البصل البري التي يصدرها الصغار حين يمكثون طويلًا، كانت قد أصبحت قوية جدًا.

روجر بيفنز الثالث

كان لا بدّ من فعل شيء.

القس ايقرلي تومس

قال السيد الخروف كرة العجين: امش معنا أيها الصبي. هناك شخص
نودّ أن تلتقيه.

قال الرجل ذو الأعين الكثيرة: هل تستطيع أن تمشي؟
وجدتُ أني أستطيع.

أستطيع المشي أستطيع عبور المسافات أستطيع حتى أن أمشي عبورًا
قليلٌ من المشي عبورًا كان رائعًا (يا سلام، رائع) ثمة شيء كان هناك تحتنا
على نحو غير ملائم، في صندوق داخل ذلك البيت الصغير

على نحو غير ملائم

هل أستطيع أن أقول لكم شيئًا؟

كان له وجه حشرة

حشرة. حشرة بحجم صبيّ ترتدي بدلي

مرعب.

ولي لينكون

بدا الصبيّ وكأنه سوف يمسك بيدي، ثم بدا وكأنه يعيد التفكير في
الأمر، ربما غير راغبٍ في أن أعتبره طفلًا صغيرًا.

هانز فولمن

وانطلقنا، جهة الشرق.

روجر بيغنز الثالث

مرحبن يا سادة. ان احببتم يمكنني ان اسمي لكم بعض ازهارنا البرية.

السيدة إلزبث كروفورد

اصطفت السيدة إلزبث خلفنا، متخذة وضعيتها المعتادة في التوقير الشديد، بانحناءتها وابتسامتها ونكوصها.

روجر بيقتز الثالث

هونك مثلاً زهرة «وليم» البرية الحلوة، وزهرة «ليدي سليپر» البرية الوردية، وورود برية من جميع الاصناف. هونك اعشاب الفراشات، و«هني سكيل»، اضافتن إلى العلم الازرق والعلم الاصفر واصنافن اخرى كثيرة جدن لا استطيع ان اتذكر اسماءها الآن⁽¹⁾.

السيدة إلزبث كروفورد

يتحرش بها (لونغ ستريت) طوال الوقت، ذلك التعيس الذي يسكن قرب المقعد المائل.

روجر بيقتز الثالث

1- الأخطاء الإملائية مقصودة في النص الأصلي، وهي فيما يبدو إشارة «كتابية» من المؤلف إلى المستوى التعليمي للشخصية. (المترجم).

انتبهوا يا سادة إلى فهمي الدقيق للجوانب المهمة من تصميم الملابس:
الكلابات والثقوب، تنورة الـ«ريني ديزي» الدقيقة. صدقني يا (سكدر)،
إنه أشبه بتقشير بصلة: حل الرباط، حل العقدة، والملاطفة، إلى أن يصل المرء
في النهاية، وليس في وتيرة سريعة، إلى جوهر المسألة، الجوهرة- كما قد يقول
أحدهم- تلك الوهدة الظليلة—

سام لونغ ستريت «الصبي الناعم»

ظلّ يتلمسها ويتودّد إليها بلا انقطاع ونحن نمضي، أما السيدة كروفورد
فقد ظلّت لحسن الحظ غافلة عن اهتمامه المثير للقرف.

القس ايثري تومس

أما الصبيّ المفزوع فقد أخذ يتبعنا من قرب، ينظر هنا وهناك.

هانز فولن

حسنًا، سأقول لكم الآن جزء من اغنيتين كان زوجي العزيز يغنيها،
أو كلها إن اعجبتمكم. كان يسميها اغنية زفاف آدم وحواء. غناها في عرس
اختي. كان يحبّ تأليف الاغاني وغناءها و—

أوه لا، لن اقترب أكثر.

إلى اللقاء يا سادة.

السيدة إلزبث كروفورد

كنا قد وصلنا إلى حافة قفرٍ غير مسكون، يبلغ مئات الأمتار، وينتهي عند
السور الحديدي المروّع.

هانز فولمن

ذلك الحدّ البغيض الذي لا يمكننا التجرؤ على الذهاب بعده.
روجر بيقتز الثالث

كم كنا نكره هذا الشيء.

هانز فولمن

وهناك فتاة (تريزر) كالعادة، محصورة في السور وهي جزء منه، تتجسّد
الآن في شكلٍ من أشكال الفرن المسودّ المخيف.
روجر بيقتز الثالث

لم أملك إلا أن أتذكر يومها الأول هنا، حين تجسّدت في شايّة دوّارة في
رداءٍ صيفيٍّ يتغيّر لونه على الدوام.
القس ايشري تومس

ناديتها وطلبتُ منها أن تخبر الصبيّ. عن مخاطر هذا المكان. للصغار.

هانز فولمن

كانت الفتاة صامته. في تلك اللحظة فقط انفتح باب الفرن الذي كانت عنده، ثم انغلق، ما سمح لنا بنظرة خاطفة إلى بيت الحرارة البرتقالي في الداخل.

روجر بيفنز الثالث

تحوّلت بسرعة إلى جسرٍ متهدم، فنسر، فكلب كبير، فعفريته مخيفة تلتهم كعكة سوداء، فمنصّة ذرة أتلّفها الفيضان، وانشقت المظلة وانفتحت بريحٍ لم نشعر بها.

القس ايثربي تومس

لم تفلح نداءاتنا الصادقة. لم ترغب الفتاة في الكلام.

هانز فولمن

استدرنا لنعود.

روجر بيفنز الثالث

لكنّ شيئاً ما في الصبيّ أثر فيها. أصبحت المظلة الذرّة، والذرّة العفريته، والعفريته الفتاة.

هانز فولمن

أشارت إليه أن يخطو نحوها.

روجر يفتنر الثالث

بينما الصبيّ يتقدّم في حذر، بدأت تتحدث بصوت خفيض لم نستطع أن نسمعه.

هانز فولمن

كان السيد (برستول) في شبابه يريدني، وكذلك السيدان (فيلوز) و (دلوي). يتحلّقون حولي فوق العشب وفي أعينهم تلتهب الرغبة بأقوى أشكالها. أجلس على الكرسي الخيزراني في ردائي العنّابي الفضفاض، فيما يسمّرون أعينهم القوية في إعجاب إلى أن يحلّ الليل، فيستلقي واحد منهم على ظهره ويقول: يا لهذي النجوم! فأقول: نعم، كم تبدو جميلة هذه الليلة، فيما أنا أتخيّل أن أستلقي إلى جانبه (أعترف بذلك). أما الصبيّان الآخران فحين يلاحظان أنني أنظر إلى المستلقي يذهبان في خيالهما لأنّ يستلقياهما أيضًا إلى جانبي.

كان ذلك شيئًا

ثم تُرسل أمي (آني) في طلبي.

لقد رحلتُ أبكر مما ينبغي. عن تلك الصحبة، عن ذلك الـ

الوعد الوضّاء من الليالي الشبيهة بتلك الليلة، والتي تنتهي في اختيار، وحين يتمّ الاختيار، يكون صحيحًا، ويصبح حبًا، والحب يصبح طفلًا، وهذا كلّ ما أطلبه

كنتُ أريد فعلاً أن أمسك بطفلٍ حبيب.

أعلم أنني لا أبدو جميلة جدًا. ومع الوقت (أعترف بذلك) أصبحتُ أعرف بعض الكلمات التي لم أكن أعرفها قبل ذلك

مضاجعة.. قضيب.. مضاجعة المؤخرة..

وأصبحتُ أعرف، في ذهني، بعض الأحياء غير الملائمة حيث توجد هذه

أصبحتُ أحبها

أصبحتُ أشتهي هذه الأماكن. وأشعر بهذا الغضب.

لم أحصل على أي شيء.

رحلتُ في وقتٍ أبكر بكثيرٍ جدًا

قبل أن أحصل عليها

أربع عشرة فقط.

من العمر

من فضلك تعال مرة أخرى سيدي، لقد سرّني الـ

أما أصدقاؤك العجائز هؤلاء فاللعنة عليهم (لا تحضرهم مرة أخرى)،
يأتون للنظر الفاحش والسخرية مني، ويطلبون إليّ أن أحتال، لا ليست هذه
هي الكلمة الصحيحة، بل القذف. ما أفعله هو القذف، وهو ليس أكثر مما
يفعلونه، أليس كذلك؟ لو أني واصلتُ بأمانة ما أفعله، أنا واثقة من ذلك،
فسوف يحقق تلك العودة الجميلة إلى

النظرات الطيبة فوق العشب الأخضر.

إليز ترينر

مضى الصبيّ هادئًا وهو يغادر ذلك المكان.

قال: هل سيحدث لي هذا؟

قال السيد فولمن: سيحدث بالتأكيد.

وأضاف القس بلطف: إنه—إنه يحدث فعلاً، بشكلٍ من الأشكال.

روجر بيغنز الثالث

كنا قد وصلنا إلى ذلك المكان حيث ينحدر الممر الترابي.

القس ايقرلي تومس

قريبًا من (فريلي)، قريبًا من (ستيغنز). قريبًا من أولاد (نسبت) الأربعة
الرُّضّع وملاكهم ذي الرأس المائل.

روجر بيغنز الثالث

قريبًا من (ماسترتن). قريبًا من (أمبستي). قريبًا من النصب
العموديّ والدكك الثلاثة، وصدر (ميريديل) المغرورة منتصبًا في الأعلى.

هانز فولمن

قال الصبيّ: إذا ربها عليّ أن أفعل ما تقولونه.

قال السيد فولمن: شاطر.

روجر بيغنز الثالث

15

عانقنا الصبيّ عند باب بيته الحجري الأبيض.

هانز فولمن

وابتسم لنا ابتسامةً خجلى، لا تخلو من خوفٍ مما سوف يأتي.

القس ايقرلي تومس

قال السيد بيفنز بلطف: امضي. فهذا أفضل لك.

هانز فولمن

قال فولمن: بالسلامة. لم يبق لك شيء هنا.

روجر بيفنز الثالث

قال الصبيّ: وداعاً إذاً.

قال السيد بيفنز: لا يوجد في الأمر ما يخيف. طبيعيٌّ جدّاً.

هانز فولمن

ثم حَدَّث.

روجر بيغنز الثالث

حدثٌ غير عادي.

هانز فولمن

غير مسبوق، فعلاً.

القس ايقرلي تومس

عَبَّرَتْ نظرةُ الصبيِّ من أماننا.

هانز فولمن

بدا وكأنه أبصر شيئاً خلفنا.

روجر بيغنز الثالث

التمتع وجهه بالسعادة.

هانز فولمن

قال: أبي!

القس ايقرلي تومس

رجل أشعث مفرط في الطول، كان يشقّ طريقه نحونا في الظلام.

هانز فولن

كان حدثًا غير اعتياديّ بالمرّة. فقد أتى بعد ساعات العمل، حين تكون
البوابة موصدة.

القس ايثري تومس

لم يكمل الصبيّ يومًا واحدًا هنا. أي أنّ الرجل لا بدّ وأن كان هنا—
روجر بيثنز الثالث

قبل وقتٍ قصير جدًا.

هانز فولن

عصر ذلك اليوم.

روجر بيثنز الثالث

أمر غير معتاد أبدًا.

القس ايقرلي تومس

كان يبدو تائهاً. توقّف عدة مرات، نظر حوله، ثم تراجع، وعاد أدراجه.

هانز فولمن

كان ينتحب برفق.

روجر بيفنز الثالث

لم يكن ينتحب. صديقي لا يتذكّر جيدًا. كان يلهث. لم ينتحب.

هانز فولمن

كان ينتحب برفق، يتزايد حزنه مع شعوره المتصاعد بالإحباط لأنه تائه في المكان.

روجر بيفنز الثالث

كان يتحرك بثقل، حركاته غير متقنة.

القس ايقرلي تومس

انطلق الصبيّ مندفعًا نحو الرجل، يجري بنظرة فرح تعلو وجهه.

روجر بيثنز الثالث

استحالت نظرة الفرّح تلك إلى نظرة ذعر حين لم يحمله الرجل بين ذراعيه،
كسابق عهده فيما يبدو.

القس ايقرلي تومس

ما حدث هو أنّ الصبي عبر من خلال الرجل، فيما كان هذا يواصل المشي
نحو البيت الحجري الأبيض، منتحبًا.

روجر بيثنز الثالث

كلا لم يكن يتحبب. كان مسيطرًا على مشاعره، ويمشي باعتزاز كبير
ويقين بـ

هانز فولمن

كان الآن على بعد أربعة عشر مترًا، نحونا مباشرة.

روجر بيثنز الثالث

اقترح القس أن تتنحى عن الطريق.

هانز فولمن

القسّ متشدّد في هذا الأمر ويرى أنه لا يجوز للمرء أن يسمح لأحدٍ
بالعبور من خلاله.

روجر بيقتز الثالث

وصل الرجل إلى البيت الحجري الأبيض، ودخل بمفتاح، فتبعه الصبيّ
إلى الداخل.

هانز فولمن

ولما كنا حريصين على مصلحة الصبيّ، فقد تحرّكنا (السيد بيقتز والسيد
فولمن وأنا) إلى المدخل.

القس ايثري تومس

عندها همّ الرجل بفعل شيء— لا أعرف حقًا كيف—

هانز فولمن

كان رجلًا ضخّم البنية. قويًا كما يبدو. قويًا بما فيه الكفاية لكي يُخرج—

القس ايثري تومس

صندوق المرضى.

هانز فولمن

سحب الرجل الصندوق من فتحة الجدار، ووضعهُ أرضًا.
روجر بيقتز الثالث

وفتّحه.

هانز فولن

جثا الرجل أمام الصندوق ثم راح ينظر في ذلك الشيء الذي —
القس ايقرلي تومس

نظر إلى هيئة الصبيّ المستلقية في صندوق المرضى.
هانز فولن

نعم.

القس ايقرلي تومس

وعندها، انتحب.

هانز فولن

كان ينتحب منذ البداية.

روجر بيثنز الثالث

أفَلتَ نَحْبَةً واحِدةً، مَفجوعَةً.

هانز فولمن

أَوْ شَهْقَةً. بدت لي أقرب إلى الشهقة. شهقة إدراك.

القس ايقرلي تومس

شهقة تذكُّر.

هانز فولمن

أن تتذكر فجأةً ما فقد منك.

القس ايقرلي تومس

راح يلمس الوجه والشعر في حنان.

هانز فولمن

مثلما كان يفعل بالتأكيد مراتٍ كثيرة حين كان الصبيّ —

روجريفتز الثالث

أقلّ مرضًا.

هانز قولمن

هي شهقة إدراك، كما لو أنك تقول: ها هو ذا مرة أخرى، طفلي، كما كان
تمامًا. وجدته مرة أخرى، طفلي الذي كان فلذة كبدي.

القس ايقرلي تومس

الذي ما يزال فلذة كبدي.

هانز قولمن

نعم.

روجريفتز الثالث

فقد كان الفقْدُ حديثًا جدًّا.

القس ايقرلي تومس

كان ولي لينكون يذبل يوماً بعد يوم.

(Epstein, op. cit.)

مضت الأيام ثقيلاً مُضجرة، وكان يزداد وهناً على وهن، حتى أوشك أن يصبح طيفاً.

(Keckley, op. cit.)

يذكر سكرتير لينكون (وليم ستودرد) ذلك السؤال الذي كان على شفاه الجميع: «لم يعد ثمة أمل؟ لا أمل، هكذا قال الأطباء».

“Team of Rivals: The Political Genius of Abraham Lincoln”

(Doris Kearns Goodwin)

عند حوالي الخامسة عصرًا، كنتُ مستلقيًا نصف نائم على الأريكة في مكتبي، فاستيقظتُ حين دخل. قال وهو يحنق بدموعه: «نيكولاي، ابني راح—لقد راح فعلاً!»، ثم انفجر باكياً، واستدار ليدخل إلى مكتبه.

“With Lincoln in the White House” (John G. Nicolay, ed. by

Michael Burlingame)

كانت الوفاة قد حدثت قبيل لحظات لا أكثر. الجسد مسجى على السرير، والغطاء ملقى فوقه. كان ما يزال في منامته الزرقاء الشاحبة. ذراعاه على جانبيه. وجنتاه ما تزالان مشتعلتين. ثلاث وسائد ملقاة في كومة على الأرضية. الطاولة الجانبية مائلة، كما لو أنها دُفعت جانبًا.

شهادة الخادمة صوفي لينوكس

“Eyewitness to History: The Lincoln White House” (Ed. by Stone Hilyard)

ساعدتُ في غسله وتلبيسه، ثم سجّيته على السرير، وعندها دخل السيد لينكون. لم أرَ في حياتي رجلًا محنيًا إلى هذا الحدّ من فرط الحزن. جاء إلى السرير، ورفع الغطاء عن وجه الطفل، وحدّق فيه مليًا بحبّ غامر، وبكل خشوعٍ كان يتمتم: «بنيّ المسكين، كان أطيب مما تستحق هذه الأرض. ناداه سبحانه إليه. أعلم أنه في مكانٍ أفضل هناك في الجنة، ولكنّ ما يفعل القلبُ الذي أحبه كثيرًا! يصعب علينا، يصعب علينا أن نراه ميتًا!».

(Keckley, op. cit.)

كان الابن الأثير لدى أبيه. وكانت العلاقة بينهما حميمة، يده في يد أبيه دائمًا.

شهادة ناثانيل پاركر ولس

(Keckley, op. cit.)

كان نسخةً من أبيه، في شخصيته الجذّابة، ومواهبه وأذواقه كلها.

“Lincoln’s Sons” (Ruth Painter Randall)

كان وِلي الطفل الذي أودع فيه لينكون أكبر آماله. كان مرآة صغيرة من نفسه، يستطيع التحدث إليها بصراحةٍ وانفتاح وثقة.

“Reckoning: An Insider’s Memories of Difficult Times” (Tyron Philian)

كان وِلي الصورة الحقيقية للسيد لينكون في كل أمر، حتى وهو يميل رأسه قليلاً على كتفه الأيسر.

شهادة أحد الجيران من سبرنغفيلد

(Burlingame, op. cit.)

إن المرء ليحمل قدرًا كبيرًا من الحب لأطفاله، ولهفة غامرة لأن يجربوا كل شيء جميل في هذه الدنيا، ولعلًا بكل صفة من صفاتهم: ضعفهم، وعنيتهم، وعادات كلامهم، وعثرات نطقهم، وسوء تعبيرهم، وما إلى ذلك. رائحة شعرهم، ورأسهم، وملمس اليدين الصغيرتين في يديك. ثم فجأة، يذهب الصغير! يؤخذ! صدمة صاعقة أن يحدث انتهاك قاس كهذا فيما كان يبدو لك عالمًا خيرًا قبل وقت قريب. هكذا، من لا شيء يتخلق حبٌ عظيم. وما إن تُقتلع جذوره حتى يصبح ذلك الحب مرضًا وبحثًا مضنيًا، ويستحيل إلى معاناة رهيبة لا يمكن للمرء أن يتخيّلها.

“Essay Upon the Loss of a Child” (Mrs. Rose Milland)

قال للممرضة معترفاً: «إنه أصعب اختبار في حياتي»، ثم صاح هذا الرجل المثقل بالأسى في موجة احتجاج: «لماذا؟ لماذا؟».

“Abraham Lincoln: The Boy and the Man” (James Morgan)

اختنقتُ كلماته من وطأة بكائه. دفن رأسه بين يديه، متزعزعاً على طول قامته من فرط حزنه. وقفتُ عند طرف السرير، وأخذتُ أرقب هذا الرجل في عجب وصمتٍ مهيب. لقد هدّني حزنُه، وهدهد فجعله طفلاً ضعيفاً لا حول له. لم أكن لأتخيّل أن يتأثر هذا الرجل الصلب إلى هذا الحد. ولن أنسى ما حييتُ تلك اللحظات الجلييلة؛ حين تبكي العبقريّة والعظمة معبود الحب الفقيد.

(Keckley, op. cit.)

كان ولي لينكون أكثر صبيّ محبوب عرفته في حياتي، ذكيًا، لبيًا، حُلُو المزاج، دمث الأخلاق.

“Tad Lincoln’s Father” (Julia Taft Bayne)

كان طفلًا من أولئك الأطفال الذين يرجو المرء أن ينجب مثلهم.

(Randall, op. cit.)

كان يتحلّى برزانة مذهلة، أو «أپلوم» كما يقول الفرنسيون.

(Willis, op. cit.)

كان حاضر الذهن، متسائلًا، يقظ الضمير. تصرفاته كيّسة وودودة. دوافعه طيبة وكريمة، وكلامه وأفعاله حميدة جدّابة.

“Funeral Oration for Willie Lincoln” (Phineas D. Gurley, in
“Illinois State Journal)

كان دائمًا ما يبحث عني بين الزحام، يصافحني ثم يلقي عليّ تعليقًا مفرحًا. بالنسبة إلى ولدٍ عمره عشر سنوات كان هذا أمرًا مثيرًا للإعجاب

(Willis, op. cit.)

كان ولي يرتدي ملابس رمادية فضفاضة، وملبسه كان مختلفًا تمامًا عن الأطفال المرفهين أبناء الأمهات المولعات بالأناقة.

“The Truth About Mrs. Lincoln” (Laura Searing, writing as Howard Glyndon)

ذات يوم عرجت على البيت الأبيض وكان هو في الخارج يلعب مع رفيق له على المشى الجانبي. أقلني السيد ([وليم هنري] سيوارد) إلى الداخل بالعربة مع الأمير (نابليون) واثنين من حاشيته. وعلى طريقة أبطال الحكايات خلع الوزير قبعته، وفعل السيد النابليوني الشيء نفسه، في تحية رسمية للأمير الرئيس الصغير. انتصب ولي واقفًا، غير مشدوه أبدًا من ذلك الإجلال، فخلع قبعته الصغيرة في رزانه رشيقة، وانحنى مرحبًا مثل سفير رسمي.

(Willis, op. cit.)

كان يحمل في سيائه توهجًا من الذكاء والحس المرهف، فغدا لافتًا للاهتمام، ما جعل الغرباء يتحدثون عنه بوصفه طفلًا رفيع الشأن.

(Searing, op. cit.)

لا غرابة إذا أن يستحوذ طفل موهوب كهذا على قلوب من كانوا يعرفونه
من قرب على مدى أحد عشر عامًا.

(Gurley, op. cit.)

طفلٌ مُشرق الطلعة، حبيبٌ، ومباشر، ومنفتح على جمال العالم.

“They Knew the Lincoln Boys” (Carol Dreiser, account of
Simon Weber)

ولدٌ صغير مثل كعكة، مدوّر وشاحب. كثيرًا ما يعبر من أمام عينيه سَيْلٌ
من الضربات، فيجد نفسه وقت التأثر أو الخجل يغمض عينيه ويفتحهما
سريعًا: غمضة، غمضة، غمضة.

“The President’s little Men” (Opal Stragner)

حين يرى ولو نزرًا يسيرًا من الظلم يكفهّر وجهه، وتفيض عيناه بالدمع،
كما لو كان يستشعر الظلم الأكبر في هذا العالم من خلال تلك الحادثة المؤسفة.
ذات مرة أحضر رفيقٌ له طائرًا ميتًا قتله بحجر، ثم وضعه بين عصاتين. نَهَره
ولي، وأخذ منه الطير ليدفنه، ثم ظلّ صامتًا خافض الرأس طوال اليوم.

“Lincoln’s Lost Angel” (Simon Iverness)

كانت ميزته الأبرز فيما يبدو صراحته غير المترددة، في رغبةٍ لأن تكون
الأشياء كما ينبغي لها أن تكون على اختلافها، لكنه يظلّ ثابتًا على سلامة

طويته. وجدتُ أنني لا أملك إلا أن أتأمله، بوصفه واحدة من مشكلات الطفولة الجميلة التي يندر وجودها في العالم.

(Willis, op. cit.)

بعد الجنازة قال الدكتور (غورلي) على انفراد إنَّ ولي قد طلب منه قبيل وفاته أن يأخذ ستة دولارات كان يدّخرها، ويعطيها لجمعية التبشير.

(Kunhardt and Kunhardt, op. cit.)

رغم كل الأبهة التي كانت تحيط بهذا الصبي الصغير في بيته الجديد، إلا أنه ظلَّ نفسه، ونفسه فقط، في شجاعة مثيرة للإعجاب. مثل زهرة برية نُقلت من حديقة إلى بيت زجاجي، لكنها احتفظت بخصائص الحديقة، صافية وبسيطة لا تتغير، إلى أن مات.

(Willis, op. cit.)

بعد عدة أشهر، وبينما كنت أقلب بعضًا من ملابس السيدة لينكون القديمة، وجدتُ قفازًا صغيرًا في جيب معطف. ذكريات كثيرة عادت إليّ فانفجرتُ باكية. سأظلُّ أذكر ذلك الصبي ودماثة أخلاقه إلى الأبد.

شهادة الخادمة صوفي لينوكس

(Hilyard, op. cit., account of Sophie Lenox, maid)

بطبيعة الحال لم يكن كاملاً. وينبغي ألا ننسى أنه كان طفلًا صغيرًا، قد

يكون جامعاً ومشاعباً وثائراً. كان مجرد صبيّ. ومع ذلك يجدر القول إنه كان
صبيّاً شاطرًا جدًّا.

شهادة الخادم د. سترمپهورت

(Hilyard, op. cit.)

في منتصف النهار تقريبًا نزل الرئيس وحرمه و(روبرت)، وألقوا نظرة أخيرة معًا على الفقيد. كانوا يرغبون في أن يكونوا بمفردهم مع طفلهم المتوفى في تلك اللحظات الحزينة الأخيرة. ظلوا هناك نصف ساعة تقريبًا. وبينما هم مشغولون في وداعهم هبت عاصفة من أشدّ العواصف المطيرة التي شهدتها المدينة منذ سنوات، فكانت تلك العاصفة المروّعة في الخارج توشك أن تتحد مع عاصفة الحزن التي خيّمت داخل المنزل.

“Witness to the Young republic: A Yankee’s Journal, 1828-1870” (Benjamin Brown French, edited by D.B. Cole and J.J. McDonough)

في نصف الساعة تلك كانت الأسرة بمفردها تمامًا مع الجثمان، فيما كان البرق يلوح في الخارج يشقّ السماء القائمة، والرعد يدويّ مثل طلقات المدافع، فراحت أدوات الأكل تهتزّ، بينما انطلقت الرياح العنيفة من شمال الغرب.

(Epstein, op. cit.)

تعالت أصوات الحزن من جنبات القاعة الفسيحة في ذلك المساء. لم تكن كلّها آتية من الغرفة التي تجلس فيها السيدة لينكون مشلولة؛ فتأوهات الرئيس كانت مسموعة أيضًا.

“My Ten Years at the White House” (Elliot Sternlet)

بعد مرور قرنٍ ونصف القرن، ما يزال يبدو اقتحامًا لخصوصيتهم
أن أستعيد ذلك المشهد المروّع. تلك الصدمة، تلك الحسرة، والإنكار،
وصيحات الأسي العنيفة.

(Epstein, op. cit.)

عندما يجين وقت النوم، الوقت الذي يتسلل فيه الصغير ولي ليحدث أباه
أو يهازحه قليلًا، عندها فقط يبدو السيد لينكون واعيًا حقًا أنه لا يملك شيئًا
حيال ذلك الفقد.

“Selected Memories from a Life of Service” (Stanley Hohner)

قرب منتصف الليل دخلت لكي أسأله إن كان يحتاج إلى شيء. فانصدمت
من منظره. كان شعره منكوشًا، ووجهه شاحبًا، وآثار الدموع واضحة على
وجهه. تعجّبت من اضطرابه الشديد، وتساءلت في نفسي عما يمكن أن
يحدث له لو لم يجد ما يسرّي عنه. كنتُ قد زرتُ مؤخرًا مصنع حديد في ولاية
«بنسلفينيا»، ورأيتُ صهائمًا لإطلاق البخار. وحين رأيتُ الرئيس أدركتُ
أهمية مثل هذا الجهاز.

شهادة الخادم د. سترميهورت

(Hilyard, op. cit.)

كان السيد الأشعث يصبّ اهتمامه الآن على تلك الهيئة الصغيرة، يمّسّد
الشعر، ويربّت، ويعيد ترتيب اليدين الشاحبتين، الأشبه بدميتين.
روجر بيقتز الثالث

فيما كان الصبيّ يقف على مقربة، يرسل استجداءات عجلي لأبيه كي
ينظر ناحيته هو، ويربّت عليه هو.
القس ايقرلي تومس

لكنّ السيد لم يبدُ أنه يسمعها.
روجر بيقتز الثالث

بعدها انحدر هذا المشهد المزعج غير الملائم إلى مستوى جديد من ال—
هانز فولن

سمعنا شهقة ذهول من القسّ، وهو امرئ لا يبدو من السهل إذهاله، على
الرغم من مظهره.
روجر بيقتز الثالث

صاح القس: سيحمل الطفل!

هانز فولمن

وهكذا فعل. رفع الرجل تلك الهيئة الصغيرة من خارج الـ

روجر بيقتز الثالث

صندوق المرضى.

هانز فولمن

انحنى الرجل، ورفع الهيئة الصغيرة من الصندوق، وفي رشاقة مفاجئة بالنسبة لشخص هزيل هكذا، جلس بحمله ذاك على الأرض، ووضعها على حجره.

روجر بيقتز الثالث

دفن الرجل رأسه بين الذقن والعتق، وانتحب، في غير انتظام أول الأمر، ثم أطلق نحيبه دون تحفظ، في تصريف تام لعواطفه.

القس ايقرلي تومس

والصبي يراوح على مقربة، في حرارة بادية من خيبة الأمل.

هانز فولمن

لحوالي عشر دقائق، كان الرجل يمسك بال—
روجريفتز الثالث

الهيئة المريضة.

هانز فولمن

دنا الصبي، في خيبة أملٍ من حرمانه الرعاية التي يشعر أنه هو الذي
يستحقها، ومال على أبيه، في حين استمر الأب يمسك ويهدد ال—
القس ايقرلي تومس

الهيئة المريضة.

هانز فولمن

تأثرتُ مما رأيت، وأشحتُ بوجهي عن المشهد، فأدركتُ أننا لم نكن
وحيدين.

روجريفتز الثالث

فقد تجمّع حشدٌ في الخارج.

القس ايقرلي تومس

التزم الجميع الصمت.

روجر ييفنز الثالث

فيما الرجل مستمرٌ في هدهدة طفله.

القس ايثري تومس

والطفل، في الوقت نفسه، يقف في هدوء مائلاً عليه.

هانز فولن

ثم بدأ الرجل يتحدث.

روجر ييفنز الثالث

لفّ الصبيّ ذراعه حول عنق أبيه، ولا بد أنه كان يفعل ذلك كثيرًا، ودنا منه أكثر، إلى أن لامس رأسه رأس والده، كي يسمع الكلمات التي كان الرجل يهمس بها في رقبة الـ—

هانز فولن

حينها بلغت خيبة الأمل قدرًا لا يُحتمل، فبدأ الصبي—

روجر ييفنز الثالث

بدأ الصبيّ يُدخل نفسه.

هانز فولمن

هكذا.

روجر بيقتز الثالث

بدأ الصبيّ يُدخل نفسه. وسرعان ما أدخل نفسه بالكامل. عندها، بدأ الرجل يتحب من جديد، كما لو أنه كان يستطيع الشعور بالحالة التي تغيّرت في ذلك الرجل الذي كان يمسك به.

القس ايقرلي تومس

كان ذلك أكثر مما يُحتمل. كان أمرًا شديد الخصوصية، فتركّ المكان، ومضيتُ وحيدًا.

هانز فولمن

كذلك فعلتُ أنا.

روجر بيقتز الثالث

لبثتُ هناك، مصدومًا، أتمتم بصلواتٍ كثيرة.

القس ايقرلي تومس

يقول أبي، واضعًا فمه على أذن الحشرة:

يا لتلك المحبة التي كانت بيننا يا ولي. أما الآن، فقد انقطع ذلك الرباط
لأسباب تستعصي على فهمنا. غير أن رباطنا لا يمكن أن ينقطع؛ فسوف تظل
معي دائمًا يا بني، ما حييت.

ثم انتحب

أبي العزيز يبكي كان ذلك صعبًا علي ومهما أخذتُ أربّت وأقبل وأواسي،
فلا

قال لي: كنتَ يا بني فرحةً حقيقية. لنا. في كل دقيقة، في كل موسم،
كنتُ—لقد أجدتُ يا بني. أجدتُ في أن تكون مصدر سعادة لكل من
يعرفك.

يقول ذلك كله للحشرة! تمنيتُ أن يقوله لي وأن أشعر بعينه عليّ حسنًا،
قلتُ في نفسي وحقّ (جم) سوف أجعله يراني ودخلتُ لم يكن مزعجًا أبدًا
لنقل كان الشعور جيدًا كما لو أنني على نحوٍ ما كنتُ أنتمي إلى هناك

في الداخل، أصبحتُ جزئيًا في أبي أيضًا وهو ممسك بي بقوة

وكنتُ أدرك بالضبط ما كان

كنتُ أشعر بساقيه الطويلتين كيف هو الشعور أن تكون لك لحية كنتُ
أذوق القهوة في الفم، ورغم أنني لم أكن أفكر في كلماته تمامًا، إلا أنني أدركت:
أراحني ذلك الشعور به في ذراعي. هل هذا خطأ؟ مكروه؟ لا، لا، هذا الشيء
لي، إنه لي، وأنا سيّد قراري في هذا. أنا الذي يقرر ما هو الأفضل حين يتعلّق

الأمر به. وأعتقد أنّ هذا الأمر أراحني. أتذكره. مرةً أخرى. أتذكر من كان.
كنتُ قد نسيْتُ بطريقةٍ ما. لكنه هنا: تفاصيل جسده بالضبط، بدلته التي
تفوح منها رائحته حتى الآن، قذالته التي بين أصابعي، ثقله المألوف من أيام
ما كان ينام في الصالون فأحمله وأصعد—

لقد أراحني ذلك.

نعم أظنه أراحني.

إنه أمر خاص. شيءٌ من الضعف السريّ يشدّ من أزرعي. يجعلني أكثر
قدرة على القيام بواجباتي في الأمور الأخرى. يضع نهاية سريعة لهذا الضعف.
ولا يؤدي أحداً. لذلك، ليس خطأ، وسوف أتخذ من هنا هذا القرار: يمكنني
العودة قدر ما أشاء، ولا أخبر أي أحد، راضياً بالراحة التي قد يمدّني بها هذا
الأمر، إلى أن يختفي هذا التأثير.

وضع أبي رأسه على رأسي.

قال أبي: ولدي العزيز، سوف أعود مرةً أخرى. أعدك.

ولي لينكون

بعد ما يقرب من ثلاثين دقيقة غادر الرجل الأشعثُ البيتَ الحجري
الأبيض ومشى مضطرباً في الظلام.

حين دخلتُ وجدتُ الصبيَّ جالساً في زاوية.

قال: أبونا.

قلت: نعم.

قال: قال إنه سيعود. لقد وعد.

وجدتُ نفسي في تأثيرٍ كبير لا يُقاس ولا يُفسَّر.

قلت: معجزة.

القس ايقرلي تومس

⁽¹⁾ عند حوالي الواحدة صباحًا هذه الليلة ليلة كتابة التقرير وصل الرئيس لينكون عند البوابة الأمامية طالبًا السماح له بالدخول لم أعرف كيف أتصرف وبالأخذ في الاعتبار منصبه وهو الرئيس وليس في أي منصب غير معتبر سمحتُ له بالدخول رغم أنه كما تعرف يا (توم) البروتوكول يقضي بأنه متى أغلقت البوابة فلا تُفتح إلا في الموعد المجدول أي الصباح ولكن بما أنه كان الرئيس نفسه فقد أصبح الأمر معضلة شائكة بالنسبة إلي كما أنني كنتُ دائخًا بعض الشيء بما أنّ الوقت متأخر كما أشرت أعلاه وكنت قد سلّمتُ نفسي بالأمس لقليلٍ من اللهو في الحديقة مع أطفالتي (فِلب) و(ميري) و(جاك الصغير) ما جعلني متعبًا بعض الشيء وأعترف أنني غفوت قليلًا على طاولتك يا توم. لم أسأل الرئيس عما كان يفعل هنا أو شيئًا كهذا وحين التقت أعيننا فقط وجه لي نظرة صادقة ودودة ومتألّمة بعض الشيء كما لو أنه يقول يا صديقي أعرف أنّ هذا غريب ولكن حين رأيت العينين المليئتين بالحاجة هكذا لم أستطع أن أردّه فقد دُفن ابنه اليوم لذلك تخيل كيف يمكن لك أو لي أن نتصرف أو نشعر في لحظة حزينة كهذه يا توم لو أنّ ابنك (متشل) أو أحد أطفالتي فِلب أو ميري أو جاك الصغير مات حسنًا لا نفع في التفكير في هذا.

لم يكن معه سائق بل وصل وحيدًا على حصان صغير ففوجئت بذلك لكونه الرئيس وهكذا وساقاه طويلتان وحصانه قصير فبدأ مثل حجرة ضخمة ألصقت نفسها بذلك الحصان المتعوس الذي وقف متعبًا حزينا

1 - سلاحظ القارئ أنّ الحوار هنا غير ملتزم بالنقاط في نهاية الجمل، وهذا مقصود في النص الأصلي. (الترجم).

لاهثًا حين تحرّر من حملة كما لو أنه يفكر في أنني سأقص حكايته على أصحاب الأحصنة الآخرين عند عودتي إن كانوا ما يزالون مستيقظين في ذلك الوقت عندها طلب الرئيس مفتاح قبو كارول فأعطيته إياه وأخذت أنظر إليه وهو يمشي في الساحة وتمنيتُ لو أنني كنت لبقًا وعرضت عليه على الأقل أن أعيره مصباحًا إذ لم يكن لديه لكنه ذهب في ذلك المكان المظلم مثل حاجٍ يمضي في صحراء لا آثار فيها كان الأمر محزنًا جدًّا يا توم.

وهنا يأتي الجانب الغريب فقد اختفى مدة طويلة جدًّا. وما يزال هناك وأنا أكتب هذا. أين يكون يا ترى؟ تائه هل هو تائه. تاه هناك أو سقط وانكسرت عظامه وهو ملقى هناك يصبح.

الآن فقط خرجت أستمع لا صيحات.

لا أعرف أين هو الآن يا توم.

ربما هناك في الغابة في مكانٍ ما يتعافى من أثر الزيارة؟ في بكاءٍ منفرد؟

“Watchman’s logbook, 1860-1878, Oak Hill Cemetery, entry by Jack Manders, night of February 25, 1862, quoted by arrangement with Mr. Edward Sansibel”

لعلنا مهها قلنا لن نبالغ في وصف ذلك التأثير الذي أحدثته هذه الزيارة
في جماعتنا.

هانز قولمن

أشخاص لم نكن قد رأيناهم منذ سنواتٍ خرجوا، زحفوا، وقفوا على
استحياء يعصرون رؤوسهم غير مصدّقين من فرط السعادة.
القس ايقرلي تومس

أشخاص لم نرهم قط من قبل، وقد أبدوا الآن ظهورهم الأول في تلهّف.
روجر بيقتز الثالث

من كان يعرف أنّ (إدنستن) رجل ضئيل في باروكة خضراء مائلة؟ من
كان يعرف أنّ (كراثول) امرأة كالزرافة ترتدي نظارات وتمسك بكتاب من
أشعارٍ خفيفة كتبتها؟

هانز قولمن

كان شعارُ اليوم هو التودّد والاحترام والتبسّم والضحك الرنان والتحايا

روجر بيقتز الثالث

يتهادى الرجال تحت قمر فبراير العالي، يُطرون على بدلات بعضهم البعض، ويارسون حركات مألوفة: يركلون التراب، ويرمون الحجارة، ويتصنعون لكمةً يسددونها. أما النساء فكنّ يمسكن الأيدي، والوجوه مشوشة، ينادين بعضهن بالرائعة والعريضة، يتوقفن تحت الأشجار ليتبادلن أسرارًا غريبة كانت مكتومة في سنوات العزلة الطويلة.

القس ايثربي تومس

كان الناس سعداء. هكذا كان الأمر. لقد استردّوا مفهوم السعادة.

هانز فولمن

كان الأمر يتعلق بالفكرة، بالفكرة نفسها، أنّ أحدًا من—

روجر بيقتز الثالث

من المكان الآخر—

هانز فولمن

أنّ أحدًا من المكان الآخر قد يتفضل ب—

روجر بيقتز الثالث

اللمس، اللمس هو الأمر الذي لم يكن شيئًا عاديًا.
القس ايثري تومس

لم يكن غير اعتياديّ أن يأتي الناس من ذلك المكان السابق ويقترّبون منا.
هانز فولن

أوه، لقد فعلوا ذلك مرارًا وتكرارًا.
القس ايثري تومس

بسيجارهم، وأكاليلهم، ودموعهم، وملابس الحداد، والعربات الثقيلة،
والخيول السود التي تحبب الأرض بأقدامها عند البوابة.
روجر بيفنز الثالث

وشائعاتهم، وضيقهم، وهسهساتهم بأشياء لا علاقة لها بنا أبدًا.
القس ايثري تومس

وبشرتهم الدافئة، وأنفاسهم الساخنة، ومقلهم الرطبة، وملابسهم
الداخلية الثقيلة.

روجر بيفنز الثالث

ومجرفاتهم المريعة الموضوعة بلا مبالاة على جذوع أشجارنا.

القس ايقرلي تومس

لكنّ اللمس. يا إلهي!

هانز فولمن

كانوا يلمسوننا في بعض الأحيان.

روجر بيقتز الثالث

أوه، يلمسوننا، صحيح. يجاهدون في وضعنا في صندوق المرضى.

هانز فولمن

يُلبسوننا ما يريدون. ويخيطوننا ويصبغوننا إن اقتضى الأمر.

روجر بيقتز الثالث

ولكن ما إن تصبح كما أرادوك، لا يلمسونك مرة أخرى أبدًا.

هانز فولمن

حسنًا، خذ مثلًا (راقندن).

القس ايقرلي تومس

لقد لمسوا رافئدنا مرة أخرى.

روجر بيغنز الثالث

لكن ذلك النوع من اللمس —

هانز فولمن

لا أحد يريد ذلك النوع من اللمس.

القس ايقرلي تومس

كان سقف بيته الحجري يسرب. وقد تلف صندوق المرضى الذي كان فيه.

روجر بيغنز الثالث

سحبوه إلى مكان مضيء، وكشفوا عن الغطاء.

القس ايقرلي تومس

كان ذلك في الخريف، والأوراق تتساقط على صاحبنا المسكين. وهو من النوع المعتز بنفسه أيضًا. مصريّ. يزعم أنه كان يملك قصرًا على —

هانز فولمن

لقد اجتثوه من الصندوق وألقوا به في صندوقٍ جديد. ثم أخذوا يسألون على سبيل المزاح هل تألم من ذلك، وإن كان تألم هل يودّ أن يسجّل شكوى؟ ثم استمتعوا باستراحة تدخين طويلة، والمسكين رافئدن (نصفه داخل ونصفه خارج، والرأس مائل في زاوية غير مريحة على الإطلاق) يناديهم بصوت واهن طوال الوقت كي يتكرّموا ويضعوه بطريقة أفضل —

القس ايثربي تومس

ذلك النوع من اللمس —

روجر بيقتز الثالث

لا أحد يريد ذلك.

هانز فولمن

لكنّ هذا — هذا كان مختلفاً.

روجر بيقتز الثالث

تلك المسكة، والتمهّل، والكلمات الطيبة المهموسة في الأذن! يا إلهي! يا إلهي!

القس ايثربي تومس

أن يُمسك بك أحد بهذا القدر من الحب، بهذا القدر من التعلّق، كما لو
أنتك ما تزال—

روجر بيفنز الثالث

في تمام صحتك.

هانز قولن

كما لو أنك ما تزال جديرًا بالعاطفة والاحترام؟
كان الأمر مفرحًا. بيتّ فينا الأمل.
القس ايقرلي تومس

لعلنا كنا جديرين بالحب، على عكس ما صرنا نعتقد.

روجر بيفنز الثالث

أرجو ألا تسيؤوا فهمي. لقد كان منا الأمهات والآباء. كان منا الأزواج سنوات عديدة. كنا رجالاً لنا قدرُنا، جئنا هنا، في ذلك اليوم الأول، مصحوبين بحشودٍ هائلة حزينة تتدافع كي تستمع إلى الموعظة، حتى أنهم أتلفوا الأسوار فلم يعد بالإمكان إصلاحها. كان منا الزوجات الشابات، جئن إلى هنا أثناء الولادة، فجَارَ عليهنّ ذلك الألم الرهيب وخَلَفَ وراءهنّ أزواجاً متيمين، ممزّقين برعب تلك اللحظات الأخيرة (بفكرة أنهم ذهبوا إلى تلك الثقوب السود مفطورات لفرط الألم) لدرجة أنهم لم يعشقوا ثانية قط. كنا رجالاً ضخام البنية، راضين. كنا في شبابتنا الأول قد أدركنا أننا غير متميزين، فحولنا تركيز حياتنا بكل سعادة (كما لو أننا حائرين، نتقبّل حملاً ثقيلاً): لئن لم نكن راضين فسوف نكون نافرين. سنكون أغنياء، وطيبين، وقادرين على إحداث أثر طيب: مبتسمين، نبسط أيادينا، ننظر إلى العالم الذي جعلناه أفضل (حين دفعنا ذلك المهر الذي لم يكن متوفراً، ومولنا تعليم ذلك الشخص سرّاً). كان منا الخدم الدمثون المازحون، أحبهم أسيادهم من كلمات مبهجة استطاعوا قولها في لحظات مهمّة. كان من الجدّات الصبورات الصريجات، يتلقين أسراراً مكتومة، يستمعن إليها دون إبداء حكم، فيمنحن غفراناً ضمنيّاً، ويلقن بتلك الأسرار تحت ضوء الشمس. ما أقصد قوله هو أننا كنا جديرين بالاعتبار. كنا محبوبين. لم نكن وحيدين ولا مفقودين ولا غريبين أطاروا. بل كنا حكماء، كلا على طريقته. لقد سبّب رحيلنا ألماناً. أولئك الذين أحبونا جلسوا على أسرّتهم يعصرون رؤسهم. أخفضوا وجوههم على سطح الطاولة فيما تتناهى منهم أصوات الأسي. لقد أحببنا، وسوف يظل الناس يتسمون لذكرنا، ويشعرون بسعادة وجيزة من هذه الذكرى حتى

بعد أن تمرّ سنوات عديدة.

القس ايثري تومس

ومع ذلك.

روجريفتز الثالث

ومع ذلك لم يأتِ أحد قطّ إلى هنا وضّمّ أياً منا إليه وهو يتحدث إليه بهذا
الحنان.

هانز قولمن

لم يحدث قطّ.

روجريفتز الثالث

سرعان ما أحاط حشدٌ منا بالبيت الحجري الأبيض.
القس ايقرلي تومس

وهم يندفعون إلى الأمام ألحوا على الصبيّ ليعرفوا أكثر: صف لنا الإحساس، أن تُضمَّ هكذا. هل وعدك الزائر فعلاً بالعودة؟ هل عرض حقاً أي أمل بتغيير وضع الصبي؟ إن كان كذلك، فهل قال إنّ الأمل قد يمتدّ ليشملنا نحن أيضاً؟

روجر بيقتز الثالث

ما الذي كنا نريده؟ أردنا من الصبيّ أن يرانا، أعتقد. أردنا مباركته. أردنا أن نعرف رأي هذا الكائن المفتون في أسبابنا في البقاء.

هانز فولمن

أقول الحق، لا يوجد أحد من بين الكثيرين هنا - حتى أقوانا - لم تخامره الشكوك في صحة اختياره أو اختيارها.

روجر بيقتز الثالث

تلك الرعاية الحانية من السيد حسّنت فكرتنا عن الصبي، فوجدنا أنفسنا
تواقين للحصول على أبسط شكلٍ من أشكال الارتباط به.
القس ايقرلي تومس

بهذا الأمير المتوّج حديثًا.

روجر بيقتز الثالث

وسرعان ما كان هناك طابور من الذين ينتظرون أن يتحدثوا إلى الصبي،
فوصل الطابور إلى بيت (إيقر فيلد) الأسمر، المصنوع من الحجر الرملي.
هانز قولن

سوف أوجز في الكلام.

جين إلس

أشكّ في ذلك.

السيدة أبيغيل بلاس

سيدة بلاس، من فضلك. سيحصل الجميع على —

القس ايشري تومس

«ذات يوم في موسم أعياد الميلاد أخذنا بابا إلى مهرجان قرويّ رائع».
أغغغغغ

السيدة أبيغيل بلاس

رجاءً لا تزاحموا. الزموا الطابور. سوف يحصل الجميع على فرصته.

هانز فولمن

إنها تنبح وتنبح، ولا بدّ أن تكون الأولى دائماً. في كل شيء. كيف،

من فضلكم أخبروني، تستحقّ مثل هذا الـ—

السيدة أبيغيل بلاس

ليتكِ تتعلمين شيئاً منها سيدة بلاس. انظري إلى وقفتهما.

هانز فولمن

إلى هدوئها.

القس ايثري تومس

إلى نظافة ملابسها.

روجر بيغنز الثالث

أيها السادة؟

من فضلكم.

ذات يوم في موسم أعياد الميلاد أخذنا بابا إلى مهرجان قروي رائع. فوق
مدخل جزائرٍ علقت مظلة بديعة من الجثث: غزال أحشاؤه مسحوبة للأعلى
ومشبوكة مثل أكاليل حمراء فاتحة كبيرة. طيور تُدرج وبطّ معلقة ورأسها
للأسفل، والأجنحة مفتوحة باستخدام أسلاك مغطاة باللباد، ألوانها
متناسقة مع ريشها (بمهارة عالية). خنزيران موضوعان على كل جانب من
المدخل، مع ديوكٍ مبارزة فوقها مثل تحفٍ مصغرة لراكبين. وكلها مغطاة

بالخضار ومعلّقة بالشموع. كنت أرتدي الأبيض. كنت طفلةً جميلة بزّي
أبيض، وجديلة طويلة من الشعر تتدلى على ظهري، أهزها عن قصد، هكذا.
كنت أكره أن أغادر المكان، فاصطنعتُ غَضْبَةً. أحضر لي بابا غزالاً لتهدّثني،
وجعلني أساعده في ربطه بمؤخرة العربة. ما زلتُ أستطيع رؤيته حتى الآن:
الريف يتدرّج في الغياب خلفنا، في الضباب قرب المساء. والغزال الواهن
يخلف خطوطاً رفيعة من الدم، والنجوم تومض، والجداول تجري وتقفز
تحتنا ونحن نتمايل فوق جسورٍ متألّمة من الخشب المقطوع حديثاً، متجهين
نحو البيت—

جين إلس

أغغغغغ.

السيدة أبيغيل بلاس

شعرتُ بأنني طفلة من نوع مختلف. لستُ ولدًا (بالتأكيد)، لكنني أيضًا لم
أكن (مجرّد) فتاة. ذلك النوع المحصور في التنانير، الذي يقدم الشاي، لم يكن
لهذا النوع أية علاقة بي أنا.

كانت لديّ آمال كبيرة.

بدأت حدود العالم شاسعة. سوف أزور روما، وباريس، والقسطنطينية،
ومقاهٍ في عقلي توجد تحت الأرض بين جدران رطبة، ونجلس أنا وصديق
(وسيم وكريم) نجلس نتناقش، في أشياء كثيرة. أشياء عميقة، أفكار جديدة.
أضواء خضراء غريبة تظهر في الشوارع، وأمواج البحر تترابك بالقرب على
مراسٍ زيتية مائلة. كان ثمة حدث يلوح في الأفق، ثورة، ولا بد أن نكون أنا
وصديقي—

حسناً، وكما هي العادة، فإن آمالي..لم تتحقق. زوجي لم يكن وسيماً، ولم يكن كريماً. كان ثقيل الظل. لم يكن عنيفاً معي، لكنه لم يكن لطيفاً أيضاً. لم نذهب إلى روما أو باريس أو القسطنطينية، بل ترددنا بلا انقطاع إلى «فيرفاكس» لزيارة أمه العجوز. لم يبدُ أنه يراني، لكنه حاول أن يمتلكني. بهزّ شاربه الذي يشبه الصرصار حين يعتبر ما أقوله «سخيفاً» (وكان كثيراً ما يرى ذلك). كنت أقول شيئاً أشعر أنّ به حقيقة وقيمة، كأن أعلّق على فشله في التطور في وظيفته (كان كثير الشكوى، يتخيّل نفسه دائماً ضحية مؤامرة ما، فلا يحظى بأي احترام، ويختلق مشاجرات سخيفة، وسرعان ما يُطرد)، لكنه يكتفي بهزّ شاربه ويقول إنّ رأيي «نظرة امرأة في الأمر»، و..هكذا فقط. كنتُ مقصية. أسمعته يتفاخر عن الانطباع الذي تركه في مسؤولٍ هامشيّ حين ألقى ملاحظة «فطنة»، وأنا كنتُ في ذلك المكان وسمعتُ تلك الملاحظة ولاحظتُ أنّ المسؤول وزوجته بالكاد استطاعا أن يوقفا نفسيهما من الضحك في وجه هذا النكرة المغرور. لقد كان أمراً يصعب احتماله. كنتُ تلك الطفلة الجميلة في الأبيض، في قلبها روما وباريس والقسطنطينية، لكنها لم تعرف في ذلك الوقت أنها كانت من «جنس أدنى»، «مجرد» امرأة. وذات مساء، يطلق عليّ نظرتَه تلك (أعرفها جيداً) والتي تعني «استعدي، يا مدام، فعمّا قليل سأكون فوقك، بفخذيّ ولساني، والشارب الصغير سيبدو كما لو أنه أعاد إنتاج نفسه فأصبح قادراً على تغطية كل مدخل، إن جاز التعبير، وبعد ذلك سأعتليك مرة أخرى، أنتظر إطراءً». كان ذلك أكثر مما أحتمل.

بعدها جاء الأطفال.

نعم، الأطفال. ثلاث بنات رائعات.

في تلك الفتيات وجدتُ روماي وباريسي وقسطنطينيتي.

لا يحفل بهنّ أبداً، سوى أنه يجب استخدامهنّ ليجمّل نفسه في العلن. يؤدّب هذه بقسوة على خطأ صغير، ويُقصي رأي هذه، ويلقي محاضرة بصوت

عال للجميع حول شيء واضح معلوم («كما تعلمون يا بنات، فالقمر معلق هناك في الأعلى بين النجوم»)، كما لو أنه اكتشف الأمر في تلك اللحظة فقط.. ثم ينظر في الجميع ليرى الأثر الذي أحدثته رجولته على العابرين.

جين إلس

من فضلك.

كثيرون ينتظرون.

السيدة أبيغيل بلاس

والآن هل سيهتم هو بهن؟

في غيابي؟

عما قريب ستدخل (كاثرين) المدرسة. من سيحرص على حُسن ملبسها؟ (مارييث) لديها مشكلة في قدمها، وهي ما تنفك تفكّر فيها، فعادةً ما تعود إلى المنزل باكية. لمن ستبكي؟ (ألس) مرتبكة، لأنها سلّمت قصيدة. ليست ممتازة. أنوي أن أعطيها شكسبير تقرأه، ودانتي، وسوف نعمل معًا على بعض القصائد.

تبدّي معزّتهن الآن أكثر. خلال هذه الوقفة. من حسن الحظ أنها عملية جراحية بسيطة. إنها فرصة نادرة حقًا، أن يقف شخص ويتفحص —

جين إلس

كانت السيدة إلس امرأةً جلييلة فاخرة الطلعة، محاطة على الدوام بثلاثة

أفلاك هلامية تسبح حولها، وكل منها به شبهٌ من إحدى بناتها. وهذه الأفلاك تنمو في بعض الأحيان إلى أحجام هائلة، فتثقل بحملها عليها، فيتفجر الدم وسوائل أخرى منها فيما هي تصارع تحت أحمالها المريعة، رافضةً أن تصرخ، فالصراخ علامة انزعاج. وفي أحيان أخرى كانت هذه الأفلاك ترحل عنها، فتتمزق كمدًا، وتهرع في محاولة لإيجادها، وحين تجدها تبكي من الطمأنينة، فيثقل عليها حملها مرة أخرى. لكنّ العذاب الأسوأ للسيدة إلس كان حين يضع أحد الأفلاك نفسه فوق عينيها تمامًا، بحجمه الطبيعي، فيصبح شفافًا، يشفّ عن التفاصيل الجميلة للبت الذي داخله من الملابس وتعابير الوجه والسلوك وغير ذلك، فيما تتحدث البنت بوذّ عما ألمّ بها مؤخرًا (لا سيما على ضوء الغياب المفاجئ للسيدة إلس). يتبدى في حديث السيدة إلس حبٌّ وافر وتمييز دقيق وهي تشرح في نبرة مشفقة كيف يمكن للطفلة التي حلّ بها المصاب أن تواجه مصابها، ولكن للأسف (وهنا يكمن العذاب) لم يكن بمقدور الطفلة أن تراها أو حتى تسمعها، لذلك سوف تعتمد على نفسها، أمام عيني السيدة إلس، في نوبات متزايدة غير منقطعة من الإحباط، فيما المرأة المسكينة تجري هنا وهناك، تحاول أن تفلت من ذلك الفلك الذي يلاحقها على نحوٍ يمكن أن نصفه بالذكاء الساديّ؛ إذ يتوقّع كل حركةٍ منها، ويلقي بنفسه دائمًا أمام عينيها اللتين لم يكن بمقدورهما آنذاك أن تُغمضا.

القس ايفرلي تومس

في أيامٍ أخرى كان كل من تقابله يتجسّد في هيئة شاربٍ طويل بساقين.

هانز فولمن

نعم، وضعها صعب.

روجر بيقتز الثالث

ليس صعبًا جدًّا. إنها غنية.

هذا واضح من صوتها.

السيدة أبيغيل بلاس

سيدي الصغير، هل لي أن أطلب منك -معرفة؟

جين إيلس

انتهازية.

السيدة أبيغيل بلاس

إن سُمح لك بالعودة إلى ذلك المكان السابق، هلا تفقدت ملابس كاثرن،
وواست ماريث، وقلت لأليس إنه ليس خطيئة أن يفشل المرء في المحاولة
الأولى؟ أكد لهن أنني ظلمت أفكر بهن منذ أن وصلت، وأنا أحاول أن أجد
طريقي للعودة، وأني حتى وهم يحقنوني بالمخدر كنتُ أفكر بهن، بهن
فقط—

جين إيلس

قلتُ: خذ المال. انظر، أنا هادئ.

السيد ماكسويل بويس

مرةً أخرى يدفعني أحد جانبا؟

لأنني ضئيلة؟

السيدة أبيغيل بلاس

ربما لأنك قدرة.

روجر بيقتز الثالث

أعيش لصق التراب يا سيدي. وأظن أنك أنت أيضًا—

السيدة أبيغيل بلاس

نعلاك مسودان تمامًا من أثر القذارة.

روجر بيقتز الثالث

قلتُ: خذ المال. انظر، أنا هادئ.

قلتُ: وأنت أيضًا، سيدي، من فضلك، ابق هادئًا. لا أذكر عداوةً بيننا.
لنعتبر الأمر معاملة تجارية بسيطة. أسلمك محفظتي، ثم بعد إذ ذلك تكون
في—

لا، لا، لا.

لا، لا، لا.

هذا هو التصرف الخاطيء واللامنطقي تمامًا أن—

نجوم خفيضة، أسقف مضيّبة.

وأنا مث قوب.

السيد ماكسويل بويس

جرّبي الآن، سيّدة بلاس.

روجر بيّفنز الثالث

السيدة بلاس مقترّة معروفة، قدرة، ذات شعر رمادي، وضيّيلة (أصغر حجماً من طفلة صغيرة)، قضت ليايها في هذا المكان تقضم الصخور والغصينات، تجمعها، وتحافظ عليها بقوة. تقضي الساعات الطوال تعدّ هذه الممتلكات البسيطة مرّة تلو الأخرى.

القس ايقرلي تومس

هذه الفرصة التي أتت أخيراً للمخاطبة الصبيّ، أمام ذلك الحشد المحتشد، أصاب السيدة الضيّيلة بحالة مفاجئة من الرهبة.

هانز فولمن

لديك ألفٌ وثلاثمئة دولار في البنك الأول، أعتقد؟

القس ايقرلي تومس

نعم.

شكرًا لك أبونا.

لديّ ألفٌ وثلاثمئة دولار في البنك الأول. وفي غرفةٍ علويةٍ لن أحدها لديّ أربعة آلاف دولار في عملات معدنية ذهبية. لديّ حصانان وأربعون معزاةً وواحدةً وثلاثون دجاجةً وسبعة عشر فستانًا، تساوي في مجموعها ما يقرب من ثلاثة آلاف وثمانمئة دولار. لكنني أرملة. وما يبدو وفرةً هو في واقع الأمر شحّ. فالتيّار إنما يجري نحو الخارج، ولا يجري إلى الداخل أبدًا. الأحجار تندرج من التلة، ولا تصعدها. لذلك لعلك تتفهم إحجامي عن الإسراف. لديّ أكثر من أربعمئة عُصين، وحوالي ستين حصاةً بأحجامٍ مختلفة. لديّ طرفان من طيور مَيْتة، وذرات غبار لا حصر لها. قبل الهجوع أعدّ أطراف الطيور والغصينات والحصىات والذرات، أكرس كلًّا منها بأسناني لأتأكد من أنها ما تزال حقيقية. لكنني في حالات كثيرة حين أستيقظ أجدها ناقصة العدد. وهذا يثبت وجود لصوص، ويبرّر تلك النزعة التي يُنكرها عليّ الكثيرون هنا (أعرف ذلك). لكنهم ليسوا عجائز مهتدات بالضعف، ومحاطات بالأعداء. التيّار إنما يجري للخارج فقط، للخارج...

السيدة أبيغيل بلاس

كثيرون ما يزالون ينتظرون كُتلةً متحركة من الرمادي والأسود على مدى البصر ناسٌ على ضوء القمر في الخارج يتدافعون، يقفون على أطراف أصابعهم كي ينظروا

إليّ

وجوه تندفع نحو المدخل كي تلقي بحزنها هذا أو ذاك لا أحد راضيًا

الجميع مظلومون مُهملون أسيء فهمهم كثيرون كانوا يرتدون سراويل
ضيقة على الطراز القديم وباروكات و

ولي لينكون

حين تحركتُ في معظفي المخملي الأحمر عبر أسيجة الأزهار البراقة في
فورة شبابي، بدوتُ رائعاً بالتأكيد. كل من رأني استحسنت ذلك. رجال البلدة
يتلعثمون عند اقترابي، وتلك الكيسر تتزحزح جانباً، متهيبة، عند مروري.
هذا ما أودّ أن يعرفه الصغير (سوين).

وكثيراً ما رهنّتُ شهوتي في الليل وصولاً إلى نهاية جيدة، أرهنز زوجتي،
أو إن كانت متوعكة أرهنز كِسري، أولئك الذين كنت أسميهم الكيسر، لأنهم
كانوا مظلمين كالليل، مثل كِسر الفحم، ما يمدني بوفرة من الحرارة. كل
ما أحتاج إليه هو أن أستحوذ على كسرة-فتاة، وأتجاهل صيحات الكسرة-
زوجها، ثم أقوم بـ

الملازم سييسل ستون

يا إلهي.

هانز فولمن

إنه في هيئة جيدة الليلة.

روجر بيقتز الثالث

ضع في اعتبارك أيها الملازم، إنه مجرد طفل.

هانز فولمن

وكان شيئًا جميلًا، أن أحطم ذلك الكسرة-الرجل في أعين الآخرين، فيذاع الأمر، ويتحسن سلوكهم، وفي اليوم التالي حتى الأكثر قوة وضخامة من تلك الكسر يخفض عينيه، لأنني أنا الذي أحمل السوط والمسدس، وكل كسرة يعلم أنه لو أهانني فسوف يكلفه ذلك كثيرًا، وضريبة تلك الإهانة ستكون عالية جدًا عليه، فسوف أفتح بابه بقدمي وأجرّ فتاته وأخذها إلى مسكني، وعندها تبدأ تسلية المساء، فيما تلك الكسرة تشتعل. ولذلك كان الأمر مستتبًا في حقولي، وحين يصدر أي أمر، يهرع اثنا عشر زوجًا من الأيدي لتنفيذه، حتى حين تنظر تلك الأعين الصفراء المتعبة عاليًا لترى إن كنتُ لاحظت ذلك، وإن كنتُ سأعفيهم وأهلهم من متعتي.

بهذه الطريقة كنتُ أحوّل الكسرة إلى حليف، وأجعل منهم أعداء بعض.

الملازم سيبل ستون

أثناء هذه الحكايات السرية العدوانية، والتي تشعل وقودها تلك العبارات المتباهية، كان جسم الملازم ستون يُمطّ إلى الأعلى فيصبح قبة عمودية مستطالة. حجمه يظلّ ثابتًا، فيما الزيادة في الارتفاع تجعله رقيقًا، مثل قلم رصاص، طويلًا مثل أطول أشجار الصنوبر عندنا.

وحين ينتهي من كلامه، يعود إلى حجمه السابق، ويصبح إنسانًا في حجمه المعتاد، حسن الملبس، ولكن بأسنانٍ مريعة.

القس ايقرلي تومس

أيها السيد الصغير، هل تسمح لنا؟ السيدة وأنا؟

إدي بارون

أوه لا. لا، لا. لا. لا أظنّ أنه بالإمكان في هذه الـ

القس ايقرلي تومس

بلا زفت!

بِتسي بارون

قلتم بأنّ الجميع سيحصل على دور.

إدي بارون

كنا في وضع سيء، وازددنا سوءاً. هذا هو الشيء الأساسي الذي نريد
أنـ

بِتسي بارون

حتى أننا لم نحصر على إحضار الزفت في حفرة الخ-- تلك عند النهر.
بعد أن طردنا السويديّ من المكان.

إدي بارون

لم يكن حتى بالإمكان أن ندخل تلك القح--، تلك الأريكة الجميلة،
عبر الباب الصغير الزفت لحفرة الخر-- تلك عند النهر.

بِتسي بارون

إنني حتى لا أعتبر ذلك الباب الصغير الزفت لحفرة الخر-- تلك عند
النهر بابًا، حين أقارنه بذلك الباب الذي كان لدينا. يا له من باب! أما الباب
في حفرة الخر-- تلك عند النهر فمن العار أن يسمي نفسه بابًا لو أنه رأى
ذلك الباب الرائع.

مع ذلك، فقد استمتعنا.

إدي بارون

عند النهر.

بِتسي بارون

حين تبلل الجميع وهم يرمون بعضهم البعض في الطاسات الزفت؟
بسيجارات مشتعلة وغير ذلك؟ و(زيسنوسكي) ظل يحاول أن ينطق كلمة
«الپوتوماك»؟

إدي بارون

والجميع يلقي بالحجارة على الغسّالات؟

بِتسي بارون

تذكرين عندما كاد ذلك الذي نسيت اسمه، (تتيني) أن يغرق؟ ثم حين أنقذه العقيد (ب)، أول ما فعله هو أن يطلب طاسة لعينة من البنش؟

إدي بارون

قال القس في برود: أظنّ أنّ هذا يكفي.

روجر بيثنز الثالث

تذكرين حين تركنا الصغير (إدي) في ساحة الاستعراض؟

بِتسي بارون

بعد ذلك البولك الذي لا أذكر اسمه.

إدي بارون

شربنا القليل.

بِتسي بارون

لم يضرّه ذلك.

إدي بارون

ربما ساعده.

بِتسي بارون

جعله أشدّ.

إدي بارون

لا تُميتك وطأة حصان.

بِتسي بارون

ربما تعرج قليلا.

إدي بارون

وبعدها تخاف من الخيول.

بِتسي بارون

والكلاب.

إدي بارون

أما التيه في زحامٍ لخمس ساعات؟ لا يقتلك.

بِتسي بارون

في رأيي؟ إنه يساعدك. لأنك حينها تعرف كيف تهيم في زحامٍ لخمس ساعات دون أن تبكي أو ترتعب.

إدي بارون

في الحقيقة، لقد بكى وارتعب قليلا. بمجرد أن وصل البيت.

بِتسي بارون

آه، قح-- الجميلة، إنك تفرطين في حماية أولئك الصغار الملاعين من كل شيء، ولا يبقى إلا أن ينادوك للحمام كي تمسحي مؤخراتهم.
لكني أشهد لإدي الصغير وماري ماغ. كانا دائما يمسحان مؤخريهما دون مساعدة.

إدي بارون

ولم يكن لدينا أيّ حمام.

بِتسي بارون

لك أن تخ-- في أي مكان.

إدي بارون

لماذا لا يأتون لزيارتنا أبدا؟ هذا ما أريد أن أعرفه. كم مضى علينا هنا؟
وقت طويل. ولا مرة واحدة—

بِتسي بارون

اللعنة عليهم. أولئك الثعابين الملاعين العاقون ليس لهم أي حق في لومنا على أي زفت، إلا إذا وضعوا أنفسهم في مكاننا، ولا واحد من هؤلاء

الملاعين وضع نفسه ولو قليلاً مكاننا.

إدي بارون

قال القس: كفى!

هانز فولمن

هكذا كان إدي بارون وزوجته.

روجري بيغنز الثالث

مخموران متبلداً الحس، منطرحان على الشارع، وطأتهما العربية نفسها، وظلا هناك يتعافيان من إصابتهما في حفرة مرضى وضيفة خارج السور الحديدي المخيف. كانا البيض الوحيدين هناك، ملقيان مع عدة أشخاص من العرق الأسود. ولا واحد منهم، لا أبيض ولا أسود، كان لديه صندوق مرضى يتعافى فيه كما ينبغي.

هانز فولمن

لم يكن من اللائق أن يتجرأ بارون وزوجته على الحديث للصبي.

القس ايشرلي تومس

أو أن يكونا في هذا الجانب من السور.

هانز فولمن

والأمر لا علاقة له بالثروة.

القس ايشرلي تومس

أنا لم أكن ثريًا.

هانز فولمن

الأمر يتعلق بالسلوك. متعلق بـ... لنقل أن تكون «ثريّ الروح».

القس ايشرلي تومس

لكنّ بارون وزوجته كانا يجيئان ويذهبان كما يشاءان. لم يكن السور عائقًا أمامهما.

هانز فولمن

مثلها كانا في ذلك المكان السابق. غير مقيدين.

القس ايشرلي تومس

ها.

روجر بيغنز الثالث

هانز قولمن

بعد بارون وزوجته تتابع آخرون سريعًا، السيد (بتنغ) («بالتأكيد ليس لدي شيء أخجل منه»)، والسيد (إلني) («أتيتُ إلى هذه البلدة بسبعة دولارات مخططة بينطالي، ولن أذهب إلى أي مكان حتى يجبرني أحد أين دولاراتي»)، والسيدة (پروپر فسبت) («إنني أطلب ساعة أخيرة من دون هذا الألم الرهيب، كي أودع أحبابي بروح أكثر بشاشة»)، والتي زحفت إلى المدخل متجمدة في الوضع الجنيني نفسه الذي قضت عليه آخر سنة طريجة الفراش في ذلك المكان السابق.

روجر بيقتز الثالث

هناك عشرات آخرون ما يزالون يتلهفون للحديث مع الصبي، يغمروهم الأمل الجديد.

هانز قولمن

ولكن للأسف، لم يكن ذلك ليحدث.

القس ايقرلي تومس

أدركنا الآن من خلال بعض الإشارات المألوفة أنّ ثمة مشكلة تختمر.

روجر بيقتز الثالث

كما يحدث دائماً.

القس ايقرلي تومس

حلّ صمّت في المكان.

روجر بيقتز الثالث

حتى أنك تستطيع أن تسمع احتكاك الغصون على الغصون.

هانز فولمن

وارتفعت نسمة دافئة، رائحة لها صفات كل شيء يبعث الراحة: العشب،
والشمس، والبيرّة، والخبز، والأغطية، والقشطة.. هذه القائمة تختلف طبعاً
لدى كل واحد منا، إذ كلّ منا له سبل راحته.

روجر بيقتز الثالث

انبثقت من الأرض أزهار ذات ألوان وأحجام وأشكال وعبور مذهلة،
في كامل تشكيلها.

القس ايثري تومس

بدأت أشجار فبراير الرمادية تزهر.

هانز فولمن

ثم أثمرت.

القس ايثري تومس

الثمار تستجيب لأمنياتك. كل ما عليك هو أن تدع عقلك يميل إلى لونٍ
معين (فضي مثلاً) وشكلٍ معين (نجم مثلاً)، وسوف تتدلى من فورها وفرةٌ
من الثمار الفضية النجمية على أغصان شجرة كانت قبل ثوانٍ بلا ثمر، ميتةٌ
موت الشتاء.

روجر بيغنز الثالث

تلك الطرق بين هضباتنا، والمساحات تحت الأشجار، ومقاعد الدكك،
والانحناءات والأغصان في الأشجار نفسها (باختصار، كل شبر متوفر)
أصبحت ممتلئة ثم متخمة بالطعام من كل صنف: في قدور، وعلى صحون
جميلة، وعلى سفودٍ تجري بين الأغصان، وفي أوعية ذهبية، وفي سلطانيات

ماسية، وفي طاسات زمردية.

القس ايقرلي تومس

جرى الماء من الشمال، وانقسم في دقة عسكرية إلى عشراتٍ من الجداول الفرعية، فكان لكل بيت حجري وهضبة مرضى رافد خاص. الماء في هذه الروافد يتحوّل جاريًا إلى قهوةٍ وبيّذ، ثم إلى ماءٍ مرةٍ أخرى.

هانز فولمن

كنا نعرف أنّ هذه الأشياء كلها (الأشجار المثمرة، والنسيم العليل، والطعام الوفير، والجداول السحرية) مجرد مقدمة إن صحّ التعبير، لما هو آتٍ.

القس ايقرلي تومس

لمن هو آتٍ.

هانز فولمن

هم أرسلوها لتخفيف الأثر.

القس ايقرلي تومس

ولقد حمينا أنفسنا كما ينبغي.

هانز فولمن

كان من الأفضل للمرء أن يتدحرج في كرة، ويغطي أذنيه، ويغمض عينيه، ويهرس وجهه في الأرض فيسدّ أنفه.

روجر بيغنز الثالث

صاح السيد فولمن: استعدّوا الآن جميعًا.

القس ايقرلي تومس

وجاؤونا.

هانز فولمن

دخلوا في موكبٍ طويلٍ.

هانز فولمن

وكلّ منا يراهم على هيئةٍ مختلفة.

القس ايقرلي تومس

فتيات مرحات في فساتين صيفية، ببشرةٍ بنية، وشعرٍ منسدل، وضمائر
منسوجة من العشب في أساور، يقهقهن وهنّ يعبرن المكان. ريفيات مرحات
سعيدات.

مثلي.

مثل ما كنت.

السيدة أبيغيل بلاس

لضيفٌ من عرائس شابات جميلات، متهندمات، والياقات الحريرية
ترفرِف.

هانز فولمن

ملائكة، تعتني بأجنحةٍ مجسّمة غريبة، جناح كبير لكل امرأة، ومع كل انقباضة يُصبح الجناح علمًا شاحبًا، ملفوفًا على محوره.

القس ايغرلي تومس

مئات النسخ الكاملة من (غلبرت)، حبيبي الأول (والوحيد). مثلما كان يبدو في أفضل أيامنا في بيت العربات، وفوطةٌ رمادية ملفوفة بإهمال على خصره.

روجر بيقتز الثالث

بناقي. كاثرن ومارييث وأليس. عدة نسخ من كل واحدة، يمشين يداً بيد، والشعر للأعلى في ضفائر، وكل منهنّ ترتدي فستانَ عيد الفصح الماضي، وتمسك بزهرة عباد شمس.

جين إلس

تقدّمت للتذلّل أمامي مجموعة مرّجبة من الكسر-الفتيات (يلبسن جلابيب خشنة كنّ يفضّلنها، تتساقط من أكتافهنّ في عُهرٍ مقصود). لكنني رأيتُ وهزمتُ من هنّ على شاكلتهن مرات عديدة من قبل، وتركت الآن رونًا بنياً كبيرًا هديةً لهن، وعدت إلى المنزل، في انتظار رحيلهن.

الملازم سيسل ستون

مشت العرائس خلسة، كالصيّادين، يبحثن عن أية علامة على الضعف.

هانز فولن

قالت الملك القائدة: أين القس العزيز؟ وصوتها يرنج بأجراس زجاجية هشة كنا دائمًا ما نقرعها في آحاد الفصح.

القس ايثري تومس

واحد من الغلبرتات الكثيرة جاء، ركع بجانبني، طلب مني أن أكفّ عن سدّ أذني وأن أنظر إليه.

شيء ما في صوته جعل من المستحيل ألا أطيعه.

كان جميلًا فوق الوصف.

همس يقول: تعال معنا. هنا توخّش وعُزلة. أنت من معدن أرقى. تعال معنا، ونغفر كل شيء.

قال غلبرت آخر: نعلم ماذا فعلت. لا بأس.

قلت: لم أفعل. لم يكتمل الأمر.

قال غلبرت الأول: بل اكتمل.

قلت: يمكنني أن أصحح الأمر.

قال الثاني: يا للمسكين.

قال ثالث: اهدأ. اهدأ.

قال رابع: ما أنت إلا موجة ارتطمت بالشاطئ.

قلت: من فضلك لا تتعب نفسك. لقد سمعتُ كل هذا الـ

قال غلبرت الثاني بغلظة: دعني أقل لك شيئًا. أنت لست نائبة على أرضية، في مطبخ. انظر حولك يا أحمق. أنت توهم نفسك. لقد اكتمل الأمر.

لقد أكملته.

قال الأول: نحن إنما نقول هذه الأشياء لتسرع الأمر.

روجر بيفنز الثالث

إحدى البنات الريفيات كانت (ميراندا دب). تجلس هناك، حقيقية كالتراب، إلى جانبي كما في الماضي، وساقاها مشبوكتان تحت تنورتها الصفراء الشاحبة التي تفضلها. لكنها الآن أكبر حجماً، مقارنةً بي، مثل عملاق.

قالت: أنتِ في وضع صعب، حبيبتي أبيغيل، أليس كذلك؟ عادةً حين تستيقظين تجدين أنّ عدة أشياء نقصت من عندك، أليس كذلك؟ تعالي، تعالي معنا، نحن هنا لنحرّرك. انظري إلى أذرعنا، سيقاننا، ابتساماتنا. هل نحن كاذبات؟ من منا تبدو في صحة جيدة؟ من التي تعرفك منذ زمن؟ أتذكرين اختباءك ذات يوم صيفي في كومة القش؟ وأمك تناديك؟ كنتِ تحفرين هناك، سعيدة باختبائك؟

قالت أخرى: مثل هذا مضروب في مليون في المكان الذي سنأخذك إليه. عرفتها الآن، ليست سوى وصيفتي الحبيبة (سِثيا هويتن).

السيدة أبيغيل بلاس

قالت لي زوجتي بتسي: إدي، اللعنة أليست تلك (كويني)؟

كانت هي فعلاً! كويني واحدة من العاهرات من «پيردي». تعرف كيف تفتح فخذها.

قالت كويني: لعله آن الأوان للكف عن ذلك يا كابتن.

قلت: ولا في الأحلام.

قالت بتسي: إدي!

قلت: اغربي. أعرف ما أفعل.

قالت كويني: وما الذي تفعله؟

قلت: اذهبي للجحيم.

قالت: أظن أن زوجتك لها رأي آخر.

قلت: كلا، اغربي. نحن نساfer سوية.

قالت: عجبي.

عينا بتسي للأسفل.

قلت: أحسنت. اخفضي بصرك. عندها لن تستطيع أن تخادعك.

قالت كويني: لسنا هنا لنخادع أحداً.

قلت: افتحي ساقيك.

قالت لبتسي: نادينا في أي وقت تريدنا.

قلت: اغربي أيتها القح--.

إدي بارون

في لحظة ما، مشت الملائكة على نحوٍ جماعي في شعاعٍ من ضوء القمر، لتشير إعجابي بإشعاعهن. رفعتُ عينيَّ ورأيتُ لوحةً عذابٍ مذهلةً تنتشر حول البيت الحجري الأبيض. عشرات منا، متجمّدين في أسى. مدعنين،

منكفئين، زاحفين، جافلين أمام شقاوات الانقضااض الذي كان كل واحد منا يعانيه.

القس ايفرلي تومس

قالت ميراندا دب: أبي عزيزتي، دعيني أريك شيئاً.

وضعت يديها على جانبي وجهي.

ورأيت! رأيتُ المكان الذي كانت تريد أخذني إليه. التيار يجري للداخل، لا للخارج. سوف أعيش فوق تلة، وسوف تتصاعد الأحجار إليها. وحين تصل إليّ تنفلق. داخل كل حجر حبة. حين أتناول الحبة، أصاب بـأوه، يا إلهي! هذا كل ما أحتاج إليه.

لمرة واحدة.

لمرة واحدة في حياتي.

أسقطت ميراندا يديها من وجهي وعدتُ مرة ثانية إلى هنا.

قالت ميراندا: هل أعجبك ذلك؟

قلت: جداً جداً.

قالت صديقتها: تعالي معنا إذاً. هذه الصديقة كانت صديقتنا القديمة (سوزانا برغز)، تربط شعرها للأعلى في خِرقة، وفي فمها عشب طويلة.

اثنتان أخريان كانتا تلعبان لعبةً في مجرى الماء. هل هما (أديلا مكين) و(إيفا مكين)؟ نعم! بضعة أبقار تحدّق في اللعبة بحبّ. تعجّبتُ أن الأبقار يمكنها أن تحبّ، لكنّ هذا هو العالم الذي كان بصحبة هاته الفتيات الحلوات.

قالت ميراندا: لا أصدق أنكِ أرملة عجوز.

قالت سوزانا: وضئيلة الحجم.

قالت ميراندا: وأنتِ التي كنتِ دائماً جميلة جداً.

قال سنثيا: لقد قاسيتِ.

قالت سوزانا: لقد جرى التيار إلى الخارج، ولم يجرِ للدخول قطّ.

قالت سنثيا: الأحجار تدرجت للأسفل، لكنها لم تصعد للأعلى قطّ.

قالت ميراندا: في حياتك كلها لم تحصيلي على ما يكفي قطّ.

ترقرقت عيناها.

قلتُ: هذا صحيح جداً.

قالت ميراندا: إنما أنتِ موجة ارتطمت بالشاطئ.

قالت سوزانا: ونحن إنما نقول هذه الأشياء لنسرّع الأمر.

قلتُ إنني لم أكن أعرف شيئاً من ذلك، لكنني بالتأكيد أرغب في واحدةٍ من تلك الحبات.

قالت ميراندا: تعالي معنا إذًا.

توقفت أديلا وإيڤا في مجرى الماء تستمعان. وكذا فعلت الأبقار. وكذا فعلت الحظيرة، على نحوٍ ما.

كنتُ متعبةً جداً، وظللتُ متعبةً لمدة طويلة جداً.

قلتُ: أظنني سآتي.

السيدة أبيغيل بلاس

عن يساري علّت صرخة، صرخة فزعٍ أو نصر، لم أستطع أن أحدد،

متبوعة بصوت نارٍ مألوف لكنه دائماً ما يجمّد العظام من الخوف، مرتبط
بظاهرة التوهج الضوئي.

من الذي رحل؟

لم أستطع أن أحدد.

وكنْتُ أنا نفسي ما أزال تحت الحصار.

هانز فولمن

ضاعف معذبونا من جهودهم، كما لو أنّ ذلك النصر قد استثارهم أكثر.

القس ايثربي تومس

أمطرت السماء بتلات وردد، في إثارة مفرحة: أحمر، وردي، أصفر، أبيض،
أرجواني. ثم بتلات شفافة، بتلات مخططة، بتلات منقطة، بتلات منقوشة
(حين تأخذ واحدة من الأرض وتنظر إليها من قرب) بصورٍ مفصلة عن
طفولة المرء (حتى سيقان الأزهار المنكسرة والدمى المهملة). وأخيراً أمطرت
بتلات ذهبية (من ذهب حقيقي!) تنقر مع كل ضربة على شجرة أو علامة
حجرية.

روجر بيفنز الثالث

ثم غناء. غناء جميل، مليء بالشوق، والوعد، والطمأننة، والصبر، والمشاعر
العميقة.

هانز فولمن

القس ايقرلي تومس

اللعنة، تثير فيك الرغبة في الرقص.

بتسي بارون

اللعنة، لكنها تثير الرغبة في البكاء كذلك.

إدي بارون

أثناء الرقص.

بتسي بارون

جاءت أمي حوالي عشرة منها لكنّ رائحتهن لا تشبه رائحة أمي أبداً ترى
أيّ خدعة هذه أن ترسل لشخصٍ وحيد عشرة أمهات زائفات

واحدة من أمي قالت: تعال معنا يا ولي

بعدها فجأة أصبحت رائحتهنّ صحيحة جداً صحيحة وحين تضامّت
حولي كانت الرائحة صحيحة

أمي يا إلهي يا

قالت أمي أخرى: ما أنت إلا موجة ارتطمت بالشاطئ

قالت الثالثة: حبيبي ولي

قالت رابعة: حبيبي الحبيب ولي

كل واحدة من تلك الأمهات أحبّتي وأرادتني أن أذهب وقالت إنها ستأخذني إلى البيت فور أن أجهز.

ولي لينكون

متى ستدركُ المتعة الكاملة في فراش الزوجية، متى ستمسك جسد أنا العاري، متى ستلتفت إليك بتلك الهيئة، بالشفتين الجائعتين والوجنتين المتوردتين، ومتى سينهمر أخيرًا شعرها المنساب لَعوبًا حولك؟ (هكذا تحدثت إلزبث غروف، ابنة عم زوجتي - أو كائنة مخادعة متشكلة في صورة إلزبث - في ملابس رقيق، وياقة حريرية ترفرف).

قالت عروس أخرى: أنا أخبرك متى. عرفتُ فيها جدّتي العزيزة (وهي أيضًا مهندمة على نحوٍ مشوّش في ملابس رقيق، وياقة ترفرف). لن يحدث أبدًا. أنت توهم نفسك يا كوجل.

لقد تحصّلوا على لقبى بطريقةٍ ما في زيارتهم السابقة.

قالت إلزبث: إنه ليُحزن أنا أن تبقى هنا. طلبتُ مني أن أنقل لك رسالتها. كنتُ أضعف مع كل ثانية، وعرفتُ أنني لا بدّ أن أستجمع بعض القوة. قلت: هل هي هناك الآن؟ تنتظرنني؟ في ذلك المكان الذي تلحون عليّ أن أذهب إليه؟

تورّطوا الآن. فهم على الرغم من خداعهم إلا أنهم يفضلون ألا يكذبوا. سدّدت إلزبث نظرة متوتّرة إلى جدتي، والدم يجري في وجنتيها. قالت إلزبث: إنه - إنه من الصعب الإجابة على سؤالك.

قلت: أنتم شياطين. تتخذون هذه الهيئات المألوفة كي تأخذوني إلى هناك.

قالت جدتي: وأنت صادقٌ يا كوجل؟

قالت إلزيبث: هل أنت صادق فيما يتعلق بوضعك؟

قالت جدتي: هل أنت «مريض» يا كوجل؟ هل يضع الأطباء المرضى في

«صناديق مرضى»؟

قالت إلزيبث: لا أذكر أن أحداً يفعل ذلك في وقتنا.

قالت جدتي: إذاً ماذا نفهم من ذلك يا كوجل؟ ما أنت؟ وأين أنت؟

اعترف بالأمر يا بني، صدّقه، قلبه بصوت عال، استفد منه، والحق بنا.

قالت إلزيبث: نحن إنما نقول هذه الأشياء لكي نسرّع الأمر.

أدركتُ أنني لا أبداً أن أستخدم العلاج الأخير.

قلت: مع من تتحدثون؟ من يسمعكم؟ لمن تستمعون؟ يدُ من الآن

تتبعون، وهي ترتفع لتشير إلى السماء؟ ما مصدر الصوت الذي يسبب

نظرات الارتياح تلك على وجوهكم؟ ها أنا. أنا هنا. أليس كذلك؟

وقد فعل الأمر فعله المعتاد.

ارتبكت العرائس وانكمشت، ثم جثمت وهي تهمس لبعضها، تضع

خطةً جديدةً للهجوم.

ولحسن الحظ، في تلك اللحظة، قُطع اجتماعهم الذي يتآمرون فيه،

بصوت حداثين بعيدين منفصلين، صوت النار، والتوهج الضوئي. واحد

من الجنوب، والآخر من شمال الغرب.

هانز فولمن

انطلق إدي نحو الأصوات.

أحيانًا يرتعب جدًا.

جاءتني إحدى العاهرات. ثم انتبهتُ أنها لم تكن عاهرة، بل ابنتنا ماري
ماغ! اللعنة، إنها متهندمة! جاءت لزيارتنا أخيرًا! بعد كل هذه السنوات
اللعينة!

قالت: أمي. نعتذر لأننا كنا مقصّرتين جدًا. أنا وإيفريت.

قلت: إيفريت من؟

قالت: ابنك. أخي.

قلت: تقصدين إدورد؟ إدي؟ إدي الصغير؟

قالت: إدورد، نعم. صحيح. آسفة. على أية حال، كان لا بد أن نأتي منذ
زمن طويل. لكنني كنت مشغولة. صرت امرأة ناجحة. لديّ من يحبني.
وأنجبت أطفالًا عديدين ذوي جمال رائع وذكاء. وكذلك إيفريت.

قلت: إدورد.

قالت: إدورد، نعم. أنا منهكة! من.. من نجاحاتي كلها!

قلت: حسنًا، لا بأس. أنتِ هنا الآن يا بنيتي.

قالت: أمي، تأكدي أن كل شيء على ما يرام. لقد فعلتِ أفضل ما يمكنك
فعله. لا نلومك على شيء. نعرف أنك قد تشعرين أحيانًا ببعض التقصير
كأم—

قلت: كنتُ أمًا خر--، أليس كذلك؟

قالت: أيًا ما كانت الأخطاء التي تشعرين أنكِ كنتِ مسؤولة عنها،
اتركيها وراء ظهرك الآن. كل شيء أصبح جيدًا. تعالي معنا.

قلت: آتي أين؟ أنا لا—

قالت: ما أنتِ إلا موجة ارتطمت بالشاطئ.

قلت: اسمعي، أنا لا أفهم هذا.

عندها أتى إدي مسرعًا.

بطلي!

ها.

قال: أنتِ، اغربي عن هذا المكان.

قلت: إنها ماري ماغ.

قال: كلا ليست هي. انظري.

التقط حجرًا وألقاه. على ماري ماغ! حين مرّ الحجر من خلالها، لم تعد ماري ماغ، ولا أي شخص أو شيء لعين آخر. فقاعة أو انفجار شمسٍ في هيئة فستانٍ ملعون.

قالت الفقاعة: سيدي، أنت أحق.

ثم استدارت إليّ.

قالت: أما أنتِ يا مدام، أقلّ حمقًا.

بتسي بارون

وضعتُ قائدة الملائكة وجهي بين يديها، وجناحها يهتزّ إلى الأمام والخلف، ما ذكّرني بذيل حصان وهو يأكل.

قالت: هل يزدهر حالك هنا يا أبونا؟ امتد الجناح فوقها في كسل. هل

ذلك الذي خدمته في حياتك حاضر هنا؟

قلت: اعتقد.. أعتقد أنه حاضر.

قالت: بالتأكيد، في كل مكان. لكنه لا يجب أن يراك متلكنًا هنا. بين رفقاء
وضيعين كهؤلاء.

كان جماها وافرًا، يزداد كل ثانية. أدركت أنني لا أبدأ أن أنهي لقاءنا، وإلا
حدثت كارثة.

قلت: أرجوك اذهبي. لا أريد—لا أريدك اليوم.

قالت: قريبًا إبدأ؟

وتفجّر جماها فوق الوصف.

وانفجرتُ باكيا.

القس ايفرلي تومس

كفجأة البداية، انتهت الهجمة فجأة.

هانز فولمن

كما لو أنّ معذبينا رحلوا عند إشارة مشتركة يعرفونها، وغناؤهم يغدو
بائسًا حزينًا.

القس ايفرلي تومس

أصبحت الأشجار رمادية حين صحت، واختفى الطعام، وانحسرت

الجداول، وتبدّد النسيم، وتوقّف الغناء.

روجر بيقتز الثالث

وأصبحنا وحيدين.

هانز فولمن

وكل شيء عاد إلى كآبته.

القس ايقرلي تومس

تقدّمنا أنا والسيد فولمن والقس تومس من فورنا لنعرف من الذي
استسلم.

روجر بيقرن الثالث

الأول كان البخيلة السيدة بلاس.
القس ايقرلي تومس

حول سطح بيتها تناثرت أطراف الطيور الميتة والغصينات والحصيات،
وبقية كنوزها. لا أحد يهتمّ بها الآن؛ لم تعد لها قيمة.
هانز فولمن

واتضح أنّ الثاني كان السيد (أ. ج. كومبس).
القس ايقرلي تومس

المسكين. لم يكن أيّ منا يعرفه جيدًا. ظلّ هنا سنوات عديدة، لكنه قلّم
كان يغادر صندوق المرضى.

هانز فولمن

وحين يغادره، كان دائماً ينبح قائلاً: «هل تعرف من أكون يا سيدي؟ يحجزون لي طاولة في بنلي! أنا أحمل وسام الصقرا!». ما زلت أتذكر صدمته حين قلتُ له إنني لا أعرف ذلك المكان. صاح متعجباً: «بنلي هو البيت الأرقى في المدينة!». فسألته «أي مدينة؟»، فقال واشنطن، ثم وصف لي المكان، لكنني كنتُ أعرف ذلك التقاطع، وكان بالتأكيد موقع اسطبلات، وقلتُ له هذا. فقال: «إنني أشفق عليك!». لكنني صدمته. جلس برهةً على هضبته، يمسّد ذقنه متفكراً. ثم انفجر: «لكنك بالتأكيد تعرف السيد همفريز المحترم، أليس كذلك؟».

والآن ذهب.

وداعاً سيد كومبس، وعسى أن يعرفوا بنلي في المكان الذي أنت فيه.

روجر بيفتز الثالث

مررنا بكثيرين يجلسون مكتئين فوق هضابهم، أو على عتبات بيوتهم الحجرية، ليكون من أثر المقاومة. آخرون جلسوا في هدوء يسترجعون الرؤى الجذّابة والإغراءات العديدة التي تعرّضوا لها قبل قليل.

القس ايثريلي تومس

شعرتُ بعاطفةٍ متجددة لجميع من بقي.

روجر بيفتز الثالث

لقد عُربِل القمح.

القس ايقرلي تومس

طريقنا لا تصلح للجميع. هناك كثيرون، ولا أقصد أن أستخفّ بهم،
يفتقرون إلى العزيمة اللازمة.

هانز قولمن

لا شيء يعينهم بما يكفي. هذا هو السبب.
روجر بيقتز الثالث

تذكرنا الصبيّ فجأة، ونحن لا ندري من الضحية الثالثة.

هانز قولمن

بدا من غير المرجّح أن ينجو شخص في هذه السن الصغيرة من هجمة
قاسية كتلك.

القس ايقرلي تومس

وهذه هي النتيجة المرغوبة—

روجر بيقتز الثالث

بالأخذ في الاعتبار صغر سنّه—

هانز ثولمن

فالبديل هو أن يظلّ عبدًا إلى الأبد—

روجر بيقتز الثالث

وجدنا أنفسنا في حالة حزنٍ، لكنه ارتياح أيضًا، ونحن نمضي لتأكد من
رحيله.

القس ايفرلي تومس

لك أن تتخيّل دهشتنا حين وجدناه متربعا على سقف بيته الحجري.
هانز فولن

قال السيد فولن في دهشة: ما تزال هنا!
فأجاب الصبيّ بجفاف: نعم.
روجر بيفنز الثالث

كان منظره مفرعاً.
القس ايثري تومس
لقد كلّفته محاولات المقاومة كثيراً.
هانز فولن

لا ينبغي لهؤلاء الصغار أن يمكثوا طويلاً.
القس ايثري تومس

كان يلهث. يدها ترتعشان. في تقديري لقد فقد نصف وزنه تقريباً.

برز فكّاه، وتضخّمت ياقة قميصه على رقبة التي غدت كالعصا. ظهرت حلقتان سوداوان كالفحم تحت عينيه. وكل هذه مجتمعة جعلت منظره غريبًا كالشبح.

روجر بيقتز الثالث

كان ولدًا ممتلئًا.

هانز فولمن

لكنه لم يعد ممتلئًا.

روجر بيقتز الثالث

همس السيد بيقتز: يا إلهي!

هانز فولمن

لقد استغرق الأمر من فتاة ترينر قرابة شهرٍ كي تنحدر إلى هذا المستوى.

روجر بيقتز الثالث

قال القس للصبي: بقاؤك هنا حتى الآن مثير للإعجاب.

وأضفتُ قائلًا: بل بطوليّ.

فقال القس: لكنه غير حكيم.

هانز فولمن

قال السيد فولمن بلطف: لا بأس. نحن هنا. امضِ في سلام، فقد منحنا
أملاً كبيراً سوف يبقى معنا سنوات عديدة وينفعنا. إننا نشكرك، ونرجو لك
الخير، ونبارك رحيلك.

القس ايثري تومس

قال الصبي: نعم، غير أني لن أذهب.

روجر بيثنز الثالث

عند ذلك امتقع وجه القس بدهشة أكثر وضوحاً من مستوى الدهشة
المعتاد في وجهه.

هانز فولمن

قال الصبي: لقد وعدني أبي. كيف سيكون الأمر لو أنه عاد ووجدني قد
رحلت؟

قال السيد فولمن: والدك لن يعود.

قلت: ليس قريباً، على أية حال.

قال السيد فولمن: وعندها لن تكون في وضع يسمح لك باستقباله.

قال القس: إذا جاء والدك، سنقول له إنك اضطررت إلى الرحيل.
ونشرح له أن هذا أفضل لك.

قال الصبي: تكذبون.

بدأ أن تدهور الصبي قد بدأ الآن يؤثر على سلوكه.

قال القس: عفواً؟

قال الصبي: أنتم الثلاثة كذبتم عليّ منذ البداية. قلتُم ينبغي عليّ أن
أذهب. ماذا لو أنني ذهبت؟ كنتُ سأفوتُ زيارة أبي. والآن تقولون إنكم
ستبلغونه رسالة؟

قال القس: سوف نفعل. بالتأكيد سوف—

قال الصبي: ولكن كيف؟ أليكم طريقة للتواصل؟ لم تكن لديّ. حين
كنتُ هناك داخله.

روجر بيقتز الثالث

قال السيد فولمن: نعم. لدينا طريقة.

القس ايثري تومس

(غامضة. لا يمكن القول إنها موثوقة).

روجر بيقتز الثالث

(تاريخيًا لم يُجسم هذا الأمر).

هانز فولمن

عندها، من الجهة المقابلة جاء صوت السيدة (ديلاني) وهي تنادي على زوجها.

القس ايقرلي تومس

قبل سنوات عديدة، سبقها زوجها إلى هذا المكان. لكنه لم يبق هنا. أي أنه على الرغم من وجود هيئته المريضة في المكان الذي وضعتها فيه، إلا أن السيد ديلاني نفسه—

روجريفتز الثالث

كان في مكان آخر.

القس ايقرلي تومس

مضى.

هانز فولمن

لكنّ المسكينة لم تستطع أن تعزم أمرها على أن تتبعه.

روجريفتز الثالث

بسبب حَدَثٍ غريب. حدث مع سيد ديلاني آخر.

القس ايقرلي تومس

شقيق زوجها.

هانز فولمن

لم يبد الأمر «غريبًا» في وقته، بل مُلِحًا، ومحتومًا، ورائعًا.

روجر بيغنز الثالث

لكنها أضحت بقلبٍ مقسوم. فقد قضت سنوات عديدة في ذلك المكان السابق، مشتاقة إلى هذا الديلاني الآخر، وسجينة في زواجها—

القس ايقرلي تومس

خلال شهر من مجيء زوجها إلى هنا، هرعت إلى ذلك الديلاني الآخر، لكنه سرعان ما سقط من عينها، ذلك أنه لم يحترم أبدًا ذكرى زوجها (أخيه)، ما كشف لها أنه من طبيعة فاسدة جشعة (بعكس زوجها الذي اكتشفت أنه كان مستقيمًا في كل شيء).

هانز فولمن

رغم أنه بسيط وخجول ولا يحظى بشيء من الإغراء الجسدي الجاذب الذي كان لأخيه (ناقص الأخلاق).

روجر بيغنز الثالث

وهكذا وجدت نفسها معلقة.

هانز قولن

تشتاق جسديًا إلى ذلك الديلاني (الذي ما يزال هناك، في ذلك المكان السابق).

القس ايقرلي تومس

لكنها أيضًا ترغب في أن تذهب وترى زوجها مرةً أخرى، وتعتذر له.

روجر بيفنز الثالث

لأنها ضيّعت سنوات عديدة من حياتها معًا وهي تشتتهي رجلًا آخر.

هانز قولن

باختصار، لم تعرف ما إذا كانت آتية أم ذاهبة.

القس ايقرلي تومس

ذاهبة أم منتظرة.

روجر بيفنز الثالث

وهكذا أصبحت تهيم وهي تصيح: «سيد ديلاني!».
القس ايقرلي تومس

بلا انقطاع.

هانز فولمن

لم نعرف أبداً أيّ ديلاني هذا الذي تناديه.
روجر بيقتز الثالث

ولا هي تعرف.

القس ايقرلي تومس

يا إلهي، فجأةً شهق الصبي. رجفةٌ خوفٍ واضحة في صوته.
هانز فولمن

مددتُ بصري، فهوى قلبي.

تفكّك السقف الذي حوله، فبدأ أنه يجلس على وحلٍ أبيضٍ-رمادي.
روجر بيقتز الثالث

من ذلك الوحل ظهرت وُريقة متسلقة كالكرمة.

القس ايثري تومس

كانت تزداد سمكًا كلما اقتربتُ من الصبي، ثم اندفعت كالكوبرا على ذلك المكان بين ريلتي ساقيه.

روجر بيغنز الثالث

مددتُ يدي كي أهشها بعيدًا، فوجدتها صلبة، أقرب إلى الحجر منها إلى الأفعى.

القس ايثري تومس

تطوّر مخيف.

روجر بيغنز الثالث

إنها بداية النهاية.

هانز فولمن

لو اعتبرنا حالة الأنسة ترينر مؤشراً، فإنّ هذه الوريقة المتسلقة سوف
تتبعها أخريات إلى أن تقيّد الصبي تماماً بالسقف.

روجر ييفنز الثالث

وما إن يُقيّد، حتى تتنامى عليه بسرعة ما يمكن أن نسميها نسيجاً مشيمياً
لامعاً.

القس ايقرلي تومس

ثم يزداد هذا النسيج اللامع صلابةً ليتحول إلى قشرة أشبه بالصدفة،
وتبدأ هذه القشرة في التحول عبر سلسلة من الأشياء الأخرى (جسر متهدم،
نسر، كلب كبير، عفريته مخيفة، الخ)، وكلّ منها مكتمل التفاصيل وأكثر
إرعاباً من العفريته. والغرض من هذه العملية هو زيادة سرعة التفافه نحو
الأسفل؛ وكلما انحرفت القشرة أكثر، كلما قلّ «الضوء» الداخل (السعادة،
والصدق، والطموحات الإيجابية).

روجر ييفنز الثالث

ما يقوده أبعد فأبعد عن الضوء.

هانز فولمن

أصابتنا ذكريات الأنسة ترينر بالكآبة.

القس ايقرلي تومس

فقد أعادت إلى ذاكرتنا ما لحق بنا من عار في تلك الليلة البعيدة.

روجر بيفنز الثالث

حين تخلينا عنها.

هانز فولن

وابتعدنا مضطربين، ورؤوسنا منكّسة.

روجر بيفنز الثالث

نبارك هلاكها ضمناً.

القس ايقرلي تومس

وهي تنحدر.

هانز فولن

تذكرنا غناءها بسعادةٍ أثناء التشكّل القشريّ الأولي، كما لو أنها كانت تنكر ما يحدث.

روجر بيغنز الثالث

«غصنٌ ثقيلٌ تدلّي».

هانز فولمن

يا للطفلة المسكينة.

القس ايثربي تومس

صوتها جميل.

هانز فولمن

ظل يقلّ جماله مع تشكّل القشرة الأول، ثم اتخذت شكل غراب بحجم فتاة.

روجر بيغنز الثالث

ينعق بذلك اللحن على نحوٍ كابوسي.

هانز فولمن

يرفرف علينا كلما زاد اقترابنا، بذراعٍ بشرية واحدة، وجناح أسود هائل.
القس ايقرلي تومس

لم نفعل ما يكفي.

هانز فولن

كنا جديدين آنذاك.

روجر بيغنر الثالث

مشغولين جدًا بتحديات البقاء.

هانز فولن

لم تكن بسيطة.

روجر بيغنر الثالث

ولم تقلّ مع مرور الوقت.

القس ايقرلي تومس

لقد سقطتُ من عين نفسي في ذلك اليوم.

هانز فولمن

نعم.

روجر بيفنز الثالث

قُرْع جرس الكنيسة الآن ثلاثًا.

هانز فولمن

فأعادنا بسرعة إلى الحاضر، وهو يُصدر رنينه الناشز الغريب كالعادة.

القس ايثربي تومس

أنانيون، أنانيون، أنانيون.

روجر بيفنز الثالث

اتسعت العينان الكبيران للسيد بيفنز وكأنهما تقولان: أيها السادة، حان وقت الذهاب.

القس ايثربي تومس

ومع ذلك بقينا.

نهش الوريقات المتسلقة كلما ظهرت.

روجر بيفنز الثالث

صمّت الصبيّ.

هانز فولن

والتفّ على نفسه.

القس ايقرلي تومس

يغيب عن الوعي ويحضر.

هانز فولن

يغمغم ويتقلّب، ومن الواضح أنه تائه في حلمٍ هذيانيّ.

روجر بيفنز الثالث

همس يقول: أمي.

القس ايقرلي تومس

تقول أمي يمكنني أن أذوق مدينة الحلوى حينما أتعافى وأغادر سريري لقد احتفظت لي بشوكولاتة على شكل سمكة ونحلة من العسل تقول إنني ذات يوم سأقود كتيبة سأعيش في بيت كبير قديم وأتزوج فتاة حلوة جميلة وأنجب صغارًا هاهاها يعجبني ذلك وكلنا نجتمع في بيتي الكبير وتناول أحلى تقول أمي سأكون أسعد امرأة عجوز وأنتم ستحضرون لي الكعك طوال الوقت فيما أكتفي أنا بالجلوس كم سأكون سمينه وأنتم يا أولاد عليكم أن تشتروا عربة وتتبادلون الأدوار في دفعي هنا وهناك هاهاها

لأمي طريقة جميلة في الضحك

نحن على الدرجة الثالثة في السلم الدرجة رقم 3 التي عليها ثلاث ورود بيض هكذا هو الترتيب في عدد الورد البيض من الدرجة رقم 1 إلى الدرجة رقم 5: اثنتان، ثلاث، خمس، اثنتان، ست

تقرب أمي تضع أنفها على أنفي تُسمى هذه الحركة «ني ني» وهي طفولية لكنني أسمح بها من وقت لآخر يأتي أبي يقول هل يمكنني الانضمام إلى كومتكم

يمكنه ذلك

إذا وضع أبي ركبتيه على الدرجة رقم 2 ومدّ جسمه يستطيع أن يصل بأصابعه إلى الدرجة رقم 12 إنه طويل سبق وأن فعل ذلك مرات عديدة

لا مزيد من لعبة الكومات إلا إذا استعدت عافيتي

هكذا أعرف ما ينبغي عليّ فعله عليّ أن أبقى هنا ليس سهلاً لكنني أعرف

معنى الشرف معنى أن تشحذ سلاحك ليس من السهل أن تكون شجاعاً
تذكر العقيد إلس الذي قتله المتمردون لأنه مزق علم المتمردين بشجاعة عليّ
أن أبقى إذا كنتُ أودّ العودة إلى البيت متى سأعود متى أستطيع العودة

لن أعود أبداً إن ظللت ضعيفاً

ربها أعود إن أصبحت قوياً

ولي لينكون

انفتحت عينا الصبيّ بغتة.

روجر بيقتز الثالث

قال: المكان غريب هنا.

قال السيد بيقتز: ليس غريبًا.

قال القس: من السهل على المرء أن يعتاد عليه.

قال السيد بيقتز: إن كان ينتمي إلى هنا.

قال القس: وأنت لست كذلك.

هانز فولمن

عندها سَبَّحت أمامنا ثلاثة أفلاك هلامية، وكأنها تبحث عن أحد.

القس ايقرلي تومس

وأدركنا أنّ السيدة إلس كانت ثلاثة الذين استسلموا.

روجر بيقتز الثالث

كانت الأفلاك فارغة الآن، أي أنها لم تكن تحتوي على أية فتيات.

هانز قولن

تبخرت في مرارة، وبدت وكأنها ترمقنا، ثم انحرفت بعيداً نحو المنحدر
إلى الجدول، وازدادت عتمة، ثم اختفت تماماً.

القس ايثري تومس

قال السيد بيغنز وهو يتورّد قليلاً: ليس غريباً أبداً.

هانز قولن

وهطل علينا مطرٌ من قبعات.

القس ايقرلي تومس

من كلّ الأنواع.

روجر بيقتز الثالث

قبعات، وضحك، ودعابات فجّة، وأصوات ضرطات بالفم، من مكان عالٍ: كانت هذه بشائر مقدّم «العزّاب الثلاثة».

القس ايقرلي تومس

ورغم أنّهم الوحيدون من بيننا الذين يستطيعون الطيران، إلا أننا لم نحسدهم على ذلك.

هانز فولمن

ذلك أنهم لم يجربوا العشق في ذلك المكان السابق، فظلوا مجمّدين هنا في حالةٍ مفعمة بالشباب من خواءٍ عاطفيٍّ دائم. لا يابهون إلا بالحرية والتهتك،

والقصف، والعيش دون أية حدودٍ أو التزامات من أي نوع.

القس ايثري تومس

يحيون للمرح والبهجة. ولا يثقون بأي أمرٍ جاد. يعيشون من أجل اللهو

وحده.

روجر بيثنز الثالث

صيححاتهم الصاخبة كثيرًا ما يتردد صداها فوقنا.

القس ايثري تومس

في بعض الأيام تكون مجرد سيلٍ مستمرٍ من القبعات.

روجر بيثنز الثالث

من كلّ الأنواع.

هانز قولمن

يبدو أنّ لديهم مخزونًا كبيرًا منها، لا ينفد.

روجر بيثنز الثالث

في تتابع سريع سقطت قبة دربي، وقبة ذات قرنين، وأربع قبعات ذات ريش، متبوعة بالعزّاب أنفسهم، إذ هبطوا بأناقية فوق سطح البيت الحجري الأبيض، وكلّ منهم يميل قبعته.

قال السيد (لپرت): بعد إذنكم، نحتاج إلى استراحة.

قال السيد (كين): الطيران يتعبنا.

قال السيد (فولر): رغم أننا نحبه.

قال السيد كين حين أبصر الصبي: يا إلهي!

قال السيد فولر: لا يبدو مرحًا.

قال الصبي وهو يرفع نفسه: كنتُ مريضًا بعض الشيء.

قال السيد كين: نعم واضح.

قال السيد فولر وهو يسد أنفه بأصابعه: ثمة رائحة سيئة في هذه البلاد.

قال الصبي: كان أبي هنا ووعدني بالعودة. أحاول أن أبقى.

قال السيد لپرت رافعًا حاجبه: أتمنى لك كل التوفيق.

قال السيد كين: انتبه لساقك يا ولد.

وإذ انشغلنا بالضيوف فقد قصّرنا في واجبنا. كانت ساق الصبي اليسرى الآن مربوطة بالسقف عبر عدة وُريقات جديدة، وكلّ منها بعرض معصم اليد.

صاح الصبي والدم يجري في وجنتيه: يا إلهي.

لم يكن من السهل فكّ وثاقه، بل يكاد يساوي ذلك الجهد المبذول في اقتلاع جذور التوت الأسود. لقد تحمّل الأذى الناجم عن هذه العملية بنباتٍ عسكريٍ لافت بالنسبة لسنّه، فلم تندّ عنه سوى نخرة رزينة مع كل

سَحْبَة، ثم حين شعر بالإنهاك عاد إلى حالته السابقة من النوم الحَدِر.

قال السيد فولر بصوت خافت: والده هذا، هل له ساقان طويلتان؟

قال السيد لپرت: مظهره حزين نوعًا ما؟

قال السيد كين: طويل ويبدو رثًا بعض الشيء؟

قلت: نعم.

قال السيد فولر: صادفناه للتو.

قلت: عفواً؟

قال السيد كين: صادفناه للتو.

قال السيد فولمن غير مصدق: هنا؟ ما يزال هنا؟

قال السيد لپرت: في الخارج قرب (بِلنغِوِذر: كان زوجًا، وأبًا، وصانع

سفن(1)).

قال السيد فولر: يجلس صامتًا.

قال السيد كين: صادفناه للتو.

القس ايثري تومس

قال السيد فولر: إلى اللقاء.

قال السيد لپرت: نستأذنكم. لقد حان موعد تطوافنا السريع حول

المكان، نطوف على بعد ستيمترات فقط من السور المخيف، لنعرف أي

واحد منا قد يكون الأقرب، رغم آثار الغثيان التي تصيبنا من هذا القرب.

هانز فولمن

1 - المكتوب على شاهد قبره. (المترجم).

وذهبوا، وهم يصدرون ثالوثًا هائلًا بأصوات الضربات من أفواههم،
ويلقون علينا فيما يشبه الوداع مطرًا من القبعات الاحتفالية بألوان مختلفة.

روجر بيغنز الثالث

لقد أصابنا هذا الكشف بصدمة.

هانز فولمن

كان غريبًا أن يأتي الرجل أصلًا. والأغرب أنه ما يزال هنا.

القس ايشري تومس

لم يكن ما يقوله العزّاب محل ثقة.

هانز فولمن

فمن عادتهم أن يبتكروا المقالب والخدع، فهم يخافون من الضجر.

روجر بيغنز الثالث

ذات مرة أقنعوا السيدة (تسنبوم) أنها كانت متجسدة بملابس داخلية.

هانز فولمن

ظلت بعدها عدة سنوات منكمشة على نفسها خلف شجرة.

روجر بيغنز الثالث

ومن وقتٍ لآخر كانوا يخفون أشياء السيدة بلاس، أطراف الطيور الميتة
والحصيات والغصينات وذرات الغبار.

القس ايفرلي تومس

ما يجعلها تهرع في المكان وهم يطوفون في الأعلى، يشجعونها بإرشادات
زائفة أن تقفز فوق غصون مكسورة أو تعبر سواقي ضيقة، والتي لم تكن
تبدو ضيقة بالنسبة للمسكينة بل كجداول كبيرة متدفقة.

روجر بيغنز الثالث

لذلك لا ينبغي الوثوق بكلام العزّاب ثقة تامة.

هانز فولمن

مع ذلك، فالأمر كان مثيرًا للاهتمام.

روجر بيغنز الثالث

ويستحقّ منا التحقق أكثر.

هانز فولمن

قال القس بحدّة وكأنه أدرك ما ننوي أن نفعله: أعترض على ذلك.
ثم أشار بنظرة ذات مغزى أنه يريد التحدث معنا على انفراد.
روجر بيئنز الثالث

نزلنا نحن الثلاثة إلى البيت الحجري الأبيض.

هانز فولمن

كانت الحرارة أدنى بعدة درجات هناك، والمكان يعبق برائحة عَفْنُ
وأوراق قديمة.

روجريبيقتز الثالث

ورائحة الرجل، بعض الشيء.

هانز فولمن

قال القس: إنما نحن هنا بفضل الرحمة. أما قدرتنا على البقاء فليست
مؤكدة. لذلك علينا أن نحافظ على قوتنا، ونحصر أعمالنا فيما يخدم هدفنا
الأساسي. لا نريد التورط في سفاهة ما، فنبدو جاحدين لتلك الرحمة
المجهولة التي تبقينا هنا. نحن هنا الآن، لكننا لا نعرف إلى متى، وبناء على
أي مغفرة خاصة لا نعلمها. هذا ما ليس لنا أن—

روجريبيقتز الثالث

بدأت كثير من أعين السيد بيفتز تتقلب في ضجر.

هانز فولمن

في انتظار أن ينزل القس من برجه العالي، كان السيد فولمن يسلي نفسه بوضع حصاة على عضوه الضخم ويراقبها وهي تسقط.

روجر بيفتز الثالث

قال القس: ينبغي علينا أن نهتم بأنفسنا. وبذلك نحمي الصبي أيضًا. لا ينبغي أن يسمع شيئًا عن هذه الإشاعة التي لا يُرجى منها سوى أن تزيد من آماله. ونحن نعرف جيدًا أنّ فقدان الأمل هو الذي سوف يقوده إلى ما يتوجب عليه فعله. لأجل هذا، ولا كلمة! اتفقنا؟

تمت بنا بالموافقة.

هانز فولمن

نظرًا لضعف المرونة اللازمة في ساقَي القس (العتيقتين) (ذلك أنه جاء هنا عجوزًا أصلًا)، فقد بدأ يتسلق أحد الجدران بيديه، وسرعان ما اختفى عبر السقف (ولكن ليس بتلك السرعة).

روجر بيفتز الثالث

تاركًا إياي والسيد بيفتز وحيدين هناك في الأسفل.

هانز فولمن

في الحقيقة كنا ضجرين، ضجرين جدًّا، في ضجر لا حدود له.

روجر بيفنز الثالث

فكلّ ليلة تشبه أختها على نحوٍ قاتل.

هانز فولن

جلسنا على غصن كل شجرة. قرأنا كل حجرٍ وأعدنا قراءته. مشينا (وعدونا، وزحفنا واستلقينا) في كل ممشى وطريقٍ وعرٍ عشبي، وخضنا كل جدول. لقد عرفنا كل ملمسٍ ومذاقٍ لأنواع التربة الأربعة هنا. وجردنا كل ما لدى رفاقنا من تصفيفة شعر، وزيّ، ودبوس شعر، وجيب ساعة، وزوج جوارب، وحزام. استمعْتُ إلى قصة السيد فولن آلاف المرات، وحكيْتُ له قصتي آلاف المرات على الأقل.

روجر بيفنز الثالث

باختصار، كان المكان مملًا للغاية، فاشتهدنا أدنى قدر ممكن من التغيير.

هانز فولن

فأيّ شيءٍ جديدٍ هنا يُعدّ كنزًا. كنا نهفو إلى أية مغامرة، إلى أدنى قدرٍ من اللهو.

روجر بيفنز الثالث

فخطر لنا أنه لن يكون هناك أي ضرر لو ذهبنا في نزهة سريعة.

هانز فولمن

إلى المكان الذي يجلس فيه الرجل.

روجر بيقتز الثالث

ولا ضرورة لأن نخبر القسّ بذلك.

نذهب..دون كلام.

هانز فولمن

من المريح أن نتحرر من الحمل القديم لبعض الوقت.

روجر بيقتز الثالث

انطلقنا أنا والسيد بيقتز فاخترقنا الجدار الأمامي.

هانز فولمن

وتجاهلنا صيحات القس الآتية من أعلى السطح.

روجر بيقتز الثالث

عبرنا من الوهدة المليئة بالبرسيم حيث يعيش سبعة من أسرة بالمر،
وسرعان ما وصلنا إلى ممر اللوح الرمادي الذي يجري في الأسفل بين
(كوتس) في جانب و(ومبرغ) في الجانب الآخر.

هانز فولمن

انطلقنا ونحن نعبر من (فدرلي: طوبى لمن يموت في الضوء).

روجر بيقتز الثالث

شاهدُ يبدو كقطعة شطرنج، تعلوه مزهرية تنتهي بها يشبه الحكمة.

هانز فولمن

وعبرنا من تجمّع م. بويدن/ ج. بويدن/ غري/ هبرد.

روجر بيقتز الثالث

ودخلنا في ذلك التجويف الصغير الذي تنمو فيه في الربيع أزهار قمعية
ومخروطية.

هانز فولمن

أما الآن فليس سوى شبكة ضخمة هامة من الرماديّ.

روجر بيقتز الثالث

وفيها طائران شتويان بليدان رمقانا بنظرة ونحن نعبر.

هانز فولمن

فالطيور لا تثق بمن هم على شاكلتنا.

روجر بيقتز الثالث

عدونا على الجانب القصي من التلة الشمالية، فحيّنا (ميركل) (الذي
رفسه ثور لكنه ما يزال يتطلع إلى الرقص)، و(هوستربل) (وهو رجل غندور
ذهبت وسامته، كان يتمنى بقوة أن يعود شعره ولثته وأن لا تبدو عضلات
ذراعه مثل الأربطة المترهلة، وأن تُحضر له بدلة العشاء، وقارورة عطر وياقة

أزهار، كيما يمكنه استئناف مغازلاته)، وكذلك السيد (وست) وزوجته (حريق بلا سبب معقول، إذ إنهما كانا دائماً حريصين جداً فيما يتعلق بالموقد)، والسيد (دل) (الذي يغمغم في رضا عن علامات حفيده الرائعة في الجامعة، متلهفًا لتخرجه في الربيع).

هانز فولمن

ومضينا أمام (تريفور وليمز)، وهو صياد سابق، جالسًا أمام كومة هائلة من جميع الحيوانات التي اصطادها في زمانه. مئات الغزلان، واثنان وثلاثون دبًا أسود، وثلاثة دبية صغار، وما لا يُحصى من الراكون والوشق والثعالب والمِنك والسناجب والديوك الرومية والفئران الجبلية والأسود الأميركية، وعشرات من الفئران والجردان، وكومة من الأفاعي، ومئات الأبقار والعجول، ومهر واحد، وعشرون ألفًا أو ما يقارب من الحشرات، يمسخ كلاً منها برهةً باهتمام المحبِّ، لمدة تتراوح ما بين عدة ساعات إلى عدة أشهر، وفقًا لقدرة الاهتمام الذي يمكن أن يبديه وحالة الخوف التي كانت على الحيوان حين مات. ذلك الحيوان حين يُمسك به (نتيجةً للوقت والاهتمام الكافي) يرفع نفسه، ثم يمضي مهرولاً أو طائرًا أو متلويًا، فتتقص كومة السيد وليمز.

روجر بيقتز الثالث

كانت كومة هائلة، يكاد يصل طولها إلى قمة الكنيسة.

هانز فولمن

كان صيادًا مذهلاً، وكانت أمامه سنوات عديدة من العمل تنتظره.

روجر بيقتز الثالث

نادانا بيده المشغولة بعِجَل، طالبًا منا أن نجلس معه، وقال إنّ ذلك عمل جيد لكنه يسبب الشعور بالوحدة. فلم يكن مسموحًا له أن ينهض ويتجول.

هانز فولمن

أخبرته أننا في مهمة عاجلة ولا ينبغي لنا أن نتأخر.

روجر بيقتز الثالث

هزّ السيد وليمز (وهو نعم الرجل، لا تراه تعيسًا أبدًا، بل مرحًا على الدوام منذ تحوّل له إلى حالة اللطف) حافرًا من حوافر العجل ليقول إنه يتفهم ذلك.

هانز فولمن

سرعان ما وصلنا إلى بيت «كولير» للمرضى، المصنوع من رخام إيطالي، والمحاط بثلاث حدائق ورد، في جانب كلٍ منها نافورة مزينة (لكنها بلا ماء الآن في الشتاء).

هانز فولن

حين يملك المرء أربعة بيوت وخمسة عشر بستانًا يعتنون بحدائقه السبع وينابيعه الاصطناعية الثمانية، فمن الضروري أن ينفق الكثير من الوقت من بيتٍ لآخر ومن حديقةٍ لأخرى، ولذلك ليس من الغريب أنه ذات عصرٍ، بينما يهرع المرء لتفقد العشاء الذي يعدّه طبّاخه للجمعية الخيرية التي يفضّلها، فيجد نفسه مجبرًا على استراحةٍ قصيرة، فينزل على ركبةٍ واحدة، ثم على ركبتين، ثم يستلقي على وجهه، ولا يستطيع النهوض، فيمضي إلى هنا لاستراحةٍ أطول بكثير، ليجد أنه مكان غير مريح بالمرّة، إذ إنه يرتاح في الظاهر لكنه يجد نفسه مهمومًا على الدوام بعرباتِه وحدائقه وأثاثه ومنازله، وبقية الأشياء، وكلها (كما يتمنى المرء) تنتظر عودته، ولم تسقط (لا سمح الرب) في يد آخر (أهوج، لا مبالى، لا يستحقها).

پير سيفل - كولير

السيد كولير (قميصه مبقّع عند الصدر من أثر السقوط، وأنفه محطّم شبه مسطح) كان مجبورًا على أن يطوف أفقيًا، مثل إبرة بوصلة، حيث رأسه في

اتجاه الأملاك التي يجد نفسه أكثر قلقًا بشأنها في تلك اللحظة.

كان رأسه الآن في اتجاه الغرب. وقد تسبّب وصولنا في تبديد همّه، فأصدر شهقة فرح لا إرادية، وأصبح فجأة عموديًا، واستدار ليوواجهنا.

هانز فولمن

قال السيد فولمن: مرحبًا سيد كولير.

قال السيد كولير: مرحبًا سيد فولمن.

روجر بيغنز الثالث

ولما عبر رأسه قلقٌ جديد حول أملاكه، ألقى به بقوة إلى الأرض، على بطنه، ودار في صرخة ذعرٍ لكي يواجه الشمال.

هانز فولمن

بعد ذلك كان علينا أن نختصر المسافة عبر ذلك الجانب المستنقي الصغير
الذي يعيش فيه الأدنى منا.

هانز قولمن

كانوا يبحثون عن ذلك الشعور الرطب غير القمر هنا.
روجر بيقتز الثالث

هنا وقف السيد (راندا) والسيد (توود) في حوارٍ دائم.
هانز قولمن

لكنه كلام غير مفهوم، بسبب حَدَثٍ لا نعرفه.
روجر بيقتز الثالث

الوجهان أصبحا لطحنتين شفافتين لا يمكن قراءة شيء فيهما.
هانز قولمن

والبدنان رماديان دون شكلٍ محدد، إلا من إيجاءٍ صغيرٍ لذراعين وساقين.

روجري بيقتز الثالث

لا يمكن التعرف عليهما، سوى أن حركات السيد تُوود احتفظت بحيوية أكبر. فمرةً تلو الأخرى، كما لو أنه يحاول أن يقنع محاوره، تظهر واحدة من الأطراف الشبيهة بالأذرع، وكأنها تشير إلى شيءٍ ما على الرف يريد من السيد راندال أن يراه.

هانز فولمن

فالسيد توود كما نعتقد كان يعمل في أحد المحلات.

روجري بيقتز الثالث

اسحب اللافتة الكبيرة فورًا بعدها مرة أخرى اسحبها مرة أخرى لا تدعها تقع ملابس نساء مخفضة جدًا.

السيد بنجامن تُوود

ردًا على ذلك، يقوم ذلك الوتد الرماديّ الذي لا وجه له - وهو السيد راندال - برقصةٍ صغيرة.

روجري بيقتز الثالث

اترك الكرسي هنا شخص يمكنك فعلاً حشخش البراقات والبلوكت
البيانو سوف يعرضه ثم أنا.

جاسپر راندال

أحياناً، قرب الشروق، حين يكون جميع ساكني المستنقع متعبين
ومستنفذين، وقد انحسروا في المكان، وخرسوا تمامًا قرب شجرة البلوط
التي صبعها البرق، تجد السيد راندال ينحني وينحني وينحني، كما لو أنه
يتخيل جمهوراً أمامه.

روجر بيغنز الثالث

ما يجعلنا نستنتج أنه كان فنناً في مجالٍ ما.

هانز فولمن

شكراً، شكراً، شكراً!

جاسپر راندال

تخفيضات هائلة:

تذكر فقط أمك المتعبة التي يمكن إنقاذها بالمكواة الآلية، بألة التبشير،
بالملمحة التلقائية، بالثلاجة الصغيرة، تستعيد وقفنها التي كانت رائعة ذات
يوم، تستعيد ابتسامتها الجذابة، كما في الماضي، حين كنت أنت بركبتيك

القصيرتين تعبت بغصن بين رائحة الفطير.

السيد بنجامن تُوود

صَفَق، تتابع أصوات، وقفة لدخان شراب حين صَفَقْتُ جيدًا ظهرت
حلقات صغيرة في الكأس الذهبي أمامي.

جاسپر راندال

لئن كان هناك أي إعجاب شعرنا به ذات يوم بقدرتها على التحمل، فقد
استحال هذا الشعور إلى اشمئزاز.

روجر بيقتز الثالث

هل سيكون لنا المصير نفسه؟

هانز قولمن

لا نظن ذلك.

روجر بيقتز الثالث

(كنا دائمًا نتفحص ملاحظتنا بحثًا عن أية إشارة تحوّل إلى لطخة).

هانز قولمن

(كنا نراقب أنفسنا بحثًا عن أي تدهورٍ في الكلام).

روجر بيغنز الثالث

على أنها ليسا الحالة الأسوأ أبدًا.

هانز فولمن

خذ مثلًا السيد (بيبرز).

روجر بيغنز الثالث

عبارة عن خط رمادي ذليل مسطح.

هانز فولمن

لا تدرك وجوده إلا بعد أن تتعثر به.

روجر بيغنز الثالث

هل تستطيع مساعدتي يا رفيق؟ تعال. لتساعدني. هل تسطيع المساعدة؟ أي
أخذ؟ النجدة. يستيع أخذ مساعدة؟ حررتني؟ ممكن؟
من فلفظكم شاعدي.

ل. ب. بيبرز

لم تكن لدينا أية فكرة عن عمل السيد بيبرز فيما مضى.

روجر بيغنز الثالث

اغرب من هنا وإلا أتاك ما يسوؤك في مؤخرتك سآتي تحت وأفشّ الذي تحت.

فلاندرز كُون

فلاندرز كُون.

هانز فولن

لصّ سابق.

روجر بيغنز الثالث

بيغنز، سَابُول في يديك، وأنتَ يا فولن سَامسك بقضيبك وأرميكما في السور الأسود.

فلاندرز كُون

أنا عن نفسي كنتُ خائفًا منه.

روجر بيغنز الثالث

أنا لم أكن خائفاً منه.

ليس تماماً.

ولكن كان لدينا أمر عاجل. لا يمكن تأخيره.

هانز فولن

هرولنا بسرعة عبر المستنقع، وفلاندرز كُون يشتمنا، ثم يتراجع ويتوسل إلينا أن نعود، فقد كان يخشى البقاء في ذلك المكان، ويخشى أكثر أن يتركه (ويذهب)، إذ ما الذي ينتظر آتياً قطع رقبة تاجرٍ وابنته بجانب عربة نقلٍ خربة (انتزع اللآلئ من رقبتها ونظفها من الدم بملاءتها الحريرية)؟

روجر بيقتز الثالث

أسرعنا، وعبرنا من سقيفة الأدوات المائلة، وشارع الحصى، وفوق ممر العربات القديم الذي ما يزال يحتفظ برائحةٍ خفيفةٍ من أوراق الصحف.

هانز فولن

بعد مسافةٍ يسيرةٍ أمامنا، بعد المسلة المائلة إلى اليسار، وجدنا زُمرَةً تحتشد حول حفرة مرضى مُلئت حديثاً.

هانز فولمن

تقدّم السيد فولمن منهم.

سألهم في لطف: هل القادم الجديد ما يزال.. معنا؟

نعم، أجاب (توبين مولر)، المعنويّ كعادته ضعف انحناءٍ من أثر التعب.

فصاحت السيدة (سپاركس) وهي جاثية تُلصق أذنها بالأرض: احرصوا حتى أسمعه.

روجر بيغنز الثالث

لورا، زوجتي حبيبة قلبي

أحمل قلمي في حالة من الإنهاك العظيم الذي لا يقويني عليه سوى حبي الكبير، بعد يوم مشهود من الخوف والذبح المدنس. ويلزم عليّ أن أخبرك بصراحة أنّ (توم غلمن) لم ينبج من تلك المعركة الرهيبة. كان موقعنا في دغل من الأدغال. كان هناك إطلاق نار كثيف، ثم سمعتُ صرخة. أُصيب توم وسقط. صديقنا النبيل الشجاع ملقى على وجهه فوق الأرض. قلتُ للرجال إننا سوف ننتقم حتى لو كلفنا الأمر اجتياز أبواب الجحيم.

هكذا قرّرتُ، ورغم أنني أعرف أننا انطلقنا في ذلك الاتجاه، بتلك العزيمة، إلا أنني لا أذكر ما حدث بعد ذلك. كل ما أعرفه أنني بخير وأني أمسك بقلمي الوفيّ لأخبرك أنني في مأمن، وأرجو أن تصل هذه الرسالة إلى أسرتي الصغيرة وهي في أفضل حال.

وصلتُ هنا إلى هذا المكان في رحلة بعيدة. حيسًا طوال الوقت. كانت معركة رهيبة مثلها وصفتُ سابقًا كما أظن. توم غلمن مات مثلما أخبرتك سابقًا كما أظن. لكنّ الذي يُبقي أو يُميت بقدرته هو الذي ارتأى أن يبقيني لأكتب لك هذه السطور. كي أقول على الرغم من أنني حيس، إلا أنني أحمد الرب. أنا متعبٌ لدرجة أنني بالكاد أستطيع أن أحدد أين أنا أو كيف أتيت إلى هنا.

أنتظر الممرضة.

الأشجار متدلّية. النسبات تهبّ. وأنا خائف ومنتعب.

آه يا حبيبتي، تخالجنني الهواجس. أشعر أنه لا ينبغي لي المكوث. في هذا المكان المترع بالحزن. والذي يجننا ويحفظنا بالكاد حاضرٌ هنا. ولأنه ينبغي علينا أن نحاول دائمًا أن نكون في قربه، أشعر أنه لا ينبغي لي المكوث. لكنني حبيس، عقلاً وجسداً، ولست قادرًا على المغادرة الآن يا زوجتي الحبيبة، كما لو أنني مُكبّل.

عليّ أن أبحث وأبحث، حتى أعرف ما الذي يبقيني في هذا المكان الحزين السحيق.

التقيب وليم پرنس

انبثقت هيئةً من الأرض، وكأنّ كائنًا قفز من قفص، وبدأ يمشي، ناظرًا بقلبي إلى وجوه السيد مولر والسيدة سباركس والآخرين.

روجر بيقتز الثالث

جنديّ.

في زيّه العسكري.

هانز فولن

قال أحدهم يمتطّ كلماته: لا تخف. كنتَ في ذلك المكان القديم، والآن هنا في هذا المكان الجديد.

روجر بيقتز الثالث

غدا الجندى شفاقاً إلى حدّ الاختفاء، مثلما يحدث أحياناً معنا في أوقات التأمل الكثيف، وعاد برأسه أولاً إلى حفرة المرضى.

ثم خرج مجدداً من فوره، تعلق وجهه نظرة ذهول بائسة.

هانز قولن

زوجتي حبيبة قلبي، لورا الجميلة

ملاحى داخل محبسي. رأيتها الآن فقط. شامة خدي، ومنبت شعري. النظر إليها يبعث على الضيق. نظرة حزينة على الوجه (المحترق!). والبدن مشوّه بجرح بالغ من الصعب

أنا هنا، حيس وأدرك الآن ما ينبغي عليّ فعله كي أتحرر.

وهو أن أقول الحقيقة فقط

أوه، لا أستطيع هل أقول هل أقول كل شيء؟

أشعر أنه لا بد لي وإلا

بقيت إلى الأبد

في هذا المكان الكئيب المقيت

لورا أخرجي الصغار واحرصي أن لا يسمعو ما سوف أقوله الآن.

لقد ضاجعت الفتاة الأصغر بينهما. نعم فعلت ذلك. ضاجعت الأصغر بينهما وطلبت مني العلبة التي أعطيتني إياها وسألتنى هل هي زوجة جيدة؟ حتى وهي فوقى، رهزت قليلاً ثم نظرت في عيني كي تنال من شرفك لكنني أؤكد لك أنه (رغم أنها رهزت مرتين أخريين وعيناها في عيني) لكنني لم أعطيها الذي تريده، لم ألوث اسمك أو ذكراك، لكنني كي أقول الحقيقة (فأخرج من هذا المكان) أشعر أنه ينبغي عليّ الاعتراف بأنها حين انحنت

لتبرز لي مفاتها، واحدًا ثم الآخر في فمي، وتسالني هل زوجتي تفعل ذلك هل زوجتي بمثل هذا الجموح؟ تنهدتُ بطريقة نفهم منها أن لا، زوجتي لا تفعل، زوجتي ليست بهذا التحرر. وأثناء ذلك الوقت الذي كنا فيه معًا في تلك السقيفة المائلة القذرة حيث ينام أطفالها الثلاثة في سريرهم فيما تهقه أختها وأمها من الفناء، كانت تقبض على العلبة في يدها، وحين انتهينا سألتني إن كان يمكنها الاحتفاظ بها. لكن شهوتي البغيضة قد خرجتُ مني الآن، فأجبت بحدّة أنه لا يمكنها ذلك. وأخذتُ نفسي إلى الغابة. حيث بكيت. وهناك رحّتُ أفكر فيك بإشفاق حقيقي. وقررتُ أنه من الألف لطف أن أخدع. أن أخدعك.

النقيب وليم برنس

كان يدور في المكان الآن ورأسه بين يديه.

روجر بيفنز الثالث

كان القمر عاليًا في السماء وقلتُ لنفسي إن الرجل أحيانًا ينبغي عليه أن يحافظ على الهدوء ويُبقي على التي يحبها. وهو ما فعلته. حتى الآن. لم أخطئ لإخبارك بهذا في رسالة بل حين أراك. حينها ربما يخفف دفء البوح من وقع الأمر. ولكن لما أصبح وضعي ميؤوسًا منه تمامًا، وغدبتُ عودتي إلى المنزل مستحيلة، قلتُ في نفسي سأخبرك بكل شيء، وأبكي إليك في أصدق صوت (لقد ضاجعتُ الفتاة الأصغر، فعلتها، فعلتها) على أمل أن تسمعيني أنتِ والسميع الغفور وتغفرا لي كل ما فعلته وتسمحا لي أن أغادر هذا المكان

—

النقيب وليم برنس

عندها ظهر ضوء ساطع يغطي الأبصار من المسئلة القريبة، متبوعاً بصوت النار المألوف المخيف، ذاك الذي يصاحب ظاهرة التوهج الضوئي.

روجر بيفنز الثالث

ودَهَبَ.

هانز فولمن

هطل بنطاله العسكري المهترئ، ومعه القميص والحذاء وخاتم الزواج الحديدي الرخيص.

روجر بيفنز الثالث

راح بعض من الأدنى شائناً في هذه الزمرة يجرون على نحو مسعور، يهزؤون من الجندي، ويؤدون حركات فوق هضبته تنم عن انحراف وعدم احترام. غير أن ذلك كله لم يكن عن دناءة؛ فلم تكن في نفوسهم دناءة، وإنما هو فرط المشاعر.

مثلهم مثل الكلاب المسعورة التي أدخلت إلى مسلخ، فأخذت تجري بين الدم المسفوح، يثير جنونها ذلك اليقين بأنها لا بد ستحصل على شيء من الإشباع في هذا المكان.

هانز فولمن

يا إلهي، كم هو مسكين! إنك لم تمنح هذا المكان فرصة، بل هربت منه

متهوِّراً، تاركاً وراءك الأشياء الجميلة من هذا العالم، إلى الأبد.

من أجل ماذا؟

لا تعرف.

مراهنةٌ غير ذكية على الإطلاق.

لقد نبذتَ وراءك إلى الأبد يا سيدي أشياء من قبيل خروفين قُطعا للتو
يثغيان في حقلٍ محصود. أربعة ظلالٍ خطية تزحف جنباً هراً نائم في منتصف
النهار. تسعة أشجار بلوط أنهكتها الريح تقفزُ في رقعةٍ من العشب الذابل.
رائحة صينيةٍ لحبز الكعك تنبعث من أمام شخصٍ يخلق ذقنه (فيما القدور
تقرقع والفتيات يثرثرن في المطبخ أول الصباح). مركبٌ شراعي بحجم قصرٍ
يميل نحو ميناء قريب، تحمله رياح تحرك الأعلام وتبعث إيقاعاً موسيقياً
يقود جوقةً من الصيحات الطفولية في فناء مدرسةٍ قرب الميناء. نباخٌ مسعور
لما يبدو وكأنه دزينة من—

روجر بيقتز الثالث

يا صاحبي.

لا أظنّ هذا هو الوقت المناسب.

هانز فولمن

أعتذر جداً.

لكنني لا أستطيع التحكّم في الأمر (أعتقد أنك تعرف ولا شك).

روجر بيقتز الثالث

توقفتُ الزمرة عن حركاتها، وظلّوا فاغرين أفواههم أمام السيد بيقتز، هذا الذي تحصّل أثناء حديثه على وفرة من العيون والآذان والأنوف والأيدي الإضافية، حتى أنه الآن غدا مثل باقةٍ لحميةٍ مُترعة.

استخدم بيقتز الحّل المعتاد (بأن يغمض العيون، ويستخدم أيديه لسدّ أكبر عددٍ ممكن من الأنوف والآذان، فيقلّل من قدرة حواسّه على الاستقبال، فيهدأ عقله)، فتراجعتُ أو اختفتُ (لا يمكنني التحديد أبداً) كثير من العيون والآذان والأنوف والأيدي.

عادت الزمرة إلى النيل من هضبة الجندي، فتظاهر مولر بالتبول عليها، وقرفت السيدة سباركس فوقها وهي تلوي وجهها في إشارة قبيحة.

ونخرت قائلة: انظروا هنا. سأضع هديةً لهذا الجبان.

هانز فولن

ومضينا.

روجر بيقتز الثالث

نمشي عابرين بين أماكن بيوتِ سابقة للكثير من الحمقى الذين لم يعودوا
بيننا (وأحياناً نمشي فوقها حين لا يمكن تجنّب ذلك).

هانز فولمن

غُودسن، رينلد، سلوكم، ماكي، فاندايك، پايسر، سيلتر، بك، سافكو،
سوفت، روزبوم.

روجر بيقتز الثالث

على سبيل المثال.

هانز فولمن

سيمكتز، وورنر، بيرسنز، لانير، دنبر، شومان، هولنغزهد، نلسن، بلاك،
فاندوسن.

روجر بيقتز الثالث

وينبغي الاعتراف بأن عدد هؤلاء كان، في الأغلب، يفوق جماعتنا كثيرًا.

هانز فولمن

توينبديل، هاغرداون، ميسر شمت، براون.

روجر بيقتز الثالث

وهذا يؤكد على ما تتمتع به من صفات استثنائية، نحن الذين واصلنا.

هانز فولمن

كو، مفورد، رايزلي، رو.

كانت أماكنهم هادئة جدًا، فحين انطلقنا دورانًا من أماكن بيوتنا عند الغسق، لم يظهر من أماكنهم شيء على الإطلاق، أما—

روجر بيقتز الثالث

صناديق مرضاهم.

هانز فولمن

فتقع هناك خامدة، منبوذة، مهملة.

روجر بيقتز الثالث

هانز فولمن

مثل خيول منبوذة تنتظر عبثاً عودة ركّابها المحبوبين.

روجر بيقتز الثالث

إجمنت، تودي، بلازنغيم، فري.

هانز فولمن

هابرنوت، بولر، داربي، كير.

روجر بيقتز الثالث

كان هؤلاء من نوعٍ مرح، لا مبالٍ، معدوم الرغبة، عموماً، وقد بقوا
للحظاتٍ قصيرةٍ جداً، وهو شيءٌ يبعث على تمام الرضا لو أنهم حصلوا على
حقّهم في العيش في ذلك المكان السابق.

هانز فولمن

كانوا مبتسمين، ممتنين، يحدّقون إلى أنفسهم في عَجَب، ينعمون علينا
بنظرة إعجابٍ أخيرة حين—

روجر بيقتز الثالث

استسلموا.

هانز فولمن

خضعوا.

روجر بيفتز الثالث

أذعنوا.

هانز فولمن

وجدنا الرجل في المكان الذي وُصف لنا، قرب قبر (بلنغوذر: كان زوجًا،
وأبًا، وصانع سفن).

هانز فولمن

متربَعًا، مهزومًا، فوق رقعةٍ من العشب الطويل.

روجر بيقتز الثالث

لما اقتربنا رفع رأسه عن يديه وأطلق تنهيدة عميقة. ربما تبدى في تلك
اللحظة مثل منحوتةٍ عن الفقد.

هانز فولمن

قال السيد فولمن: هيا بنا.

ترددتُ.

قلت: لن يوافق القسّ على هذا.

قال: القسّ ليس هنا.

روجر بيقتز الثالث

أخفضتُ نفسي إلى مستوى حِجر الرجل وجلستُ متربعاً مثله، كيما
أشغل أكبر قدرٍ ممكن من حجمه.

هانز فولمن

أصبح الاثنان الآن رجلًا واحدًا، غير أنّ السيد فولمن يغمر الرجل بعض
الشيء لكبير حجمه، أما عضوه الضخم فكان خارج الرجل تمامًا، موجهًا
صوب القمر.

روجر بيقتز الثالث

كان إحساسًا رائعًا.

إحساسٌ رائع هنا.

صحتُ: بيقتز تعال هنا. هذا شيء لا يُفوت.

هانز فولمن

دخلتُ، وأنا أتخذ الوضعية المتربعة نفسها.

روجر بيقتز الثالث

وأصبحنا نحن الثلاثة واحدًا.

هانز قولن

إذا جاز التعبير.

روجر بيغنز الثالث

كانت ثمة لمحة من المراعي في هذا الرجل .
هانز فولن

نعم .

روجر بيقتز الثالث

وكانك تدخل مزرعة صيفية في وقت متأخر من الليل .
هانز فولن

أو مكانًا شاسعًا زَنخًا، و ثمة شمعة فيه ما تزال تحترق .
روجر بيقتز الثالث

شاسعًا . هبّت عليه الريح . جديدًا . حزينًا .
هانز فولن

واسعًا . غريبًا . مهووسًا بالهلاك . طموحًا .
روجر بيقتز الثالث

هانز فولمن

احتكاكٌ بالحذاء الأيمن.

روجر بيفنز الثالث

بما أنّ السيد بيفنز دخل في الرجل (وكان شاباً)، فقد انحرف تفكير الرجل إلى مشهدٍ من شبابه (الطائش): فتاة رقيقة الكلام لكنّها من منزلةٍ أدنى (بوجتيتها المتسختين وعينيها الطيبتين) تقوده في خجلٍ عبر طريقٍ موحل، فيما تلتصق النباتات الشائكة بتنوّرتها الخضراء المتأرجحة، في الوقت الذي بزغ في ذهنه شيء من الإحساس بالعار، فهو يشعر أنّ هذه الفتاة ليست صبيداً ملائماً، أي أنها كانت حيواناً أكثر منها سيدة، أي أنها لم تكن حتى تجيد القراءة.

هانز فولمن

حين أدرك هذه الذكرى احمرّ وجهه (كنا نستطيع الإحساس بذلك) لأنه تذكر (في هذا الموقف المأساوي) حادثةً منحطةً كهذه.

روجر بيفنز الثالث

وبسرعةٍ وجّه عقله (عقلنا) نحو شيءٍ آخر، كيما ينبذ تلك الفكرة الشائنة.

هانز فولمن

حاول أن «يرى» وجه الصبيّ.

روجر بيقتز الثالث

لم يستطع.

هانز فولن

حاول أن «يسمع» ضحكة الصبيّ.

روجر بيقتز الثالث

لم يستطع.

هانز فولن

حاول أن يستعيد ذكرى له مع الصبيّ، رجاءً أن يسعفه ذلك في —

روجر بيقتز الثالث

حين فصلنا له أول بدلة.

هكذا فكّر الرجل.

(نجحت الحيلة).

حين فصلنا له أول بدلة، نظر إلى البنطال ثم إليّ، مندهشاً، وكأنه يقول:
أبي، أنا أرتدي بناطيل الكبار.

من دون قميص، حافي القدمين، وببطنٍ مدوّرة شاحبة مثل كرش رجلٍ
عجوز. بعد ذلك زررنا القميص الصغير.

وداعاً أيتها البطن الصغيرة، فنحن نقمّمك الآن.

نقمّمك؟ لا أظنّها كلمة حقيقية يا أبي.

ربطتُ ربطة العنق الصغيرة. وأدرته لألقي نظرة.

قلت: يبدو أننا انتهينا من تلبّيس همجيّ من القابة.

غير ملامحه إلى الوجه المزجر. وقف شعره، واحمّرت وجنتاه. (كان قد
أسقط قبل قليل وهو يجري في ذلك المحلّ رفاً من الجوارب). أما الخياط،
المواطئ معه، فقد أحضر السترة الصغيرة في اختيالٍ كبير.

ثم جاءت تلك الابتسامة الصببانية الخجولة وأنا أناوله السترة.

قال: ألا أبدو أنيقاً يا أبي؟

مرّت برهة ولا أفكار غيرها أبداً، ونظرنا حولنا: أشجار سُود عارية على
السماء الزرقاء الداكنة.

سترة صغيرة سترة صغيرة سترة صغيرة.

ترددت هذه العبارة في رأسنا.

انطفأ نجم، ثم التمع.

هي نفسها التي يرتديها هناك، الآن.

السترة الصغيرة نفسها. لكنّ الذي يرتديها—

(كم تمنيتُ ألا يكون ذلك حقيقة)

معطوب.

ممتنع معطوب.

تُرى لماذا لا ينفع الأمر الآن. ما الكلمة السحرية التي جعلته ينفع سابقاً. من يجرس تلك الكلمة. وما الذي استفاده حين جعلها لا تنفع الآن. يا لها من بدعة غريبة. كيف كانت تنفع. أي شرارة يا تُرى كانت تشغّلها. تلك الآلة العظيمة. مصنوعة هكذا. ما إن تستقبل الشرارة حتى تطفر إلى الحياة.

ما الذي أطفأ الشرارة؟ يا لها من خطيئة. من يجروء على ذلك. أن يتلف أعجوبة كهذه. تلك لعنة القتل إذاً. لا سمح الربّ أن أتورّط في مثل هذا الأمر الفادح—

هانز فولمن

في تلك اللحظة كان ثمة شيء يزعجنا—

روجر بيفنز الثالث

مرّنا يداً على وجهنا، كما لو أننا نحاول أن نكبت فكرة كانت تنبثق.

هانز فولمن

لم تنجح هذه المحاولة—

روجر بيفنز الثالث

الفكرةُ غمرتنا.

هانز فولمن

كان الصغير ولي لينكون قد وُضع في مثنواه ليرتاح في اليوم نفسه الذي أُعلن فيه عن قائمة الضحايا، بعد انتصار الاتحاد في قلعة «دونلسن»، وهي حادثةٌ أثارت صدمةً هائلةً بين أفراد الشعب آنذاك، إذ لم يسبق أن وصل عدد الضحايا إلى هذا العدد طوال فترة الحرب.

“Setting the Record Straight: Memoir, Error, and Evasion”
(Jason Tumm, “Journal of American History”)

كانت تفاصيل الخسائر تُرسل إلى الرئيس، حتى أثناء تحنيط الصغير ولي.
(Iverness, op. cit.)

لقي أكثر من ألف جنديٍّ من الطرفين حتفهم، وجرح ثلاثة أضعاف هذا العدد. قال جنديٌّ شاب من الاتحاد لأبيه إنها كانت «معركة دموية للغاية»، وقد كان الأمرُ جسيماً على رفاقه لدرجة أنه رغم الانتصار ظلّ «حزيناً، وحيداً، مكسور القلب». فلم ينج من الرجال الخمسة والثمانين في وحدته إلا سبعة.

(Goodwin, op. cit.)

الموتى في «دونلسن»، يا إلهي. مُكَدَّسون، مراكمون مثل قمحٍ مدروس،

واحد فوق اثنين فوق ثلاثة. مشيتُ عبرهم بعد ذلك بإحساس كريبه. خطر لي أنني أنا من فعل ذلك، يا إلهي.

“These Battle Memories” (First Lieutenant Daniel Brower)

ألف قتيل. كان ذلك شيئاً جديداً. لقد أصبحت حرباً حقيقية الآن.

“The Great War, as Described by Its Warriors” (Marshall Turnbull)

الموتى في أماكنهم كما سقطوا، في كل هيئة يمكن تخيلها. بعضهم ممسك ببندقيته كما لو أنه يستعد لإطلاق النار، فيما آخرون كانوا في وضع الحشو، بخرطوشة في القبضة المتجمدة. بعض القسامات تكشف عن ابتسامة هادئة سعيدة، في حين ترسم على بعضها نظرة كراهية شريرة. بدا كما لو أنّ كل ملمح من ملامحهم هو النظر المتطابق للأفكار التي كانت تعبر في رؤوسهم حين أسقطهم ملاك الموت. لعلّ ذلك الشاب الذي يبدو من النبلاء، بوجهه الباسم الناظر للأعلى، بخصلات شعره التي تلمع بدمه، لعلّه شعر بدعاء أمّ يستولي على حواسه بينما حياته تنطفئ. بالقرب منه زوج شاب ما يزال عالقاً على شفثيه دعاءً لزوجته وصغيره. على تلكم القسامات المريعة تُطلّ الفضيلة والخطيئة، فتوة الشباب وذهاب العمر.

أمامنا بقايا محروقة مسودة لبعض الذين أُحرقوا أحياء. كانوا مُستهلكين مشخنين بالجراح فلم يقووا على الحركة.

شهادة العريف لوشويس و. باربر، مقاتل في قلعة دونلسن.

“The Civil War Years: A Day-by-Day Chronicle of the Life of a Nation” (ed. by Robert E. Denney)

لم أكن قد رأيت شخصًا ميتًا من قبل. والآن رأيتُ ما يزيد عن الحد. تجمّد أحدهم في وضعية النظر إلى جراحه، وعيناه مفتوحتان. بعض أحشائه خرجت، وشكّلت هناك على جانبٍ واحدٍ تحت غلافٍ جليدي رفيع لطحّة من الأحمر والأرجواني. أحتفظ في البيت بصورةٍ مقدّسة لقلب يسوع المقدس، وهذا الرجل يبدو مثله، غير أنّ الكتلة الحمراء الأرجوانية كانت أكبر حجمًا وأدنى مكانًا ومائلة إلى جانبٍ واحد، وهو ينظر إليها في فزع.

“The Terrible Glory: A Collection of Civil War Letters from the Men Who Fought It” (Compiled and edited by Brian Bell and Libby Trust)

والنار يا أمي سرّت بين الموتى المتجمّدين وعثّت في ذلك المكان حيث يقبعون. وجدنا واحدًا من بينهم ما يزال حيًا، وكنا قادرين على إخراجه حيًا دون أن نعرف في أي طرفٍ كان. كان محترقًا بشدّة، وعاريًا إلا من جانبٍ واحدٍ من بنطاله. لم أعرف قطّ كيف انتهى به الأمر. ولكن لم يبد أنّ الأمل كبيرٌ لذلك الشيطان المسكين.

شهادة الجندي إدورد غيتس

“Letters of an Illinois Soldier” (ed. by Sam Westfall)

كان اثنان أو ثلاثة منا يمسون برجل ويسحبونه بعيدًا كما وجدناه، فقد كان الجو باردًا وكانت الجثث متجمّدة تمامًا. في ذلك اليوم تعلّمت أنّ المرء قد يعتاد على أي شيء. فسرعان ما بدا كل شيء عاديًا لنا، بل أخذنا نتمازح حول الأمر، ونختلق أسماء لكل جثة، وفقًا لمظهرها. فهناك «المنحني»، و«المصدوم»، و«نصف الصبي».

(Brower, op. cit.)

وجدنا ولدين لا يزيد عمرهما عن الرابعة أو الخامسة عشرة، يد الواحد في يد الآخر وكأنهما قررا أن يعبرا من تلك البوابة المظلمة سوياً.

(Gates, op. cit.)

كم ميتاً تنوي إضافته يا سيدي قبل أن تقول اكتفيت؟ قبل دقيقة كان (نيت) الصغير على ذلك الجسر مع صنّارته، فأين هو الآن؟ ومن الذي دعاه إلى هناك في ذلك الإعلان الذي رآه؟ سيدي، الاسم الذي رآه كان اسمك «أبراهام لينكون».

رسالة من روبرت هانزورثي، ماريلاند.

“Country Letters to President Lincoln” (Compiled and edited by Josephine Banner and Evelyn Dressman)

إنه مجرد واحد فقط.

غير أن حمل الأمر يكاد يقتلني.

فلقد صدّرتُ أنا هذا الأسي. قرابة ثلاثة آلاف مرة. حتى الآن. إلى اليوم. جبل. من الأولاد. أولاد شخص ما. وينبغي عليّ أن أستمّر. لعلّي لا أقوى على ذلك. أن أوقف الأمر وأنا أعمى عن نتيجة ذلك، فهذا شيء. أما هنا فيتجسّد مثالٌ باهظ على ما أجنه من الأوامر التي —

لعلّي لا أقوى على ذلك.

ما العمل. أعلن التوقّف؟ أرمي بأولئك الثلاثة آلاف في حفرة الخسائر؟ ألتمس السلام؟ أصبح الأحمق الذي يتراجع، أصبح مَلِكُ التردّد، أضحوكة الزمن، قَرَوِيًّا خائر العزم، السيد الهزيل المتراجع؟

لقد خرج الأمر عن السيطرة. من الذي يحرّكه. من كان السبب فيه. من الذي أطلقه.

ما الذي أفعله.

ما الذي أفعله هنا.

لا معنى لأي شيء الآن. جاء أولئك المعزّون. أيادهم ممدودة. أولادهم بخير. يشدّون أقنعة الحزن على وجوههم كي يخفوا أي علامة على سعادتهم التي... التي استمرّت. لم يستطيعوا إخفاء قدر امتلائهم بالحياة وهم سعداء ببقاء أبنائهم أحياء. كنتُ واحدًا منهم حتى وقتٍ قريب. أتجوّل وأصفر في المسلخ، أشيح بعينيّ عن المجزرة، وما يزال بميسوري أن أضحك وأحلم

وأمتلئ بالأمل، لأن الأمر لم يحدث بعد لي.

لنا.

فتح. فتح رهيب. يفتح أول ما يولد المرء. ويعود في يوم أخير. حين تحتاج إلى الخروج من هذا الجسد. والأسوأ. أن نحضر بعد ذلك طفلاً إلى هنا. تتعقد أحكام الفتح. فذلك الطفل لا بد أن يرحل أيضاً. وكلّ الملدّات تُفسدها تلك المعرفة. لكننا، ننسى.

إلهي، ما هذا؟ كل هذا المشي والتجريب والابتسام والانحناء والمزاح؟ هذا الجلوس على الطاولة، وكَيّ القمصان، وربط ربطات العنق، وتلميع الأحذية، والتخطيط للرحلات، وغناء الأغاني في الحمام؟

ثم يُترك هنا؟

هل يمكن للمرء أن يهزّ رأسه، ويرقص، ويفكّر، ويمشي، ويناقش؟

كما في السابق؟

يمرّ موكب عسكري. لا يستطيع النهوض والانضمام إليه. هل عليّ أن أجري خلفه، وأتخذ مكانه، وأرفع ركبتيّ عاليًا، وألوح بعلم، وأنفخ في بوق؟

أولم يكن عزيزاً عليّ؟

من حقّي إذاً ألا أكون سعيداً بعد الآن.

هانز فولمن

كان بَرْد. (كنا داخل الرجل، وللمرة الأولى منذ—

هانز قولمن

فترة طويلة جدًا.

روجر بيغنز الثالث

نشعر بالبرد أيضًا).

هانز قولمن

جلس مضطربًا يرتعش، يبحث عن أي نوع من السلوان.

لا بد أنه الآن إما في مكانٍ سعيد، أو في عَدَم.

هكذا راح يفكر.

في كلتا الحالتين فإنه لا يعاني الآن.

لقد عانى كثيرًا في النهاية.

(ذلك السعال المجهد والارتعاش والقيء والمحاولات المحزنة

لمسح الفم بيدٍ مرتعشة، وكيف كانت عيناه المضطربتان تسترقان

النظر إلى عينيّ وكأنهما تقولان هل فعلاً ليس بيدك شيء يا بابا؟).

في عقله وقف الرجل (وقفنا معه) على سهلٍ موحش، يصرخ من أعماق
رثينا.

ثم هدوء، وإعياء هائل.

انتهى كل شيء الآن. إنه إما في فرحٍ أو عدم.

(لماذا أحزن إذا؟)

بالنسبة له فقد انقضى الأسوأ).

لأنني أحببته وما زلتُ أحبه وذلك الحب لا بد أن يتخذ شكلاً من الانفعال
والقلق والفعل.

غير أنه لم يبقَ شيء يمكن فعله.

أزيح عن نفسي هذا الظلام قدر استطاعتي، وأظلّ نافعاً، ولا أصاب
بالجنون.

أفكر فيه على أنه في مكان مشرق، خالٍ من العذاب، متوهج في شكلٍ
جديد من الوجود.

هكذا خطر للرجل.

وهو يمشط رقعةً من العشب بيده، شارد الذهن.

روجر بيقتز الثالث

محزن.

روجر بيقتز الثالث

محزن جدًا.

هانز قولن

لا سيما أننا كنا نعرف.

روجر بيقتز الثالث

لم يكن ابنه في «مكان مشرق، خالٍ من العذاب».

هانز قولن

كلا.

روجر بيقتز الثالث

ولا «متوهجًا في شكلٍ جديدٍ من الوجود».

هانز فولمن

أُو كونتغينغ⁽¹⁾.

روجر بيغنز الثالث

فوقنا ريحٌ شاردةٌ أوهنت كثيرًا من الغصون التي هدتها العواصف.

هانز فولمن

فسقطت على الأرض على مسافات مختلفة.

روجر بيغنز الثالث

كما لو أنّ الغابة امتلأت بكائنات نهضت لتوها.

هانز فولمن

قال السيد فولمن: يتراءى لي شيء.

وكنْتُ أعرف ما هو آت.

روجر بيغنز الثالث

1- بالفرنسية: بالعكس.

كنا نتمنى أن يذهب الصبيّ، فينقذ نفسه. كان والده يتمنى أن يكون «في مكان مشرق، خالٍ من العذاب، متوهجًا في شكلٍ جديدٍ من الوجود». مزيج مفرح من الأمنيات.

بدا أنه ينبغي علينا إقناع الرجل بالعودة معنا إلى البيت الحجري الأبيض. وفور أن نصل إلى هناك لا بدّ أن نشجّع الصبي على الدخول في الرجل، على أمل أنه حين يكون هناك ويسمع أمنية والده، فقد يقتنع بـ—

هانز فولمن

قلت: فكرة جيدة. ولكننا لا نملك الطريقة لتنفيذها.

روجر بيفنز الثالث

(تاريخيًا ظلّ هناك شيء من الالتباس حول هذا الأمر)

هانز فولمن

لا التباس على الإطلاق يا صديقي.

ببساطة ليس في مقدورنا أن نتواصل مع نوعيتهم، ناهيك عن إقناعهم بفعل أي شيء.

وأعتقد أنك تعرف ذلك.

روجر بيفنز الثالث

اسمح لي أن أختلف معك.
لقد تسببنا في زفاف ذات مرة، إن كنت ما تزال تذكر.
هانز فولمن

هذا أمر يقبل الكثير من الجدل.
روجر بيغنز الثالث

رجل وامرأة كانا يمشيان هنا، قاب قوسين من أن يفسخا خطوبتهما،
فتراجعا عن ذلك، بتأثير منا.
هانز فولمن

من شبه المؤكد أنها كانت صدفة.
روجر بيغنز الثالث

عدة أشخاص منا. (هايتاور)، ونحن الثلاثة، و.. ماذا كان اسمه؟ ذلك
الرجل مقطوع الرأس؟
هانز فولمن

(إلرز).

روجر بيقتز الثالث

نعم، إلرز!

كنا ضجّرين، فدخلنا داخل الاثنين، وعبر القوة المجتمعة لرغبتنا المركّزة،
تمكّنّا من التأثير في—

هانز فولمن

حقيقة الأمر أنّها شعرا بعاطفةٍ جيّاشة مفاجئة، فذهبا وراء واحدٍ من
البيوت الحجرية.

روجر بيقتز الثالث

ليفعلا شيئًا حيال تلك العاطفة.

هانز فولمن

ونحن نتفرّج.

روجر بيقتز الثالث

لديّ شكوك في مسألة التفرّج هذه.

هانز فولمن

لم تكن لديك شكوك في ذلك اليوم يا صديقي العزيز. كان عضوك
متضخمًا إلى حجمٍ عجيب. وحتى في الأيام العادية يتضخم إلى—

روجر بيغنز الثالث

أعتقد أنك كنت تشاهد أيضًا. فلا أذكر أي تراجع لأشياءك الكثيرة
الكثيرة—

هانز فولمن

كان من المنعش رؤية مثل تلك العاطفة المتقدة.
ذلك الالتهاب في العناق كان مدهشًا.

روجر بيغنز الثالث

نعم.

كانت آهات اللذة بينهما تُفزع الطيور على أشجارها.

هانز فولمن

بعد ذلك جدّدا عهد الارتباط بينهما، ومضيا يدا بيد، متصالحين، مخطوبين
مرةً أخرى.

روجر بيغنز الثالث

ونحن الذين فعلنا ذلك.

هانز فولمن

يا رجل، لقد كانا شائين، ممتلئين بالشهوة، وحيدَين في مكان معزول، وفي ليلة ربيعية جميلة. لم يكونا في حاجةٍ إلى أي مساعدةٍ من —

روجر بيفنز الثالث

يا صديقي.

نحن هنا الآن.

في الداخل.

هب أن قطارًا يقترب من جدارٍ بسرعة قاتلة. وثمة مفتاح تحويلةٍ أمامك لا تعرف ما يمكن أن يفعله، أفهل ترميه؟ هنا تكون الكارثة مؤكدة.

لن يكلفك الأمر شيئًا.

لم لا تحاول؟

هانز فولمن

هناك داخل الرجل مدّ السيد بيفتز يده بحثًا عن يدي.

هانز قولمن

وبدأنا.

روجر بيفتز الثالث

في إقناع الرجل.

هانز قولمن

في محاولة إقناعه.

روجر بيفتز الثالث

معًا، بدأنا نفكر في البيت الحجري الأبيض.

هانز قولمن

بيت الصبيّ.

روجر بيفتز الثالث

وفي وجهه، وشعره، وصوته.

هانز فولمن

في بدلته الرمادية.

روجر بيقتز الثالث

وقدميه المقوّستين للدخول.

هانز فولمن

والحذاء المهترئ.

روجر بيقتز الثالث

فكّرنا بعقل واحد: قف، عُد إلى هناك. ابنك يحتاج إلى مشورتك.

هانز فولمن

إنه في خطر بالغ.

روجر بيقتز الثالث

لعنةً للصغار أن يمكثوا هنا طويلاً.

هانز فولمن

طبيعته العنيدة، التي كانت فضيلةً في ذلك المكان السابق، تعرّضه للخطر هنا، فالقانون الطبيعي هنا قاسٍ متعسّف، لا يطبق التمرد، وينبغي الإذعان له تمامًا.

روجر بيقتز الثالث

لذلك نطلب منك أن تقف.

هانز فولمن

وتعود معنا، لتنقذ ابنك.

روجر بيقتز الثالث

لم يبدُ أنّ هذه الطريقة ناجعة.

هانز فولمن

اكتفى الرجل بالجلوس، وتمشيط العشب، شارد الذهن.

روجر بيقتز الثالث

بدا أنه ينبغي علينا أن نكون مباشرين أكثر.

هانز فولمن

حوّلنا تفكيرنا، معًا، إلى ذكرى مشتركة للآنسة تريئر.

روجر بيقتز الثالث

في موسم أعياد الميلاد الماضي، بينما كنا في زيارة، وجدنا أنها تجاوزت
الجسر المتهدم، والنسر، والكلب الكبير، والعفريتة المخيفة التي تلتهم كعكة
سوداء ومنصّة الدُّرة التي أتلّفها الفيضان، والمظلة التي انشقت وانفتحت
بريحٍ لم نشعر بها—

هانز قولن

فتجسّدت في دَيْرٍ عتيق على وشك أن يحترق، وبداخله خمس عشرة راهبة
يتجادلن.

روجر بيقتز الثالث

دَيْرٍ على طراز «آغريدا» بحجم فتاة، والراهبات الصغيرات داخلها
يصعدن على أجراس الصباح.

هانز قولن

فجأة، اشتعل المكان (الفتاة): صراخ، صيحات، ونُذور تُقال على أمل
النجاة.

روجر بيقتز الثالث

ولكن لا نجاة لأحد. راح الجميع.

هانز فولمن

دفعنا أنفسنا لرؤية المشهد ثانية، وشمّ رائحته ثانية، وسامعه ثانية: البخور، النباتات العطرة التي تمتد على الجدار، النسائم المليئة بالورد تأتي من التلة، صيحات الراهبات، صوت الخفّ على قدم الراهبة فوق الطين الأحمر في البلدة—

روجر بيقتز الثالث

لا شيء.

هانز فولمن

جالس فقط.

روجر بيقتز الثالث

في هذه اللحظة، أدركنا شيئًا.

هانز فولمن

في جيب بنطاله الأيسر.

روجر بيقتز الثالث

قفل.

هانز قولن

القفل. من البيت الحجري الأبيض.

روجر بيقتز الثالث

ثقيل وبارد.

والمفتاح ما يزال فيه.

هانز قولن

كان قد نسي تعليقه مرة أخرى.

روجر بيقتز الثالث

فرصة لتقوية حجّتنا.

هانز قولن

وجّهنا تركيزنا إلى القفل.

روجر بيقتز الثالث

إلى أخطار الباب الذي يُترك غير موصود.

هانز قولن

استدعيْتُ إلى الذهن (فرد دونز)، إذ استعر شعوره بالإحباط بينما طلاب
التشريح المخمورون يقذفون بهيئته المريضة المكيسة في عربتهم، والخيول
تهبّ عاليًا من الرائحة.

روجر بيقتز الثالث

تصوّرتُ جسم السيدة (سكو فيل) الذي هجم الذئاب عليه، المائل على
إطار بابها، وقد قُطعت إحدى ذراعيها، وخمار صغير يرفرف على ما تبقى من
شعرها الأبيض.

تخيَّلتُ الذئاب وهي تجري في الغابات الآن، تشتّم رائحة—

وهي تسير إلى البيت الحجري الأبيض.

وهي تهدر، ويسيل لعابها.

وهي تقتحم.

إلخ.

هانز فولمن

وضع الرجل يده في ذلك الجيب.

روجر بيقتز الثالث

وقبض على القفل.

هانز فولمن

هزّ رأسه في استياء:

كيف نسيْتُ شيئًا بسيطًا كهذا—

روجر بيغنز الثالث

نهض على قدميه.

هانز فولمن

وسار.

روجر بيغنز الثالث

في اتجاه البيت الحجري الأبيض.

هانز فولمن

تاركًا إياي والسيد فولمن خلفه على الأرض.

روجر بيغنز الثالث

هل — هل نجحنا؟

هانز فولمن

بدا أنه ربما نجحنا.

روجر بيقتز الثالث

لما كنا ما نزال متداخلين في بعضنا البعض، فقد بدأت تقفز في ذهني آثار
من السيد فولمن، وآثار مني تقفز في ذهنه.

روجر بيقتز الثالث

ولأننا لم نجد أنفسنا قط على هذا النحو من قبل —

هانز فولمن

فقد كانت هذه النتيجة مذهشة لنا.

روجر بيقتز الثالث

رأيتُ الجمال الباهر للأشياء الموجودة في هذا العالم، كما لو أنها أول مرة.
قطرات الماء في الغابات من حولنا تساقط من ورق الشجر إلى الأرض.
النجوم خفيفة، بيضاء مزرقة، مترددة. رائحة الريح تحمل شيئاً من أثر
الحريق والعشب الجاف وأوساخ النهر. خشخشات الشجيرات الجافة
تتصاعد مع النسائم، فيما أحصنة الزلاجات تهزّ أجراسها من بعيد.

هانز فولمن

رأيتُ وجه زوجته أنا، وفهمتُ كرهه لأن يتركها.

روجر بيغنز الثالث

كنتُ أشتهي رائحة الرجال، ومَسْكة الرجال القوية.

هانز فولن

عرفتُ المطبعة، وعشقتُ العمل فيها. (عرفتُ قرص الطابعة، والبكرة الدوّارة، واللوح الماسك، وإطار الطابعة). تذكّرتُ أنني لم أصدّق كيف سقطت العارضة. تلك اللحظة المضطربة الأخيرة! سقطتُ من مكثبي على ذقني، وأحدّ ما (السيد پتس) يصرخ من غرفة الانتظار، فيما تمثال واشنطن المائل أمامي محطّم.

روجر بيغنز الثالث

الموقد يقطع. في موجة ارتباكي قلبتُ كرسياً. الدم السائر بين خطوط الأرضية يتجمع عند أطراف الحصيرة المفضية إلى الغرفة الأخرى. ربما يمكن حتى الآن إنعاشي. ومن الذي لم يخطئ؟ العالم طيب، يسامح، مليء بالفرص الثانية. حين كسرتُ مزهرية أُمي، سُمح لي بمسح القبو. وحين أسأتُ الحديث إلى (صوفيا)، خادمتنا، كتبتُ لها رسالةً، وكل شيء أصبح على ما يرام.

هانز فولن

لو أستطيع التعافي فقط، فسوف أطارحها الغرام من الغد. سوف أبيع المحل. سوف نسافر. في مدن عديدة جديدة، سوف أراها في فساتين بألوانٍ عديدة. تتهدّل على أرضيات عديدة. نحن صديقان أصلاً، وسنصبح أكثر بكثير: سوف نعمل، كل يوم، لـ«مدّ حدود سعادتنا» (كما عبّرت ذات يوم على نحوٍ جميل). و..ربما يكون لنا أطفال. فأنا لستُ عجوزًا جدًّا، ستة وأربعون سنة فقط، وهي في عزّ—

روجر بيقتز الثالث

لماذا لم نفعل ذلك من قبل؟

هانز فولمن

عرفتُ هذا الرجل سنواتٍ عديدة، لكنني لم أعرفه معرفة حقيقية على الإطلاق.

روجر بيقتز الثالث

كان الأمر مبهجًا للغاية.

هانز فولمن

لكنه لم يكن نافعًا.

روجر بيقتز الثالث

الرجل قد ذهب.

عاد إلى البيت الحجري الأبيض.

هانز فولمن

نحن أجبرناه!

روجر بيقتز الثالث

يا لها من ليلة رائعة!

هانز فولمن

خرجتُ من السيد فولمن.

روجر بيقتز الثالث

مع خروج السيد بيقتز أصبحتُ فجأةً مملوءًا بالشوق إليه وإلى كلِّ ما يرتبط به، وهو شوق يناظر الشوق الذي شعرتُ به لوالديّ حين تركت بيتها أول مرة كي أتدرب في «بالتيمور».. كان شوقًا كبيرًا.

إلى هذه الدرجة كانت حِدّة تعاشينا.

لن تكون آخر مرة أراه فيها رؤية تامة. العزيز سيد بيقتز.

هانز فولمن

عزيزي سيد قولمن!
نظرتُ إليه، ونظر إليّ.

روجر بيفنز الثالث

سوف تنغرس فينا إلى الأبد آثارًا من بعضنا البعض.

هانز قولمن

ليس هذا فقط.

روجر بيفنز الثالث

فقد بدا الآن أننا عرفنا الرجل أيضًا.

هانز قولمن

حين خرجتُ من قولمن والرجل، شعرتُ بقدرٍ جديدٍ مدهشٍ من المعرفة
ينبثق داخلي. الرجل؟ كان السيد لينكون. السيد لينكون كان الرئيس. كيف
يمكن ذلك؟ كيف يمكن ألا يكون؟ مع ذلك كنتُ أعرف في أعماقي أنّ
السيد (تيلر) كان الرئيس.

روجر بيفنز الثالث

أن السيد (بولك) شغل ذلك المنصب.

هانز فولمن

مع ذلك كنتُ أعرف في أعماقي أنّ السيد لينكون كان الرئيس. كنا في حرب. لم تكن في حرب. كانت فوضى عارمة. كان كل شيء هادئًا. صُمم جهاز للتواصل عن بعد. لم يوجد جهاز كهذا. ولا يمكن أن يوجد. الفكرة مجنونة. مع ذلك فقد رأيتُه، واستخدمته. كان يمكنني أن أسمع، في ذهني، صوته وهو يعمل.

كان: التلغراف.

يا إلهي!

روجر بيقتز الثالث

في يوم العارضة، كان بولك هو الرئيس. أما الآن، فقد كنتُ أعرف (بوضوح تام) أنّ بولك جاء بعده تيلر، وجاء بعد تيلر فلمور، وجاء بعد فلمور پيرس—

هانز فولمن

وبعد پيرس جاء بيوكتن، وبعد بيوكتن جاء—

روجر بيقتز الثالث

لينكون!

هانز فولمن

الرئيس لينكون!

روجريفتز الثالث

امتدّ خطّ السكك لأبعد من «بوفالو» الآن—

هانز فولمن

أبعد بكثير!

روجريفتز الثالث

ولم يعد أحد يرتدي قلنسوة دوق يورك. هناك شيء يُسمى «كمّ پامبلا المشقق».

هانز فولمن

المسارح الآن تُضاء بالغاز. تُستخدم فيها صفوف من المصابيح العلوية والسفلية.

روجريفتز الثالث

فيتتج عن ذلك منظر مدهش.

هانز فولمن

غير شكل المسارح تمامًا.

روجر بيقتز الثالث

التعابير على وجوه الممثلين أصبح بالإمكان رؤيتها بكل وضوح.

هانز فولمن

ما أدخل مستوى جديدًا تمامًا من الواقعية في الأداء.

روجر بيقتز الثالث

يتعذر علينا أن نعبر عن الحيرة التي ألقته علينا هذه المعرفة الجديدة.

هانز فولمن

استدرنا وعدونا قافلين إلى البيت الحجري الأبيض، ونحن نتحدث في حماس بالغ.

روجر بيقتز الثالث

شعر السيد بيقتز وعيونه وأيديه وأنوفه تنثال بسرعة من خلفه.

هانز فولمن

والسيد فولمن يمسك بعضوه الهائل بين يديه، كي لا يتعثّر به.

روجري بيقتز الثالث

وسرعان ما وصلنا قرب المكان الذي كان فيه السيد لينكون، قريباً لدرجة
أننا كنا نستطيع شمّ رائحته.

هانز فولمن

صابون، مرهم، خنزير، قهوة، دخان.

روجري بيقتز الثالث

حليب، بخور، جلد.

هانز فولمن

الجزء الثاني

كانت ليلة الخامس والعشرين من فبراير 1862م ليلة باردة، غير أنها صافية. كانت بمثابة استراحةٍ من الجو السيء الذي شهدته العاصمة. بحلول هذا الوقت كان ولي الصغير قد وُوري الثرى، وانتهت جميع المراسم المرتبطة بدفنه. حَبَسَت الدولة كلَّها أنفاسها، رجاءً أن يكون الرئيس قادرًا على العودة إلى دفة القيادة، في وقتٍ كانت فيه البلاد في أشدّ الحاجة إليه.

“The Spiritual Lincoln: An Essential Journey” (C. R. DePage)

عند الثانية صباحًا لم يكن الرئيس قد عاد إلى البيت الأبيض. خطرت لي أن أوقظ السيدة لينكون، رغم أنه لم يكن غريبًا على الرئيس أن يخرج وحيدًا في المساء. كان في العادة يرفض أن يرافقه أحد. في هذه الليلة كان يمتطي الحصان المحبب لديه، «جاك الصغير». كانت الليلة باردة ممطرة، ولم يكن قد أخذ معه معطفه الطويل، إذ ما يزال معلقًا على المشجب. لا بد أنه سيشعر بالبرد الشديد، بالتأكيد. رغم أن بنيتي متينة. اتخذتُ مكاني عند الباب، أخرج بين الفينة والأخرى أسمع حوافر «جاك الصغير». مرت نصف ساعةٍ أخرى ولم يظهر السيد لينكون. قلت في نفسي لو أنني كنت في مكانه لربما مضيت راكبًا على حصاني ولا أعود أبدًا، إلى أن أجد نفسي في الغرب مرةً أخرى، فأعيش حياةً أقلَّ تَعَبًا وأهمية. وحين بلغت الساعة الثالثة صباحًا بدأت أفكر في أنه ربما فعل ذلك.

خطرت لي مرةً أخرى أن أوقظ السيدة لينكون، غير أنني أشفقت عليها. كانت في حالٍ سيئةٍ للغاية. ووجدتُ من الغريب أن يتركها وحيدةً في هذا الظرف. لكنها على أية حال كانت تحت تأثير مهدئات قوية، كما أعتقد، ولم تُدرك أنه خرج.

شهادة بول رايلس، حارس في البيت الأبيض

(Hilyard, op. cit.)

لم تكن المعاناة النفسية أمرًا طارئًا على ماري لينكون، غير أنّ حياتها كزوجة وأم قادرة على العطاء انتهت بعد فقدانها الصغير ولي.

“A Mother’s Trial: Mary Lincoln and the Civil War” (Jayne Coster)

عند حوالي الثانية ظهرًا سمعتُ جَلْبَةً فظيعة من المكان الذي كان فيه الطفل المريض. بدأ أنّ اللحظة قد جاءت. هرعت السيدة لينكون من أمامي، خفيضة الرأس، تُصدر صوتًا لم أسمع مثيلًا له من بشرٍ قط.

شهادة الخادمة صوفي لينوكس.

(.Hilyard, op. cit)

لعله كان يمكن للمرء أن يصف ما أصاب الرئيس من انفجار عاطفي، أما ما أصاب زوجته فكان يستعصي على الوصف.

(Epstein, op. cit.)

لقد تملكّتها التشنّجات لما رأت وجه ابنها الشاحب وهو ميّت.

(Keckley, op. cit.)

انهارت ماري لينكون في سريرها.

(Von Drehle, op. cit.)

لقد غدت امرأة أخرى.

(Keckley, op. cit.)

أعطيت جرعة من مخدر اللودانوم، لكن حتى هذا الدواء القوي لم يفلح في كبت تفجعاتها، أو التغلب على احتياجاتها وهي غير مصدقة ما حدث.

(Coster, op. cit.)

لم تستطع السيدة لينكون حضور الجنازة لفرط إعيائها.

(Leech, op. cit.)

لُزمت ماري لينكون فراشها عشرة أيام كاملة بعد الجنازة.

“A Belle Remade: The Journey of Mary Lincoln” (Kevin Swarney)

لم يكن بمقدور السيدة لينكون أن تبرح غرفتها أو تنهض عن فراشها عدة أسابيع بعد ذلك المصاب.

(Sloane, op. cit.)

حين نهضت أخيرًا بعد شهر، كانت تتحرّك على نحوٍ آليّ، تحدّق فينا كما لو أننا أغراب.

شهادة الخادم د. سترمپهورت

(Hilyard, op. cit.)

بعض الضربات تكون ثقيلة جدًا على الإنسان الهشّ.

(Coster, op. cit.)

ها هي هناك، تتمنى لو أنّ الأمر لم يحدث. تُنكر الآن أنّه حدث، ثم تقتنع مرةً أخرى أنه حدث فعلاً. ظلّت مع الجدران نفسها، وأشياء السرير، والكوب، والسقف، والنوافذ. لم تكن تستطيع أن تنهض وتخرج.. كان العالم الخارجي الآن يبدو فظيماً. ترشف من ذلك الشراب المخلوط بالمهدّي، فقد كان بالنسبة إليها الأمل الوحيد في الهدوء.

(Swarney, op. cit.)

ظلّت تسأل أين ابنها. أين هو؟ ألا يمكن لأحد أن يجده ويأتي به فوراً؟
أليس المفروض أن يكون في مكان ما؟

شهادة الخادمة صوفي لينوكس

(Hilyard, op. cit.)

هدوء تام يا أخي الحبيب.. إلا من طقطقة النار وشخير العزيزة (غريس) من غرفتك القديمة حيث أسكنتها كي يمكنها أن ترعاني بسهولة في هذه الليالي العصيبة.. في الشارع المقابل تحت ضوء القمر تتبدى لي المقبرة وقد تلوثت كثيرًا ببقايا العاصفة الكبيرة بالأمس.. غصون أشجار كبيرة تتكئ الآن على الأقبية وبين القبور.. لعلك تذكر تمامًا لرجل أصلع في رداء روماني (كنا نسميه «مورتي»)، يدوس بقدمه على رقبة ثعبان، وتذكر ربما أن شابًا طائشًا ألقى بسترته هناك عدة مرات كي يلتقطها «مورتي» بحدّ سيفه.. لم يعد هناك «مورتي».. أو لنقل إنه لم يعد مثلما كان.. فقد سقط غصن على ذراعه، فحطمها مع السيف، وأخذ معه رأس الثعبان في طريقه.. الذراع الآن مع السيف ورأس الثعبان في كومة.. ومورتي نفسه يقف مائلًا على قاعدته، وكأنه بُهت من هذا البرهان على أنه ليس خالداً.

لا بد أنني غفوتُ قليلاً.. الساعة تقترب من الرابعة صباحًا.. ثمة حصان هناك، في الشارع المقابل، مربوط بسور المقبرة.. هادئ خائر القوى يهز رأسه وكأنه يقول: حسنًا، صحيح أنني في ساحة الموتى وفي ظلمة الليل إلا أنني حصان، ولا بد أن أكون مطيعًا.

وهكذا أصبح لديّ لغز يشغلني.. من الذي قد يكون هناك في مثل هذه الساعة المتأخرة؟ أرجو أن يكون شابًا يزور حبيبةً فقيدة.

يشتعل المصباح في غرفة (ماندرز) الحارس، فيذرع المكان جيئةً وذهابًا أمام النافذة كعادته.. لعلك تذكر أنه هو الذي أتى بسلم لاستعادة السترة المذكورة من سيف مورتي.. لقد كبر الآن، ويبدو أن همومه الأسرية أزهقتته..

يغادر غرفة الحارس.. يتضاءل مصباحه.. أظنّ أنه يبحث عن «الزائر الليلي»..
أمر مثير جداً.. ولو ظنّ أحدٌ أنّ إعاقتي تحرمني من حسّ الإنارة، فليجلس
هنا إلى جانبي عند هذه النافذة.. سوف أبقى مستيقظة، أظنّ ذلك، وأرى إن
كان يمكنني أن أسترق نظرة إلى زائرنا فور أن يأتي به ماندرز.

(Perkins, op. cit.)

لما تُرُكت وحيدًا على سطح البيت الحجري الأبيض، عزمْتُ على أن أحاول محاولة أخيرة لإفناع الصبي الذي كان يجلس شبه مغيبٍ عن الوعي عند قدمي، مثل أميرٍ شرقيٍّ مذهولٍ سُلِبَ عرشه.

لقد جرح السيدُ بيثنز والسيدُ فولن مشاعري بتصرفهما المخادع، ففي غمرة استعجالهما لانتهاز أية تسليّة صغيرة، تركاني هنا في وضع سيءٍ للغاية. أخذتُ أعمل مثل بستانيٍّ بدائيٍّ، منحنيًا، أقبضُ على الوريقات المتسلقة بكلتا يديّ. فكان لزامًا عليّ أن أقرّر دائمًا هل أهاجم الوريقات العديدة التي ألصقت نفسها بالصبي، أو أنقضّ على الوريقات الجديدة. وفي حقيقة الأمر لم يكن الأمر ذا جدوى؛ فالصبي لم يكن يملك وقتًا طويلاً.

وسرعان ما لاحت فرصة لمصارحته.

كنتُ أبحث في الأفق عن هذين اللامباليين بيثنز وفولن، فرأيتُ بدلًا منهما الأخوين (كُرتشر) زاحفين من الغابة، مصحوبين كالعادة بالسيد (ريدي) وزوجته. وقد كان هؤلاء الأربعة يشكلون نواةً لمجموعة العريضة التي تسكن قرب السارية.

قال (مات كرتشر): جئنا نتفرج.

قال (رتشر د. كرتشر): على حالة التدهور.

قالت السيدة ريدي: يهمننا ذلك.

قال مات كرتشر: تفرّجنا المرة الماضية، مع تلك الفتاة.

قال السيد ريدي: وجدنا الأمر محفّرًا جدًّا.

قالت السيدة ريدي: أعطانا دَفْعَةً معنوية حقًا.

قال السيد ريدي: والجميع يحتاج إلى دَفْعَة معنوية.

قال مات كرتشر: في حفرة الروث هذه.

قال السيد ريدي: فلا تحكم علينا بسوء.

قالت السيدة ريدي: بل افعل.

قال مات كرتشر: دعنا نشعر بأننا أسوأ وأسوأ.

قال رتشر د كرتشر، وهو يخطو مقترَّبًا من السيدة ريدي: كلِّ واحدٍ حرّ في نفسه.

قالت السيدة ريدي وهي تدسّ يدها في جيب بنطاله: ربما.

قرفص الجميع الآن في مَهَمٍّ وترقّب. كانوا نسورًا مثيرة للقرف اجتذبا مُصاب الصبي. وما لبثوا أن نهضوا وقد شبكوا أيديهم فأصبحوا مثل مخلوق واحد مروع، بأذرع نابضة ولهاث إيقاعي، كأنه آلة.

قلتُ للصبي: ما رأيك؟ هل هذا مكان جيد؟ مكان صحي؟ هل يبدو لك هؤلاء الناس أسوياء يُقتدى بهم؟

قال الصبي: ومع ذلك أنتَ ما تزال هنا.

قلت: أنا مختلف.

قال: عني؟

قلت: عن الجميع.

قال: مختلف كيف؟

وتأرجحتُ على شفا أن أخبره.

القس ايشري تومس

نعم، أنا مختلف.

فأنا أعرف جيدًا ما أنا، على عكس هؤلاء (بيفنز وفولمن وعشرات السذج من أقطن بينهم).

لستُ «مريضًا»، ولا «ملقى على أرضية مطبخ»، ولا «ألقى علاجي في صندوق المرضى»، ولا «أنتظر إنعاشي».

كلا.

حتى هناك، عند النهاية، في غرفة الضيوف التي تطل على جدار الطوب في بيت جارنا (ردنل)، بتلك الكريمة المعلقة عليه (فقد كنا في أوائل يونيو)، كنتُ في حالة قبولٍ وتسليمٍ وأعرف تمامًا ما أنا، بفضلٍ حالتي العقلية المستقرة وشعوري بالامتنان، إذ سعتُ طوال عمري إلى الاحتفاظ بهما وتنميتها عبر عملي في الكنيسة.

كنتُ ميتًا.

شعرتُ بالحاجة إلى الذهاب.

فذهبتُ.

نعم، ذهبتُ، وفي الوقت نفسه أصبحتُ سببًا ومُشاهدًا (متألمًا من الداخل) لصوت النار المخيف الذي يصاحب ظاهرة التوهج الضوئي (وهو أمر لا أودّ حتى أن أحاول وصفه).

وجدتُ نفسي أمشي في طريق جبلٍ شاهق، يسبقني رجلان فهمتُ أنهما

تُوفيا قبل ثوان. كان أحدهما يرتدي بدلة عزاء رخيصة، يقلّب ناظره هنا وهناك مثل السياح، ومن الغريب أنه كان يندن بطريقة توحى بحس من السعادة الفارغة، والجهل المتعمّد. ورغم أنه كان ميتًا، إلا أن تصرفاته كانت تقول: «هاها، ما كلّ هذا إذًا؟». أما الآخر فكان يرتدي لباس سباحة، يمشي غاضبًا بلحيته الحمراء كما لو أنه متعجّل ليصل إلى مكانٍ يكره الذهاب إليه.

الأول كان من «بنسلفينيا»، أما الثاني فكان من «مين» (بانغور، أو نواحيها). كان قد قضى زمنا بين الحقول، وكثيرًا ما يرتاد الشاطئ يجلس ساعاتٍ فوق الصخور.

كان يرتدي لباس سباحةٍ لأنه غرق وهو يسبح.

عرفتُ ذلك بطريقة ما.

بين فينة وأخرى، وأنا أمضي في ذلك الطريق، كنتُ هنا أيضًا. كنتُ في قبري. وقد ذهلت من منظر ما هو موجود في تابوتي (تلك البقايا الجافة المتزمتة). كنتُ فوق قبري، أذرع المكان حوله في توتّر.

كانت زوجتي والآخرون يتمتمون بوداعهم الأخير، وبكاؤهم يغرز فيّ خناجر خضراء صغيرة. خناجر بالفعل. مع كل نَحْبة، كان الخنجر يخرج من الباكي ويطعنني بقوة.

ثم أعود هناك مرة أخرى، على ذلك الطريق، مع صاحبي. في الأسفل وادٍ بعيدٍ عرفتُ بطريقة ما أنه هو وجهتنا. ظهرتُ أمامنا درجتان حجريتان. توقّف صاحباي، ونظرا للخلف. ولما أدركا أنني رجل دين (فقد دُفنت بالرداء الكهنوتي) سألاني بنظرة: هل نمضي؟

أشرتُ لهما أن نعم.

يتناهى من الوادي صوت إنشاد، وأصوات مهتاجة، وقرع جرس. شعرتُ بالارتياح من هذه الأصوات. فنحن سِرنا ووصلنا، ويمكن أن تبدأ

طقوس الاحتفال الآن. كنت سعيدًا للغاية أن حياتي اعتُبرت جديرةً بمثل هذه الخاتمة الرائعة.

ثم عدت هنا للأسف مرة أخرى. زوجتي والآخرين يرحلون الآن في حافلات، فيما يصلني خنجرٌ أخضر طائش بين الفينة والأخرى، لم تخفت قوته مهما ابتعدوا. سرعان ما عبر المشيِّعون نهر «الپوتوماك»، وأخذوا يتناولون وجبة الجنازة في «پريفي». عرفتُ ذلك وأنا أذرع المكان أمام قبري، وقد تملكني الذعر من احتمالية أن أظلّ عالقًا هنا، وما تمّنت إلا أن ألتحق بصاحبيّ هناك، عند ذلك السّلم. أصبح هذا المكان منقرًا للغاية: مقبرة، ساحة جثث، مطمر قمامة، آثار مخزنة من كابوس مُقرف كنتُ أستفيق منه.

في اللحظة نفسها عدتُ إلى هناك مرة أخرى، مع صاحبيّ، نخرج من ذلك السّلم إلى مرعى مشمس فيه بناء كبير لا يشبه أي شيء رأيتُه من قبل، مصنوع من ألواح وأوتاد متشابكة من الألماس النقيّ، فيعكس مجموعة ألوان تتغيّر كل لحظة مع أي تغيّر طفيف في أشعة الشمس.

تقدّمنا ذراعًا بذراع، وتخلّق جمعٌ حولنا يقودوننا إلى الأمام. وقف حارس عند الباب، يبتسم مع اقترابنا.

انفرج الباب.

في الداخل رأيتُ مساحة شاسعة من أرضية ماسية تقود إلى طاولة ماسية يجلس عليها رجل عرفتُ أنه أمير. لم يكن المسيح، وإنما رسوله. كانت الغرفة تذكّرني بمستودع «هارتلي» الذي عرفتُه في صباي مكانًا كبيرًا مفتوحًا حصينًا بسقف عال، وكان ما يزيدُه حصانة وجود شخصية قوية فيه (هارتلي نفسه آنذاك، ورسول المسيح الآن) يجلس قرب مصدر حرارة وضوء (موقد آنذاك، وزبرجد محزّز الآن يحترق من الداخل على حامل من ذهب خالص).

أدركنا أنه ينبغي علينا التقدّم وفقًا لترتيبنا السابق.

صاحبنا ذو اللحية الحمراء تقدّم أولاً، سخيّف المنظر بلباس السباحة.
على جانبيه ظهر مخلوقان جميلان يمشيان معه وهو يقترب من الطاولة.
طويلان، رفيعان، مشعان، محمولان على قدمين من ضوء شمسيّ أصفر.

سأله أحدهما: كيف عشت؟

وقال الثاني من الجانب الآخر وهما ملتصقان به رأساً برأس: قل
الحقيقة.

ارتسمت على وجهيهما ابتسامة فرّح مما وجداه في داخله.

قال الذي عن يمينه: هل نعتد ما رأينا؟

فقال صاحبنا ذو اللحية الحمراء: بالتأكيد. أرجو أن تعتمده أنت أيضاً.

غنّى ذلك المخلوق الذي عن يمينه أغنيةً جميلةً مُبهجة، فيما راحت
أشكالٌ مصغّرة منه تتراقص (أستخدم هذه الكلمة لأوضح مدى الرشاقة
في حركاتها) وهي تحمل مرآة كبيرة أطرافها مرصّعة بأحجار كريمة.

وأما المخلوق الذي عن شماله فغنّى أغنيته المبهجة، فيما راحت أشكال
مصغّرة منه تتشقلب في حركات رياضية من أروع ما يكون، وهي تحمل
ميزاناً.

قال رسول المسيح من كرسيه على الطاولة الماسية: اختبار سريع.

أمسك المخلوق الذي عن يمينه بالمرآة عاليًا أمام صاحبنا ذي اللحية
الحمراء. فيما مدّ المخلوق الذي عن شماله يده إلى صدر صاحبنا، وفي حركة
رشيقة اعتذارية على نحو ما، استخرج قلب الرجل، ووضع على الميزان.

نظر المخلوق الأيمن في المرآة، ونظر المخلوق الأيسر في الميزان.

قال رسول المسيح: جيد جدًا.

فقال المخلوق الأيمن: «نحن سعداء بك جدًّا»، ولا أستطيع أن أصف صوت الفرح الذي تردّد صداه عبر ما فهمتُ أنه مملكة شاسعة تمتدّ في جميع الاتجاهات حول القصر.

وانفجرت مجموعة كبيرة من الأبواب الماسية في الطرف القصي من القاعة، كاشفة عن قاعة أكبر بكثير.

وهناك رأيت خيمة من الحرير الأبيض الخالص (رغم أن الوصف يُنقص روعته، إذ لم يكن حريرًا كالذي نعرفه، بل نوعًا أرقى وأكمل، لدرجة أن حريرنا يبدو معه تقليدًا يثير الضحك). في داخل الخيمة وليمة كبيرة على وشك البدء، فجلس المضيف على منبر عال، ملكًا مبعجلًا، وإلى جانبه كرسي فارغ (فخم، منجد بالذهب، إن كان يمكن غزل الذهب بالضوء، وكلّ ذرة من ذلك الضوء تشعّ بهجةً وأصوات فرح). وهذا الكرسي كان مخصصًا، كما فهمت، لصاحبنا ذي اللحية الحمراء.

أما الملك الذي في الداخل فكان المسيح. وهو نفسه الرسول/ الأمير الجالس إلى الطاولة في هيئة متخفية، أو في ظهور ثانوي.

لا يمكنني أن أفسّر ذلك.

مرّ صاحبنا عبر الأبواب الماسية في مشيته المتدحرجة وأوصدت الأبواب خلفه.

لم أشهد في حياتي التي امتدّت نحو ثمانين عامًا على الأرض تباينًا أكثر مرارة بين السعادة (تلك التي شعرتُ بها حتى من مجرد لمحة من بعيد لتلك الخيمة الجليلة) والحزن (إذ لم أكن داخل الخيمة، فالثواني المعدودة خارجها تبدو خلودًا أبديةً مريعًا).

بدأتُ أبكي، وبكى صاحبي الذي يرتدي بدلة العزاء.

غير أن بكاءه كان على الأقل معجونيًا بالترقب؛ فقد كان دوره، ما يعني أن

بُعدَه عن ذلك المكان أقصر مني بكثير.

تقدّم.

سأله المخلوق الذي عن يمينه: كيف عشت؟

وقال الثاني من الجانب الآخر وهما ملتصقان به رأساً برأس: قل الحقيقة.

جفل المخلوقان، ثم تراجعاً إلى قِدرين حجريّين رماديين في كل جانب من

تلك القاعة الكبيرة، وتقيّتا هناك سَيَلَيْنَ متماثلين من سائل فاتح اللون.

أما الأشكال المصغّرة منهما فهرعت تجلب المناشف لتنظيف الفم.

قال الذي على يمينه: هل نعتمد ما رأيناه؟

قال صاحبنا: مهلاً، ماذا رأيتم؟ هل هناك بعض الـ

لكنّ الوقت قد فات.

غنى المخلوق الأيمن أغنية مشؤومة، فخرجت الأشكال المصغّرة منه

كسيحة مُكشّرة، تحمل مرآة أطرافها من البراز. أما المخلوق الأيسر فغنى

أغنيته (حزينة، نشازاً)، فيما أخذت الأشكال المصغّرة منه تتدحرج وتتقلب

في سلسلة من الحركات الرياضية المتعثرة التي تبدو اتهاميةً على نحوٍ ما، وهي

تحمل الميزان.

قال المسيح-الأمير بصرامة: اختبار سريع.

قال صاحبنا: لا أظنني فهمتُ الإجراءات جيداً. لو سمحتم لي بـ

أمسك المخلوق الأيمن بالمرآة أمام صاحبنا، فيما مدّ المخلوق الأيسر يده

إلى صدره، وفي حركة بارعة وعدائية استخرج قلب الرجل، ووضع على

الميزان.

قال المسيح-الرسول: واأسفاه.

صوتٌ خزي ووعويل رهيب يتردّد صداه في المملكة.

انفجرت الأبواب الماسية.

أغمضتُ عينيّ وفتحتها في إنكارٍ لما حدث من تحوّل في الداخل. فالخيمة لم تعد مصنوعة من حرير، وإنما من لحم (مبّقع، وردّي، بدم فاسد). لم تكن ثمة وليمة، بل وُضعت طاولات طويلة في الداخل عليها هيئات بشرية ممدّدة لا حصر لها، في مراحل مختلفة من التفسّخ. لم يكن المضيف ملكًا، ولا مسيحيًا، بل وحشًا له يدان دامتان وأنياب طويلة، يلبس رداءً بلون الكبريت ملطّخًا بقطع من الأحشاء. وهناك في الداخل ثلاثة نساء ورجل عجوز محنيّ الظهر يحملون حبالًا طويلة من الأمعاء (أمعاءهم!)، غير أنّ أكثر ما هو مريعٌ في الأمر كان الطريقة التي يزعمون بها في ابتهاج بينما يُجرُّ صاحبنا إلى الداخل، والابتسامة التي ظلّ صاحبنا يرسمها على وجهه كما لو أنه يحاول أن يتملّق سجّانيه، فيذكر أعمال الخير التي فعلها في «بنسلفينيا»، والأخيار الكثيرين الذين يمكن أن يشفعوا له لو أنهم استُدعوا للشهادة، حتى حين كانت عدّة مخلوقات تبدو من نار تجرّه إلى طاولة السلخ. ولما أمسكوه (احترقت بدلة العزاء التي يرتديها فورًا إثر لمستهم) تألم كثيرًا لدرجة أنه لم يستطع أن يقاوم أو يتحرك على الإطلاق، سوى أن يميل رأسه قليلًا في اتجاهي، فالتقت عيناه (الممتلئتان بالذعر) بعينيّ.

أوصدت الأبواب الماسية بقوة.

جاء دوري.

سألني المخلوق الذي عن يميني: كيف عشت؟

وإذ كنتُ قريبًا منه الآن فقد رأيتُ أنه يتخذ هيئة «مستر برندل» من مدرستي القديمة، ذاك الذي كان يزّم شفّتيه بساديّة وهو يضر بنا.

خبط الاثنان رأسيهما برأسي وقال الآخر: «قل الحقيقة»، بصوت عمي

«جين» المخمور (وقد كان دائم القسوة معي، لدرجة أنه ذات سَكْرَةَ ألقى بي من على سلالم المخزن).

عزمتُ على قول كل شيء، على ألا أتحفظ على شيء أو أخفي شيئاً، على أن أقدم روايةً صحيحة لحياتي قدر المستطاع.

تراجعا بقوة أكبر مما سبق، وهرعت أشكاهما المصغرة إلى الإمام نحو قديرين حجرين بلونٍ رمادي أقوى، وبدأ الحكمان ذوا الأرجل الصفراء يتقيان على نحوٍ متقطع.

نظرتُ إلى المسيح-الرسول.

كان خافضاً بصره.

قال الذي عن شمالي: هل نعتمد ما رأيناه؟ من اليمين جاءت مرآة البراز، ومن اليسار الميزان.

نظرت الى المسيح-الرسول.

كان خافضاً بصره.

فقال المسيح-الرسول: اختبار سريع.

فاستدرتُ وأطلقتُ ساقِي للريح.

لم يتبعني أحد. لا أعرف لماذا. كان بوسعهم أن يمسكوا بي بكل سهولة. بالتأكيد يستطيعون! وفيما كنتُ أجري كانت سياطٌ من نار تتطاير قرب أذني، وفهمتُ من الهمسات المنبعثة من هناك أن السياط تقول لي:

لا تخبر أحداً بما جرى

وإلا سيكون الأمر أشدَّ حين تعود.

(حين أعود؟ دخلت شظيةً من الرعب في قلبي، وما تزال عالقةً هناك).

ركضتُ أيامًا وأسابيع وشهورًا، عائدًا من ذلك المسار حتى توقفتُ ذات ليلة أستريح. نمتُ هناك، وصحوتُ..هنا.

هنا من جديد.

وأشعر بامتنانٍ عميق، جدًا.

وها أنذا هنا منذ ذلك الوقت، وقد تحفّظتُ على التحدث عما جرى كما أمروني.

فما الفائدة إذًا؟ لقد فات الأوان كي يُحدث أي واحد منا هنا أي تغيير. لقد قُضي الأمر، وما نحن إلا ظلال غير مادية. وبما أن الحُكم الذي صدر علينا يتعلق بما فعلناه (أو لم نفعله) في ذلك العالم السابق (المادي)، فليس في وسعنا أي تصحيح على الإطلاق. لقد انقضى عملنا، ونحن ننتظر الجزاء ليس إلا.

تفكرتُ مليًا فيما قد يكون سبب استحقاقي لذلك العقاب الرهيب.

لا أعرف.

لم أقتل، لم أسرق، لم أخدع ولم أسئ لأحد. ولم أكن زانيًا، وحاولتُ طيلة حياتي أن أكون خيرًا ومنصفًا. آمنتُ بالرب وحرصتُ على أن أعيش كما يحبّ ويرضى قدر استطاعتي.

ومع ذلك استحققتُ اللعنة.

تُرى هل كان السبب مرحلة الشكّ (من فترةٍ لأخرى)؟ هل كان السبب أنني في بعض الأحيان شعرتُ بالشهوة؟ تُرى هل كان شعوري بالزهو حين قاومتُ شهوتي؟ أترى كان ذلك الحياء الذي أبديته بأن لا أتبع شهوتي؟ أم لأنني أنفقتُ حياتي في تلبية ما تتطلبه المظاهر الخارجية؟ هل ارتكبتُ في شؤوني العائلية حماقةً أو إهمالًا أو إخفاقًا لم أعد أتذكره الآن؟ أترى كانت

عجرتني (التامة) حين صدقتُ بأنه يمكنني وأنا أعيش هناك (مسجونًا في عقلي وجسدي) أن أتخيّل ما سوف يحدث هنا؟ أترأه إثمًا أكبر بكثير من قدرتي على استيعابه، لدرجة أنني حتى الآن لا أدركه، ومستعدّ لارتكابه ثانية؟ لا أعرف.

خطر لي عدة مرات أن أصارح السيدين بيقنّز وفولن وأقول لهما: ثمة حساب رهيب في انتظاركما. أتلهف لأن أقول لهما: بقاؤكما هنا إنما يؤخّره فقط، لا أكثر. أنتما ميّتان، ولن تعودا أبدًا إلى ذلك المكان السابق. حين يعود كلّ منكما إلى جسده عند الفجر، ألا يلاحظ هيئته المقرّفة؟ هل تصدّقان فعلاً أنّ تلك البقايا الشنيعة قادرة على أن تحملكما لأي مكانٍ مرة أخرى؟ (كنتُ سأقول لو استطعت): والأدهى من ذلك أنه لن يُسمح لكما بالمكوث هنا للأبد. لا أحد. نحن في حالة تمرد على إرادة الرب، وسوف تُهزم في الوقت المناسب، ونذهب.

لكنني لزمْتُ الصمت، كما أمرت.

لعلّ هذا أسوأ عذاباتي، أنني لا أستطيع قول الحقيقة. يمكنني أن أتحدث، ولكن ليس عن الموضوع الأساسي. بيقنّز وفولن يعتبراني متحدلقًا متعجرفًا أهوّل الأمور، عجوزًا زتّانًا. يُبديان الضجر حين أنصح لهما، لكنهما لا يدركان أنّ مشورتي ممزوجة بالمرارة، والخبرة.

ولذلك أجبن وأماطل، وأنا أعرف تمامًا (في خوفٍ مريع) أنه رغم جهلي بالإثم الذي ارتكبته، إلا أنّ سجليّ باقٍ كما كان في ذلك اليوم الرهيب. لم أفعل شيئًا لأحسنه منذ ذلك اليوم، إذ لا يوجد شيء يمكن فعله في هذا المكان، حيث لا ينفع أي عمل.

مؤسف.

مؤسف جدًا.

تُرى هل من الممكن أن تكون لشخصٍ آخر تجربةٍ أخرى تختلف عما رأيتَه؟
أن يمضي إلى مكانٍ آخر، وتكون له تجربة مغايرة تمامًا؟ هل يُمكن أن يكون
ما رأيتَه مجرد تلفيق من دماغي، ومعتقداتي، وآمالي، ومخاوفي السريّة؟
لا.

كان حقيقة.

كان حقيقةً مثل هذه الأشجار التي ترفرف فوقِي. حقيقة مثل الطريق
الحصوي الشاحب تحتي. حقيقي مثل هذا الصبيّ المسبّك الذاهب الذي
يتنفس بصعوبة عند قدمي، مطوّقًا نفسه عند الصدر كأسيرٍ عند هنودٍ همج،
ضحية إهمالي (فقد توقفتُ عن مساعدته حين تهتُّ في ذكرياتي التي حكيتها).
حقيقي مثل بيثنز و قولن الآتين الآن يعدوان ويبدوان أكثر سعادة (أكثر
بكثير) من أي وقتٍ مضى.

قال قولن: فعلناها، فعلناها!

قال بيثنز: نحن، نحن فعلناها.

قال قولن: لقد دخلنا داخل الرجل، وأقنعناه.

قفز كلٌّ منهما على السطح مدفوعين بفرحةٍ مشتركة.

حقًا كانت معجزة المعجزات، أن يُعيدوا الرجل ثانية. دخل الرجل المكان
الفسيح من تحتنا، وهو يحمل قفلاً، قفل باب البيت الحجري الأبيض. كان
يرمي به عاليًا ويلتقطه مثل تفاحة (رغم أنّه كان محنيّ القامة من أثر الحزن).
ظهر القمر ساطعًا في السماء، فأمكننا أن ننظر جيدًا إلى وجهه.

يا لوجهه!

القس ايفرلي تومس

الأنف جسيماً ورومانيّ إلى حدّ ما، الوججتان رفيعتان مثلّمتان، البشرة برونزية، الشفتان مكتملتان، الفم واسع.

“Personal Recollections of Abraham Lincoln and the Civil war” (James R. Gilmore.)

عيناه رماديّتان داكنتان، صافيتان، معبرتان جدّاً، تتغيّران بتغيّر مزاجه.
 “The Life of Abraham Lincoln” (Isaac N. Arnold.)

كانت عيناه برّاقتين، ثابتين، ولهما لون رماديّ لامع.
 شهادة مارتن پ. س. رندلوب

“Lincoln’s Photographs: A Complete Album” (Lloyd Ostendorf)

عيناه رماديّتان-بنيّتان، غارقتان تحت حاجبين كثيفين كما لو أنّهما محاطتان بتجاعيد داكنة عميقة.

“Personal Recollections of Mr. Lincoln” (Marquis de Chambrun)

كانت عيناه بنيتين مزرقتين.

شهادة روبرت ولسن

“Herndon’s Informants” (ed. By Douglas L. Wilson and Rodney O. Davis)

كانت عيناه رماديتين مزرقتين، يغشاهما ظل عميق من الجفنين العلويين، وقد كان هذان ثقيلين على نحوٍ غير معهود.

“Six Months in the White House: The Story of a Picture” (F. B. Carpenter)

عيناه زرقاوان حنوتان، وجفناه نصف مطبقين.

“With Lincoln from Washington to Richmond in 1865” (John S. Barnes)

في رأيي كانت عينا الرئيس لينكون رماديتين مزرقتين، أو بالأحرى زرقاوين مع مسحة رمادية، ذلك أنّ الإشعاع الأزرق كان واضحاً على الدوام، غير أنني لست واثقاً من ذلك.

شهادة إدورد دالتن مارتشانت، من أوراق روث بينتر راندال

لم أر عيني بشيرٍ أكثر حزنًا منهما في حياتي.

شهادة جون ودمر

“Lincoln’s Melancholy: How Depression Challenged a President and Fueled His Greatness” (Joshua Wolf Shenk)

ما من صورةٍ من صورهِ تعكس ولو نزرًا يسيرًا من حقيقة شكله.

“Utica Herald”

الصور التي نراها له لا تعكس إلا نصف حقيقة شكله.

شهادة أولاندوب. فكلن

(Shenk, op. cit.)

كان أكثر وجه حزين عرفته في حياتي. وكانت هناك أيام كنت بالكاد أطيع النظر إليه دون أن أبكي.

(Carpenter, op. cit.)

غير أنه حين يبتسم أو يضحك...

شهادة جيمس ماينر

(Ostendorf, op. cit.)

كان [وجهه] يُشرق مثل فانوسٍ مضاء، حين يمتلئ بالحياة.

شهادة صحافي

“Lincoln the Man” (Donn Piatt)

التباين في تعابير الوجه بين لينكون الجامد ولينكون المفعم بالحياة كان كبيرًا جدًا، أكبر مما رأيته لدى أي إنسان آخر.

شهادة هوراس وايت

(Wilson and Davis, op. cit.)

كان شعره بنيًا داكنًا، دون أية آثارٍ لبداية صلع.

شهادة السيناتور جيمس هارلان

“The True Story of Mary, Wife of Lincoln”

(Katherine Helm)

كان شعره أسود اللون، ما يزال غير ممتزج باللون الرمادي.

“Chiefly About War Matters (Nathaniel Hawthorne)

كان شعره وافر الفضة، رغم أنّ اللون البني كان هو السائد آنذاك. أما لحيته فكانت مبيضة أكثر.

“A Wisconsin Woman’s Picture of President Lincoln (Cordelia A. P. Harvey, in “The Wisconsin Magazine of History”)

كانت ابتسامته في غاية الروعة.

“A Recollection of the Civil War: With the Leaders at Washington and in the Field in the Sixties” (Charles A. Dana)

كانت أذناه كبيرتين غير سويتين.

“Abraham Lincoln: A Medical Appraisal” (Abraham M. Gordon)

حين يكون في مزاج مَرَح، كنت أتخيل أن يصفق بهما مثل أي فيلٍ طيّب.

“Ten Years of My Life” (Princess Felix Salm-Salm)

لم يكن أنفه كبيرًا، بيد أنه يبدو كبيرًا نسبةً إلى وجهه الرفيع.

“Abraham Lincoln’s Philosophy of Common Sense” (Edward J. Kempf)

في الحقيقة كان أنفه كبيرًا، لكنه شخص طويل القامة، لذلك كان هذا التناسب في الحجم ضروريًا.

شهادة جنديّ

“Mary Lincoln: Biography of a Marriage”

(Ruth Painter Randall)

كانت طريقته في الضحك مضحكة حقًا وله إبهاءات غريبة يتفرد بها، فكانت تجتذب انتباه الجميع، بدءًا من الشيخ الرصين وحتى التلميذ الصغير ثم في غضون دقائق معدودة يصبح هادئًا متأملًا مثل قاضي على منصته.

شهادة آبنر إلس

(Wilson and Davis, op. cit.)

كنتُ أراه أكثر الناس دمامةً ممن رأيتُ في حياتي.

شهادة القس جورج سي. نوبس

“The Every-Day Life of Abraham Lincoln: A Biography of the Great American President from an Entirely New Standpoint, with Fresh and Invaluable Material” (Francis F. Browne)

حين التقيت السيد لينكون أول مرة رأيتُه أقل الناس جاذبيةً ممن رأيتُ في حياتي.

“My Day and Generation” (Clark E. Carr)

ما حطت عيناى على رجلٍ أكثر دمامةً منه.

شهادة العقيد ثيودور لايمان

“The Photographs of Abraham Lincoln” (Frederick Hill Meserve and Carl Sandburg)

كان أقلّ الناس جاذبية ممن رأيت في حياتي.

(Piatt, op. cit.)

لم يكن فقط أكثر الناس دمامة ممن رأيت في حياتي، بل كان الأكثر جَلافةً
وفقرًا في اللبابة، في سلوكه ومظهره.

شهادة جندي

“Lincoln” (David Herbert Donald)

لم يكن وسيئًا على الإطلاق بالتأكيد، لكنّه بات مهزولًا وأخرق أكثر فأكثر
مع مرور الوقت.

“Lincoln’s Washington: Recollections of a Journalist Who
Knew Everybody” (W. A. Croffut)

ما إن تقضي خمس دقائق في صحبته حتى يتبدد رأيك فيه بأنه غير جذاب
أو غريب الأطوار.

“Utica Herald”

يبدو أنّ الفكرة المسبّقة كانت هي التي تحدّد رأي المرء فيما يتعلق بوجهه
وحركات جسده التي كان يتفرّد بها.

“Letters of Sam Hume” (Ed. by Crystal Barnes)

لم أراه دميًا على الإطلاق، فوجهه المشعّ بطبيبةٍ وخيرٍ لا حدود لهما كان
يحمل طابعًا من جمال الفكر.

(Salm-Salm, op. cit.)

مزاجه المرح وكرمه وذكاؤه الذي يشعّ [من وجهه] يجعل العين تهفو إلى
أن تظلّ تتأمله حتى تكاد تخاله وسيما.

“Way-Side Glimpses, North and South” (Lillian Foster)

أخبرني الجيران أنني سأجد السيد لينكون رجلًا دميًا، في حين أنه أكثر
من رأيتُ وسامةً في حياتي.

“Reminiscences of Abraham Lincoln by Distinguished Men
if His Time” (Allen Thorndike Rice)

لم أر قطّ وجهًا أكثر تأملًا، لم أر قطّ وجهًا أكثر وقارًا.

شهادة ديفد لوك

(Rice, op. cit.)

يا لتلك القسامات على وجهه! هزيل، مسحوب في خطوط ثابتة من الحزن
الذي لا يمكن التعبير عنه، مشفوعةً بنظرةٍ وحدة، وكأنها تخرج من نفسٍ
لا يمكن للمرء أن يصل إلى أغوار حزنها ومرارتها مهما أبدى من تعاطف.
الانطباع الذي تركه فيّ هو أنني لم أر رئيس الولايات المتحدة بقدر ما رأيت
الرجل الأكثر حزنًا في العالم.

(Browne, op. cit.)

كان يبدو وكأنه يبذل جهدًا كبيرًا في كلّ حركة. هكذا أمسك بالسلسلة،
وعلّق القفل عليها.

روجر بيقتز الثالث

غير أنّ الباب كان مواربًا، وهيئة ابنه المريضة في الداخل، فبدا غير قادر
على مقاومة الدخول مرة أخيرة.

القس ايشرلي تومس

تبعناه إلى الداخل قفزًا من السطح.

هانز فولن

بدا الأمر كما لو أنّ جواره من الهيئة المريضة يصرفه عن قرارٍ سابق،
فسحب الصندوق من فتحة الجدار، وأنزله على الأرض.

القس ايشرلي تومس

بدا لنا ذلك أبعد مما كان ينوي أن يفعله.

روجر بيقتز الثالث

(لم يكن ينوي أن يصل إلى هذا الحد).

القس ايثري تومس

غير أنه جثا.

هانز فولن

ولما جثا بدا غير قادرٍ على مقاومة أن يفتح الصندوق مرة أخيرة.

القس ايثري تومس

وهكذا فتحه، ونظر، ثم تنهّد.

روجر بيثنز الثالث

مدّ يده، وأخذ يرتّب غرّة الصبيّ.

هانز فولن

وعدّل شيئًا بسيطًا في اليدين المعقودتين الشاحبتين.

روجر بيثنز الثالث

صاح الصبي من فوق السطح.

هانز فولمن

كنا قد نسينا أمره تمامًا.

روجر بيقتز الثالث

خطوتُ إلى الخارج، وَثَبْتُ عائداً إلى السطح، وأخذتُ أعالجه حتى يتحرّر. كان أشعث المنظر، مشدوهاً، ولا يقوى على الكلام، مقيداً. ثم خطر لي: ما دمتُ لا أستطيع أن أسحبه للأعلى، فلعلّي أستطيع أن أدفعه إلى الأسفل.

وكنْتُ محقاً فيما ذهبْتُ إليه؛ إذ لم يكن مُصاباً على الإطلاق تحت ظهره. مددتُ يدي عبر القشرة الخارجية التي ما زالت تتشكّل حتى وصلتُ إلى صدره، فدفعته، وهبط متألماً من خلال السطح إلى داخل البيت الحجري الأبيض.

هانز فولمن

جاء الصبي من خلال السقف وخطَّ على الأرض إلى جانب أبيه، يتبعه السيد فولمن.

روجر بيقتز الثالث

حَثَّ فُولْن الصَّبِيَّ بِرُكْبَتَيْهِ عَلَى التَّقَدُّمِ.

قال: تقدّم، وأنصت. قد تتعلم شيئاً مفيداً.

قال السيد بيغنز: لقد سمعنا أباك يرجو رجاءً.

قال السيد فُولْن: يرجو أن تكون.

قال السيد بيغنز: في مكان مشرق.

قال السيد فُولْن: خالٍ من العذاب.

قال السيد بيغنز: متوهّجاً في شكلٍ جديد من الوجود.

قال السيد فُولْن: تقدم.

قال السيد بيغنز: واسمع ما يُقال لك. كي تعرف ما يودّ منك أن تفعله.

القس ايقرلي تومس

وقف الصَّبِيَّ بُوهِنٍ عَلَى قَدَمَيْهِ.

هانز فُولْن

وهو مُسْتَنْفَذٌ مِنْ مَصِيبَتِهِ.

روجر بيغنز الثالث

أخذ يعرّج نحو أبيه كأنه شيخ كبير.

القس ايقرلي تومس

لم يكن قد دخل إلى الرجل قاصدًا من قبل. كان ذلك عن غير قصد.

هانز فولمن

وقد بدا مترددًا في تكرار ذلك الآن.

روجر بيغنز الثالث

في أثناء ذلك كان الحشد يعود مرة أخرى حول البيت الحجري الأبيض.

روجر بيغنز الثالث

فقد ذاع خبر الزيارة الثانية سريعاً.

القس ايقرلي تومس

وفي كل لحظة يزداد عدد القادمين.

هانز فولمن

إلى هذا الحد كانوا متلهفين لحضور هذا الحدث الاستثنائي.

روجر بيغنز الثالث

كان الجميع يتوق لأن يشارك ولو بأقل القليل في هذه اللحظة التحوّلية التي لا بدّ أنها أصبحت وشيكة.

هانز فولمن

ولقد تخلّوا عن أدب الحديث بالدور، فكان الكثير منهم يصرخ باستماتة من مكانه، وآخرون اندفعوا بصفاقة نحو الباب المفتوح لكي يصدحوا بحكايتهم.

روجر بيغنز الثالث

فوقعت بليلة.

القس ايقرلي تومس

أنا الذي أشعلتُ ذلك الحريق.

آندي ثورن

أنا كلما وجدتُ فرصةً سرقت.

جانس پ دوايتسن

أعطيها الألباس واللؤلؤ وأكسر قلب زوجتي وأطفالي وأبيع البيت الذي لا نملك غيره كي أشتري مزيداً من الألباس واللؤلؤ، ثم ترميني من أجل السيد (هوليفن) بأسنانه الصفراء الكبيرة التي تشبه أسنان الخيول، وكرشه الضخمة التي تتقدمه؟

روبرت ج توستنغز

ستون فدانا منتجاً وخنازير كثيرة وثلاثون رأس ماشية وستة خيول رائعة وبيت حجري وثير مثل سرير في الشتاء وزوجة رائعة تهيم بي وثلاثة أولاد رائعون ينفذون كل ما أقوله وبستان رائع يُثمر الإجاص والتفاح والبرقوق والخوخ، وبعد ذلك كله ما يزال أبي لا يحفل بي؟

لانس ديرنغ

هناك شيء واحد لا أحبه وهو أنني حمقاء! طوال حياتي يعاملني الجميع على أنني حمقاء. وأنا كذلك! حمقاء. فحتى الخياطة صعبة عليّ. عمّتي التي ربّنتني جلست ساعات بأكملها تعلمّني كيف أخيط. كانت تقول: هكذا حبيبتي، هكذا. وكنتُ أفعل. مرة واحدة. أما حين أحتاج إلى فعل ذلك مرة أخرى بالطريقة نفسها فأكتفي بالجلوس في مكاني والإبرة مرفوعة. أما عمّتي فتقول: يا ربّ، هذه المرة المليون التي أريك فيها هذا. أيّما كان هذا. لاحظوا أنني الآن لا أستطيع أن أتذكر! أي شيء كان. ذلك الذي أرّنتني إياه عمّتي ونسيته. حين يأتي شاب يغازلني يقول شيئاً ما عن الحكومة مثلاً، فأقول:

أوه، نعم، الحكومة. عمّتي تعلمني الخياطة. فينقلب وجهه. من ذا الذي يريد أن يجب واحدةً بهذه الحمّاقه. إلا إذا كانت شقراء. وأنا لستُ كذلك. إنني عادية جداً. وعمّا قريب سأكون أكبر مما يسمح بقدوم الشباب لكي أضجرهم. أسناني تصفّر وبعضها يسقط. وحتى لو اعتبرتُ نفسي سيّدة كبيرة تعيش في عزلتها، فليس من المفرح أن تكوني حمقاء. دائماً في الحفلات أو ما شابهها تُترّكين جالسة قرب النار، تبتمّمين كما لو أنك سعيدة، لكنك تعلمين أنه لا أحد يرغب في الحديث معك.

الآنسة تمارا دُولتِل

أحمل سبعين رطلاً من الأنابيب على تلة «سوات»، وأعود إلى البيت خائراً القوى داميةً، أدور الحصى تسعة عشرة ساعة متواصلة.. وانظر كيف يكون جزائني.. (إدنا) والبنات يدخلن ويخرجن، بشياهن الملطخة يهتمن بي.. كنتُ دائماً أعمل بجِد، ومرح.. وفور أن أتعافى سوف أعود لذلك.. لكنّ حذائي الأيسر بحاجة إلى إصلاح.. وعليّ أن أستلم المبلغ الذي اقترضه (دوغرتي).. إدنا تعرف عن هذا الأمر.. وأخشى أنها لن تستلمه.. هناك حاجة كبيرة لهذا المبلغ الآن.. فأنا لا أقوى على العمل.. إن كان بوسعك أن تتكرم بإبلاغ إدنا..

حتى تستلمه.. هناك حاجة كبيرة لهذا المبلغ الآن.. فأنا ما أزال مريضًا طريق
الفراش ولا نفع مني.

توبين مولر

أخذني السيد (جونز ملبرن) إلى مكان قصي من بيت القساوسة، وراح
يتلمّسني بطريقة شريرة. كنت مجرّد صبي. وهو كاردينال. لم (أستطع أن)
أنطق بأية كلمة. لأيّ أحد. أود الآن أن أتحدث عن ذلك. أودّ التحدث عنه،
وعن—

فاسپر يوهانس

جاء السيد (ديكروا) والبروفيسور (بلومر) يتخبطان، يدفعان السيد
(يوهانس) بغلظة، يترنحان نحو المدخل، ملتصقان من الفخذ لأنها ما انفكّا
بجاملان بعضهما سنوات عديدة.

القس ايثري تومس

في زماني حققت اكتشافات عديدة لم تكن معروفة من قبل في الأوساط
العلمية، ولم أعط ما أستحق من إشادة. هل ذكرت كيف كان أقراني
أغبياء؟ أبحاثي قرّمت أبحاثهم. ومع ذلك كانوا يرون أنّ أبحاثهم قرّمت
أبحاثي. كانوا يعتبرونني شخصية هامشية، لكنني كنت أدرك قدرتي الكبير.
لقد أنتجت ثمانية عشر كتابًا مميّزًا، وكلّ منها يُعتبر كشفًا جديدًا تمامًا في
موضوعات مثل—

أرجو المذرة.

فجأة لا أجد نفسي قادرًا على تذكّر مجال أبحاثي بالضبط.

لكنني مع ذلك أتذكر ذلك الحدث الأخير المخزي؛ فبعد رحيلي، وقبل أن أُجرَّ إلى هنا (فيما أنا ماكث تحت شجرة قيقب هائج الأعصاب) أفرغَ بيتي من محتوياته ومُحلت أوراقِي إلى ساحة فارغة و—

البروفيسور إدمند بلومر

هدّئ نفسك، سيدي.

حين تنفعل هكذا يؤلمني موضع التصاقنا.

لورنس ت ديكر وَا

وأحرقوها!

كتبي العبقريّة غير المنشورة أُحرقَت.

البروفيسور إدمند بلومر

لا بأس، لا بأس. هل تعرف ما حدث في مصنعي للمخللات؟ ولا أقصد تغيير الموضوع. المصنع باق. وأنا فخور بذلك على الأقل. رغم أنه لم يعد مصنعًا للمخللات. فقد أصبح شركة لصنع المراكب. لقد كان اسم «مخللات ديكر وَا»—

لورنس ت ديكر وَا

ظلم! أبحاثي، أبحاثي التي تُحدث كشافًا جديدًا، ذهبت في سحابة من

ال—

البروفيسور إدمند بلومر

أتدري، أشعر بشعورك هذا أيضًا، حيال مصنعي. كان مصنعًا مهمًا للغاية في وقته. حين تنطلق صافرة الصباح يندفع من البيوت المجاورة سبعمئة من زبائني الدائمين الـ—

لورنس ت ديكر وا

أشكرك على اتفاقك معي في أنه ظلم كبير. لا يوجد كثيرون لديهم هذا التمييز. هذا التعاطف الوجداني. مع أبحاثي. أعتقد أنك كنت ستقدّرني حقّ قدري. لو أننا التقينا فقط! لو أنك كنت محررًا لإحدى المجلات العلمية الكبرى في زماني! لكنّك نشرت أبحاثي. وحرصتَ على أن أحصل على ما أستحقّه. على أية حال، أشكرك، من قلبي، على اعترافك بأنني كنتُ المفكر الأبرز في زماني. ها أنذا أشعر بأنني استرددتُ حقي على نحوٍ ما، فأخيرًا يُعترف بأنني العقل الأكبر في جيلي.

البروفيسور إدمند بلومر

تُرى هل ذقتَ في حياتك شيئًا من مخللاتي؟ إن كنتَ أكلتَ مخللا في واشنطن في الفترة الأولى من هذا القرن، فمن المرجح أنها كانت «مخللات ديكر وا الضارية».

لورنس ت ديكر وا

كان على البرطمانات ملصق أحمر وأصفر، كما أذكر. وعلى كل منها رسمٌ لحيوان الشَّرّه في معطفٍ طويل؟

البروفيسور إدمند بلومر

بلى! هذه كانت مغللاتي! هل كانت لذيدة؟

لورنس ت ديكرورا

لذيدة جدًا.

البروفيسور إدمند بلومر

شكرًا جزيلاً لك، على قولك إنّ مغللاتي كانت ممتازة. شكرًا لقولك إنه من بين جميع المخللات في بلادنا آنذاك كانت مغللاتي هي الأفضل بلا منازع.

لورنس ت ديكرورا

كانت مثل أبحاثي: الأعظم في العالم آنذاك. أولا تتفق؟ هل يمكننا أن نتفق على هذا الرأي؟

البروفيسور إدمند بلومر

أعتقد يمكننا.

أعتقد أننا اتفقنا.

في حالاتٍ كثيرةٍ سابقة.

لورنس ت ديكرورا

أرجو أن تذكّرنى مرةً أخرى قريباً برأيك الإيجابي هذا في أبحاثي. من المؤثر أن تُعجب بي هكذا. وربما، قريباً، سوف أعلّق مرةً أخرى حول روعة مخللاتك، إن كان هذا سيسعدك. عن نفسي سيسعدني أن أفعل ذلك. أنت تستحق. أنت الوفيّ جدّاً، يا من تحبّني بهذا القدر.

البروفيسور إدمند بلومر

غريب، أليس كذلك؟ أن تكّرس حياتك لمشروع معيّن، وتتجاهل جوانب أخرى من حياتك من أجله، ثم تجد في النهاية أنّ هذا المشروع لا يساوي شيئاً أبداً، وثمره تعبك تُنسى تماماً؟

لورنس ت ديكرورا

لحسن الحظّ أنّ هذا لا ينطبق علينا.

فنحن (مرةً أخرى) قلنا نذكّر أنفسنا: إنجازاتنا الكبيرة تعيش وتستمر!

البروفيسور إدمند بلومر

اندفع الآن إدي بارون وزوجته، منطلقين بين الرجلين، فقطعاً موضع التصاقهما.

هانز فولمن

آخ.

البروفيسور إدمند بلومر

يؤلم!

لورنس ت ديكروا

نعم، عند الانفصال، وعند الالتصاق من جديد أيضًا!

البروفيسور إدمند بلومر

سيدي المبحّل.

إدي بارون

لم يُتح لنا أن ننتهي من حديثنا.

بسي بارون

لقد استعجلتمونا.

من قبل.

إدي بارون

جدًا.

بسي بارون

كنتُ أقول:

اللعنة عليهم. أولئك الثعابين الملاعين العاقون ليس لهم أي حق ولا زفت في لومنا على أي زفت، إلا إذا وضعوا أنفسهم في مكاننا، ولا واحد من هؤلاء الملاعين وضع نفسه ولو قليلاً مكاننا.

إدي بارون

ربما كنا نُكثر من الحفلات. ربما لذلك لا يأتون لزيارتنا أبداً.

بتسي بارون

أولئك الأطفال وُلدوا عجائز لا يعرفون ولا زفت عن كيف يستمتع الإنسان بحياته! هل تعرف كلمة أخرى لـ«حفلة»؟ احتفال. هل تعرف كلمة أخرى لـ«تحتفل»؟ أن تستمتع. أن تمرح. لذلك شربنا قليلاً من البيرة اللعينة! وشربنا بعض الزفت النييذا!

إدي بارون

ونفحةً من الأفيون بين الحين والـ—

بتسي بارون

لعلنا جرّبنا تلك المادة اللعينة، كي لا نجرح شعور... ماذا كان اسمه؟
الذي أحضره؟ الذي بدأ الـ—

إدي بارون

بنجامن.

بتسي بارون

آه، بنجامن، بنجي! تذكرين ذلك الشنب ابن ال--؟ ألم نمسكه ذات مرة
في بيت (ماكيري) وحلقنا شعره بالكامل؟

إدي بارون

ذات مرة ضاجعتُ بنجي.

بتسي بارون

ومن لم يضاجعه؟ ها ها ها. لا، رغم أنني شخصيًا لم أضاجع بنجي، على
ما أذكر، إلا أنه كانت هناك مرات زاد فيها القصفُ والنشوة فغدا من غير
الواضح مَنْ يُضاجع من—

إدي بارون

بعد ذلك جاءت صبيحة هائلة من الحشد الكبير—

القس ايفرلي تومس

دمدمةُ استياءٍ تَعْلُو —

روجر بيقتز الثالث

وأناس كثيرون يصرخون، يقولون: لا، لا، هذا لا يليق، ويطلبون من
«الغامقين» —

القس ايقرلي تومس

«الوحوش السود» —

هانز قولن

«الهَمَجِج المَلاعِين» —

روجر بيقتز الثالث

أن يعودوا فورًا إلى المكان الذي أتوا منه.

القس ايقرلي تومس

كان حدثًا بالغ الأهمية، ولا ينبغي لهم أن يفسدوه.

هانز قولن

صاح واحد من بين الحشد: دعوهم يأخذوا فرصتهم. في هذا المكان كلنا
سواء.

صاح آخر: تحدث عن نفسك.

وسمعنا صوت ضرب.

القس ايثريلي تومس

غير أن هناك عدة رجال ونساء من اللون الأسود كانت لهم الشجاعة في
أن يلحقوا ببارون وزوجته من القبر الجماعي على الجانب الآخر من السور—
روجر بيقتز الثالث

ولم يكن أحد ليثنيهم.

هانز فولمن

ويبدو أنهم سيأخذون حقهم في الكلام.

القس ايثريلي تومس

لطالما يَمُمْتُ وجهي، على قدر ما بلغت إليه طاقتي، أن أناهز المُتَهَي فيما آتية، أن أبتَّ في دواخلي تلکم الفضائل العليا التي ربها يفترُ المرء عما تبقى منها، فيمكثُ أبدًا في شِقوته.

إلسن فازول

ما هذا الزفت الذي يقوله؟

إدي بارون

بسّطها أكثر يا إلسن، كي يفهموك بحق الجحيم.

بتسي بارون

وُلدتُ لمرذول الأقدار ومتعوسها، وفق مقتضى الحال، فيا ليت أني سلّمتُ زمام أمري لها، دونها أسف على القدر الحزين، غير أني كنتُ على الدوام مبتهجًا بأن أحمل على نفسي كل عبء بغيض، ولم أبدأ امتعاضًا قطّ من أية فرص محمومة أهفو بها إلى تحسين نفسي، بدءًا من الكتب (التي سرقتُ منها كثيرًا، فكنتُ أكّدس الملحوظات الكثيرة على صفحاتٍ ألتقطها مما يوجد به السيد إيست على الأرض) وحتى أبواب الحكمة. فأظّل أغوص باحثًا عن الأفضل والأكثر إشعاعًا في نفسي، من أغطيّة نظيفة، وحرركات لطيفة

(كما في الرقص)، وشوك لامعة مرفوعة عاليًا في منتصف الحديث، فيما تتعالى ضحكةٌ جذلي مجلجلة.

إلسن فارول

ما أروعه ابن ال--، لكنّ كلامه معقدٌ إلى حدّ الزفت.

إدي بارون

فخذه في حفرتنا؟ ملتصق بفخذي.

بتسي بارون

مؤخرته هنا، في كتفي.

إدي بارون

لا بأس، إنه صديقنا.

بتسي بارون

هو واحد منهم، لكنه مع ذلك صديقنا.

إدي بارون

مؤدب دائماً.

بتسي بارون

ويعرف موقعه.

إدي بارون

ألفيتُ أنّ إخراج نفسي إلى تلك الخصال السامقات سوف يُبدي الأملع
مما وُهبته، وعمّا قريب (هكذا سَرَت آمالي) سوف يتحدث السيد إيست إلى
زوجته عن إمكانية حصولي على غرفة ذات ضوء دائم، فيقرّرون، هناك، أن
يرقّوني، إلى داخل المنزل، فتتبدّل عذاباتي التي تزايدت وزمجت وسخطت
وأخذت تنهر في حساسياتي العالية، فأصرخ في فرح في منتصف الطريق،
سوف أبلغ تلك الحياة الأرقّ (الأقل تعنيفاً والأكثر إشراقاً في ابتساماتها)،
والتي سوف... آه

إلسن فارول

تُخفّف.

إدي بارون

دائماً ينسى كلمة «تُخفّف» في هذا الموضع.

بتسي بارون

تُخَفِّف، نعم.

تُخَفِّف تعاساتي السابقة.

إلسن فارول

انظر إليه الآن.

بتسي بارون

كلما استشاط كلما تكلم أفضل.

إدي بارون

ولكن يا حسرتاه.

كما تبين لي.

فما خُفِّفَت تعاساتي السابقة.

أبدًا.

ذات يوم، أخذنا خارج واشنطن صوب الريف لرؤية الألعاب النارية.
ولمَّا كنتُ مريضًا فقد سقطتُ في الطريق، ولم أستطع النهوض، والشمس
تحرقتني بقوة. كيف تقلبتُ على ذلك الـ

آه.

إلسن فارول

كيف تقلبتِ «على ذلك المسار، ومع ذلك لم يأتِ أحد».

بتسي بارون

كيف تقلبتُ على ذلك المسار، ومع ذلك لم يأتِ أحد. وأخيرًا مرّ بي طفل إيست الأصغر (رينالد)، وسألني: إلسن، هل أنت مريض؟ فقلتُ إني مريض، جدّ مريض. فقال إنه سوف يبعث أحدًا في التوّ واللحظة.

ولكنّ لم يعد أحد. لم يأتِ السيد إيست، لم تأتِ السيدة إيست، ولا أحد من أطفالهما الآخرين أتى. ولا حتى السيد (تشاسترلي)، المشرف علينا بعنفه وسخريته.

أخال أنّ رينالد في خصمّ حماسته بالألعاب النارية نسي أمرى.

نسينى.

أنا الذي عرفته منذ مولده.

طريخًا هناك —

أففف.

إلسن فارول

طريخًا هناك خطر لك «بقوة الكشف».

إدي بارون

طريخًا هناك خطري بقوة الكشف أننى (أنا إلسن فارول، الصبي الأفضل، أحب أبناء أمى إليها) إنما خدعت خدعة أليمة (واندفعت صواريخ من ألوان

كثيرة فوق رأسي، إلى أشكال مثل العلم الأميركي، ودجاجة تمشي، ومذنب أخضر مذهب، كما لو أنها تحتفل بالنكته التي جرت عليّ. وكلّ انفجار جديد يفجّر صيحاتٍ جديدة من السعادة بين أطفال إيست المدللين السبان). ندمتُ على كل لحظة استرضاء وتبسم وخدمة لطيفة، ووددتُ من كلّ قلبي (هناك تحت ظلّ القمر الأرقش على الشجر، والذي أصبح في لحظاتي الأخيرة ظلًّا كاملاً) لو تعود لي صحّتي، ساعة واحدة لا أكثر، كي أصحح خطئي الأكبر، وأستلّ نفسي من كل ذلك الجبن والزيغ والكلام المزخرف، فأنهضُ وأعود إلى أولئك الفرحين دومًا في أسرة إيست، فأضرب وأطعن وأفلق وأحطم، وأقطع تلك الخيمة، وأحرق ذلك البيت، فأحقق لنفسي —
أوه.

إلسن فارول

«نزرًا يسيرًا من الإنسانية، إذ إنّ الحيوان وحده —».

بتسي بارون

نزرًا يسيرًا من الإنسانية، إذ إنّ الحيوان وحده من يحتمل ما احتملته دون اعتراض. بل حتى الحيوان لا يتواطأ على أن يحتمل ما يرتكبه أسياده رجاءً أن يُكافأ.

لكنّ الأوان كان قد فات.

لقد فات الأوان.

وسوف يكون دائمًا قد فات.

لما لاحظوا غيابي في اليوم التالي بعثوا السيد تشاسترلي، ولما وجدني لم ير

ضرورة لإحضاري إلى البيت، بل اتفق مع شخص ألماني ألقى بي فوق عربة
مع أشخاص آخرين—

إلسن فارول

(كراوت) ابن الح-- الذي سرق نصف رغيف من زوجتي.

إدي بارون

كان خبزًا لذيذًا.

بتسي بارون

هناك التقينا إلسن أول مرة.

إدي بارون

على ظهر تلك العربة.

بتسي بارون

وأصبحنا منذ ذلك الوقت أصدقاء.

إدي بارون

لن أبرح هذا المكان أبدًا إلى أن أنتقم.

إلسن فارول

اسمع، لن تحصل على أي انتقام ولا زفت هنا.

إدي بارون

هناك درس تتعلّمه مما حدث لك يا إلسن.

بتسي بارون

إن لم تكن أبيض، فلا تحاول أن تكون أبيض.

إدي بارون

لو مُكِّنْتُ من العودة إلى ذلك المكان السابق فسوف أنتقم لنفسي.

سأسقط أرفف غرفة النوم على رأس رينالد الكبير، وأجعل السيدة تكسر رقبته على السلام، وأحرق ملابس السيد في النار وهو جالس عند سرير الكُساح الذي ترقد فوقه زوجته، وأرسل وباءً على ذلك البيت، وأقتل كل الأطفال، حتى الرضيع، ذلك الذي كنتُ في السابق —

إلسن فارول

حسنًا يا إلسن، واعدرنى على المقاطعة، فأنا لم تكن لديّ أية تجارب قاسية كالتى وصفتها.

السيد (كونر) وزوجته الطيبة وجميع أطفالهما وأحفادهما كانوا لي مثل عائلتي. لم يفصلوني أبدًا عن زوجتي وأطفالي. كنا نأكل جيدًا، ولم نُضرب قط. أعطونا كوخًا أصفر صغيرًا، لكنه جميل. كان وضعًا جيدًا إن أخذنا كل شيء في الاعتبار. فجميع الناس يعملون مع بعض التعديّات على حرياتهم. لا يوجد أحد حرّ حرية مطلقة. كنتُ (هكذا كنتُ أشعر غالبًا) أعيش حياة أيّ إنسان آخر، ولكن بمستوى أعلى. كنتُ أعشق زوجتي وأطفالي، وفعلتُ ما كان سيفعله أي رجل عامل: أفعال ما ينفعهم ويجعلنا نعيش معًا في بهجة، أي أنني حاولتُ أن أكون خادمًا جيدًا ومحترمًا، للناس الذي كانوا، لحسن حظنا، جيّدين ومحترمين.

بطبيعة الحال كانت هناك دائمًا لحظة، حين يصدر لي أمرٌ من الأوامر، يظهر فيها صوت صغير مقاوم في دماغي. كان الواجب يحتم أن أتجاهل ذلك الصوت. لم يكن صوتًا متمرّدًا أو غاضبًا، بل ذلك الصوت الإنساني الصغير الذي يقول: أودّ أن أفعل ما أريد، وليس ما يأمروني أن أفعله.

أعترف أنّ هذا الصوت لم يخمد قطّ.

رغم أنه غدا صموتًا أكثر مع مرور السنين.

ومع ذلك لا يجدر بي أن أبالغ في التذمر. كانت لي لحظات كثيرة حرّة وسعيدة. في عصريّات يوم الأربعاء مثلًا، حين كنتُ أعطى ساعتين أفعال فيها ما أشاء. إضافة إلى كل أحدٍ ثالث في الشهر، إن لم تكن هناك زحمة عمل. ولعلّي أعترف أنّ مُتعي في هذه الراحات كانت تافهة، بل تكاد تكون طفولية. أمشي وأتحدث إلى «رد». أذهب إلى البركة وأجلس قليلًا. أتبع هذا المسار، وليس ذلك. ولم يكن باستطاعة أحد أن يناديني: «تومس، تعال هنا»

أو «تومس من فضلك، نظف الطاولة»، أو «تومس، تلك المزروعات تحتاج إلى عناية، أحضر تشارلز وقيولت للاعتناء بها، ممكن أيها الولد البطل؟».

إلا إذا كانت هذه المقاطعة ضرورية طبعًا. في هذه الحالة من الطبيعي أن يقطعوا راحتني بالتأكيد. حتى في عصر يوم الأربعاء، أو في يوم الأحد. أو في وقت متأخر من أي ليلة. أثناء خلوتي مع زوجتي، أو حين أغط في نوم عميق بعد تعب، أو إن كنتُ أصلي، أو كنتُ في دورة المياه.

مع ذلك كانت لي أوقاتي. أوقاتي الحرة المتروكة لاختياري دون أن يقطعها عليّ أحد.

لكنّ الغريب أنّ ذكرى تلك اللحظات ذاتها هي التي تزعجني أكثر من غيرها.

تزعجني الفكرة أنّ أناسًا آخرين يستمتعون بحياةٍ كاملة من تلك اللحظات.

تومس هافنز

كيف إذا أصبحت في حفرتنا، سيدي؟

إلسن فارول

كنتُ في البلدة. في مشوار. أُصبتُ بألم في صدري، و—

تومس هافنز

أولم يبحثوا عنك؟

إلسن فارول

بحثوا عني كثيرًا!

ما زالوا يبحثون عني، أنا متأكد.

زوجتي في مقدمتهم، والسيد والسيدة كونر يُبدون كلّ دعمهم.

المسألة وما فيها—أنهم لم يجدوني حتى الآن.

تومس هافنز

فجأة دُفع هذا الرجل جانبًا. كانت شابة خلاسيّة في رداء أبيض وقبعة
مخرّمة زرقاء، ترتعش بقوة، ولها جمال أخاذ لدرجة أنّ دمدمة خفيفة علت
بين المتوسّلين البيض.

روجر بيثنز الثالث

تقدّمي (لتزي). هذه فرصتك.

بتسي بارون

لتزي رايت

صامته.

إدي بارون

بتسي بارون

ما الذي حدث لها وأخرسها هكذا بحق الجحيم؟

إدي بارون

تقدّمت امرأة زنجية سمينة كبيرة في السن إلى جانب الخلاسيّة. كان لها حضور مرح في ذلك المكان السابق، لكنها الآن لم تكن مبتهجة، بل غاضبة ومتجهمّة. تركت قدميها المستهلكتان أثرين من الدم خلفها، وفيما كانت تضع يديها (المستهلكتين أيضًا) على فخذ الخلاسيّة كي تشجّعها، تركت عليه بصماتٍ من الدم في مكانٍ هناك على الرداء الأبيض، فيما استمرّت الخلاسيّة ترتعد.

القس ايفرلي تومس

لِتزي رايت

ما فُعل بها فُعل مرّات عديدة، من كثيرين. ما فُعل بها لم يمكن مقاومته، ولم يُقاوم. أحيانًا جرت مقاومته، ما أسفر عن طردها بعيدًا إلى مكان بعيد أسوأ، وفي أحيان أخرى كان يُتغلب على تلك المقاومة بالقوة (بالقبضات والرُكب، الخ). ما فُعل بها فُعل، وفُعل، وفُعل. أو فُعل مرّة واحدة. ما فُعل

بها لم يؤثر فيها، أثر فيها كثيرًا، وقادها إلى صدمات عصبية، وساقها إلى كلام مليء بالكرهية، وساقها إلى القفز من فوق جسر «سيدار كريك»، وساقها إلى هذا الصمت العنيد. ما فُعل بها فُعل من رجال كبار، رجال صغار، أسياد، رجال كانوا يعبرون من الحقل الذي كانت تعمل فيه، وأولاد مراهقين أبناء السيد أو الرجال الذين كانوا يعبرون، ثلاثة رجال في سهرة مجنون تسللوا من البيت ورأوها تقطع الخشب قبل رحيلهم. ما فُعل بها فُعل بانتظام، كقطس منتظم. فُعل بها في أوقات عشوائية. لم يُفعل قطّ، ولا مرة، لكن التهديد كان مستمرًا: لائحا ومقرّرًا. ما فُعل بها كان مضاجعة عادية، ما فُعل بها كان مضاجعة المؤخرة (رغم أنّ المسكينة لم تكن قد سمعت بمثل هذا قط). ما فُعل بها كان أشياء صغيرة مفرقة (مصحوبة بكلمات قاسية من رجال قرويين ناقصي النمو لم يكونوا ليحلموا أن يفعلوا أشياء كهذه لنساء من عرقهم). فُعلت بها كما لو أنّ الأمر من طرف واحد، الرجل وحده، وهي ليست سوى شكل من الشمع (دافئ صامت). ما فعل بها كان أي شيء يريد أي أحد، ولو أراد شخص أن يفعل شيئًا بها، فكان يمكنه ذلك. كان يمكن فعله، وقد فُعل، وفُعل، وفُعل و—

السيدة فرانسيس هودج

هرع الملازم ستون (وهو يصيح: تراجعوا أيها الكسّر، تراجعوا!!) أمام مجموعة من الرجال البيض ضخام البنية (من بينهم بيتيت ودالي وبيرنز)، فأزاح هؤلاء المتوسلين السود بفضافة بعيدًا عن البيت الحجري الأبيض، دافعين إياهم بأطراف أشجار ساقطة موضوعة أفقيًا على مستوى الصدر.

روجر بيقتز الثالث

علت صيحات غضبٍ من الجماعة السوداء.

هانز فولمن

قال السيد (هانز): آه، هنا مثل هناك؟

السيدة فرانسس هودج

اللعنة، ليس بهذه القسوة!

إدي بارون

نحن نعرفهم. لا بأس بهم.

بتي بارون

تقدّم بيتيت ودالي وبيرنز، وجوههم حمراء عريضة يشوّهاها الغضب،
تقدّموا مهدّدين نحو بارون وزوجته، فجعلاهما يتراجعان في ذلّ.

هانز فولمن

وبإشارة من الملازم ستون تقدّمت تلك الدورية لتثبّت الجماعة السوداء
على السور الحديدي الرهيب.

القس ايشرلي تومس

(لم يكن رهيبًا بالنسبة إليهم.

فقد كان يُفرز آثاره الخبيثة علينا نحن الذين نسكن داخل حدوده).

هانز فولن

هنا حدثت مواجهة. فمن أثر الغثيان لم يستطع الملازم ستون والدورية التي معه أن يتقدّموا بما يكفي كي يسوقوا الجماعة السوداء ويخرجوهم خارج السور. وقد طُفح الكيل بأولئك الأفراد من الخضوع لسرقة حقوقهم، فقد استمروا في التمسك بمواقعهم على هذا الجانب.

القس ايفرلي تومس

في أثناء ذلك انتهز عشرات المتوسّلين (البيض) الفرصة فهرعوا إلى المساحة التي فرغت أمام البيت الحجري الأبيض، وأخذوا يجأرون بحكاياتهم عند المدخل، إلى أن غدا من المستحيل تمييز صوت عن آخر وسط هذه الجوقة المستميتة.

هانز فولن

لم يسمع السيد لينكون أيًا من ذلك، بالطبع.
بالنسبة إليه كان مجرد قبو صامت في مَوَات الليل.
القس ايثري تومس

والآن حانت اللحظة الحرجة.

روجر بيقتز الثالث

لا بدّ أن يتواصل الولد والأب.

هانز قولمن

وهذا التواصل لا بدّ أن ينور الصبي. لا بدّ أن يأذن له بالذهاب أو
يشجّعه عليه.

روجر بيقتز الثالث

ولإضاع كل شيء.

القس ايثري تومس

قال السيد فولن للصبي: لماذا تؤجّل؟

روجر بيفنز الثالث

سحب الصبيّ نفسًا عميقًا، واستعدّ، كما يبدو، للدخول أخيرًا وتلقّي ما
ينبغي عليه فعله.

هانز فولن

لكنّ سوء الحظّ أبى إلا أن يطلّ بوجهه الآن.
 روجر بيغنز الثالث

لاح ضوء مصباحٍ في الظلام.
 هانز فولمن

السيد (ماندرز).

الحارس.

روجر بيغنز الثالث

ظهر هناك ويبدو مثل حاله دائمًا حين يكون بيننا: مرتعبًا، ومندهبًا بعض الشيء من ارتعابه، متلهفًا للعودة إلى غرفته.

القس ايشري تومس

كنا معجبين بالسيد ماندرز، حيث كان يحتفظ بشجاعته في تلك

الدوريات وهو يتحدث إلينا مؤكِّدًا أنَّ الأشياء «هناك» باقية كما هي. أي أنَّ الأكل والحبَّ والعراك والولادات والشرَّه والأحقاد، كلها ما تزال باقية. في بعض الليالي كان يذكر أطفاله—

روجر بيغنز الثالث

فليب، وميري، وجاك.

هانز فولمن

يخبرنا عن أحوالهم.

روجر بيغنز الثالث

كنا نقدرُّ له هذه الأخبار تقديرًا كبيرًا، بالأخذ في الاعتبار تلك الروح المرحة التي تُقال بها.

هانز فولمن

في هذه الليلة أخذ ينادي على «السيد لينكون» مرة بعد أخرى، ثم يعدلُّ طريقة الخطاب إلى «السيد الرئيس».

القس ايشرلي تومس

ورغم أننا كنا نحبّ ماندرز—

هانز فولمن

إلا أنّ توقيته كان سيئًا.

القس ايقرلي تومس

فظيعًا.

روجر بيفنز الثالث

أسوأ توقيت.

هانز فولمن

قال الصبي: «إنه ينادي أبي»، وكان هذا متكئًا بوهنٍ على جدار المدخل.

سأل القسُّ في امتعاض: أبوك رئيس؟

قال الصبي: نعم.

سأل القس: رئيس ماذا؟

أجاب الصبي: الولايات المتحدة.

قلتُ للقس: هذا صحيح. إنه رئيس. لقد مضى زمن. ثمة ولاية اسمها

«مينيسوتا».

قال السيد فولمن: نحن في حرب. في حرب مع أنفسنا. ولقد تطوّرت المدافع كثيرًا.

قلتُ: يُعسكر الجنود داخل مبنى الكونغرس.

قال السيد فولمن: رأينا كل شيء.

قلت: حين كنا هناك داخله.

روجر بيقتز الثالث

تقدّم السيد ماندرز عبر المدخل، والمصباح يشعّ في ذلك المكان الضيق.

هانز فولمن

وما كان مظلمًا أصبح الآن مضاءً بنور وهاج. كان يمكننا أن نرى الحزوز والكتل العشبية في الجدران الحجرية، والتجاعيد على معطف السيد لينكون.

روجر بيقتز الثالث

والملاح الشاحبة الغائرة على هيئة الصبيّ المريضة.

هانز فولمن

وهي قابعة هناك داخل الـ

القس ايقرلي تومس

صندوق المرضى.

هانز فولمن

قال ماندرز: ها أنت هنا سيدي.

قال السيد لينكون: نعم.

قال ماندرز: اعذرنى على التطفل. خطر لي..خطر لي أنك قد تحتاج إلى بعض الضوء. للعودة.

هبّ السيد لينكون على قدميه وصافح ماندرز مطوّلاً.

روجر بيثنز الثالث

يبدو مثل مريضٍ يرتاح.

هانز فولمن

بل ربما محرّجًا أن يجده أحد هنا.

القس ايفرلي تومس

جائياً أمام صندوق ابنه.

هانز فولمن

صندوق المرضى المفتوح.

القس ايثري تومس

ودون إرادة من السيد ماندرز تحوّلت عيناه إلى ما في الصندوق.

هانز قولمن

سأله السيد لينكون كيف سيعود أدراجه من دون المصباح. فقال السيد ماندرز إنه يفضّل الضوء، فهو موسوس بعض الشيء، إلا أنه مع ذلك يعرف المكان مثل ظهر يديه. عرض عليه السيد لينكون أن يعودا معاً، بعد أن يمنحه لحظات أخرى فقط. وافق السيد ماندرز، وتراجع خارجاً.

روجر بيقتز الثالث

كارثة.

القس ايثري تومس

لم يتواصل حتى الآن.

هانز قولمن

لم يحدث أيّ شيء بعد قد يفيد الصبي.

روجر بيقتز الثالث

والصبي لم يتقدم بعد.

هانز فولمن

بل اكتفى بالاستناد على الجدار، متجمداً من الخوف.

القس ايثري تومس

ولكن حينها رأينا أنه ليس خوفاً، أبداً.

لقد تحلّل الجدار من خلفه، وتقدّمت الوريقات منه فطوّقت خصره أربعاً منها أو خمس. أصبحت الآن حزاماً زاحفاً شنيعاً يقيّده في مكانه.

روجر بيثنز الثالث

كان يلزمنا وقت لكي نفاك قيده.

هانز فولمن

لا بد أن نجد طريقة لنؤخّر رحيل الرجل.

القس ايثري تومس

نظرتُ إلى السيد بيثنز.

ونظر إليّ.

هانز فولمن

أدركنا ما ينبغي فعله.

روجر بيقتز الثالث

كنا نملك القدرة. على الإقناع.

هانز قولمن

فعلنا ذلك، قبل أقل من ساعة.

روجر بيقتز الثالث

كان السيد بيقتز أصغر سنًا، ولديه أذرع عديدة (قوية جدًا)، في حين أنني لم أكن مناسبًا جدًا للعمل الشاق الذي يتطلبه فكّ قيد الصبي، بالأخذ في الاعتبار أنني عارٍ، وشيئي الضخم يعيقني.

لذلك دخلتُ، إلى السيد لينكون، بمفردي.

هانز قولمن

كان الرجل تعيشًا بحق.

كان يحاول أن يصوغ وداعًا، في نوع من الروح الإيجابية، غير راغبٍ في أن يعلن الرحيل الأخير في كآبة، في حالةٍ يمكن للصبي بطريقةٍ ما أن يشعر بها (رغم أنه قال لنفسه إن الصبي الآن تجاوز مسألة الشعور). غير أنه كان ممتلئًا بالحزن، والشعور بالذنب، والندم. لذلك مكث في مكانه، رجاءً أن تظهر فكرةٌ مريحة يستطيع أن يبني عليها.

ولكن لم يظهر شيء.

كان الآن تعيشًا، يشعر بالبرد والحزن أكثر، وحين وجّه دماغه بحثًا عن السلوان في حياته هناك، ومستقبله، والاعتبار الكبير الذي كان يحظى به، لم يجد أي دلالة على ذلك. بل على العكس بدا أنه لم يكن له أي اعتبار، ولم يكن ناجحًا في أي شيء على الإطلاق.

هانز فولمن

لما تراكم الموتى في أعدادٍ لم يمكن تخيلها، وانضاف الحزن على الحزن،
أنحت هذه الدولة -التي لم تكن قد عرفت إلا القليل من التضحيات-
باللائمة على لينكون، لسوء إدارته المرتبكة في الجهود الحربية.

“The Unpopular Mr. Lincoln: The Story of America’s Most
Reviled President” (Larry Tagg)

الرئيس أحق.

“The Civil War Papers of George B. McClellan” (edited by
Stephen Sears)

أجوف، ضعيف، صبيانيّ، منافق، عديم الأخلاق، عديم الفضيلة،
يتحدث إليك وقبضته تلصقك تحت أضلعك.

شهادة شيرارد كليمنز

“The War Years” (Carl Sandburg)

من الثابت أنه ذو شخصية متدنية القدر جداً، غير قمين على الإطلاق بإدارة هذه الأزمة.

شهادة إدورد إيفيريت

“The Emergence of Lincoln: Prologue to the Civil War, 1859-1861” (Allan Nevins)

كان وقعُ خطباته هنا مثل اللحاف المبلول. لقد أودت خطباته بكل أفكار العظمة.

شهادة عضو الكونغرس تشارلز فرانسيس آدمز

(Tagg, op. cit.)

إنه أضعف رجل انتُخب على الإطلاق، بكل تأكيد.

(Clemens, op. cit.)

سوف تتوارث الأجيال ذكره على أنه الرجل الذي لم يستطع أن يقرأ الإشارات في عصره، ولا أن يفهم ظروف بلاده ومصالحها... لم تكن لديه أية جدارة سياسية، إذ ألقى بوطنه في حربٍ كبرى دون تخطيط. لقد فشل بلا عذر، وسقطَ بلا أصدقاء.

من الصحيفة اللندنية مورنغ بوست

(Tagg, op. cit.)

بناءً على ندائك ظلّ الناس تسعة عشر شهرًا يلقون بأبنائهم وإخوانهم وأزواجهم وأموالهم. فماذا كانت النتيجة؟ هل تدرك أنك السبب في هذا الخراب والحزن والأسى الذي يسود البلاد؟ هل تدرك أنك المسؤول عن الشباب الذين أصيبوا بعاهاات أو إعاقات أو قُتلوا أو غدوا عاجزين مدى الحياة، نظرًا لضعفك، وترددك، وقلة ما تملك من شجاعة أخلاقية؟

رسالة من س. و. أوكي

(Tagg, op. cit.)

تُصرف الأموال متدفقة، وعشرات الآلاف من الرجال ينتظرون، يُعاد تنظيمهم دون سبب، يسرون بلا هدف على جسور باهظة الثمن صُنعت خصيصًا لهذا الحدث، ثم يعودون على الجسور نفسها وقد تهدّمت. ولا شيء تحقق أبدًا.

“Letters of a Union Fellow” (Tobian Clearly)

إذا لم تعلن استقالتك فسوف نضع عنكبوتًا في طبق حلوياتك، وندمر حياتك أيها اللعين ابن العاهرة، فلتذهب للجحيم. الحس مؤخرتي، مصّ عضوي، وقل لخصيتي يا عمّي، لعنك الله يا أحمق يا ملعون ايب لينكون! المَعذرة عن هذه الكلمات القاسية لكنك تحتاج إليها فأنت لست سوى زنجي أسود.

“Dear Mr. Lincoln” (Harold Holzer)

لو أنّ زوجتي أرادت أن تتركني، هل أجبرها بالقوة على أن تبقى في «اتحادنا»؟ لا سيما حين تكون أشدّ مني في القتال والتنظيم، ومصممة تمامًا

على أن تتحرر مني؟

شهادة پ. مالون

“Voices of a Divided Land” (edited by Baines and Edgar)

رتّب الجثث في صفّ وامش من البداية إلى النهاية، وانظر إلى كل أب وزوج وأخ وابن. احسب الكلفة الكاملة بهذه الطريقة وضع في اعتبارك (كما فعل جنودنا جميعًا هذا الشيء سرًا) أنّ هذا الصف المروّع من المستقبلات المحطّمة ليس إلا البداية لموجةٍ من الميتات الشابة التي لا بد ستحلّ علينا عما قريب.

من صحيفة فيلد غازيت الصادرة في ألتاون

السلام سيدي، اسع للسلام. هي صيحة الإنسان منذ زمن مخلصنا على الأقل. فلماذا تتجاهلها الآن؟ تقول النصوص المقدّسة تبارك صانع السلام، وعلينا أن نفترض أنّ العكس صحيح أيضًا: ملعون من تاجر بالحروب، أيّا ما كان السبب أو القضية التي يصدّق أنه يقاتل من أجلها.

من صحيفة تروث سنيتل الصادرة في كليفلاند

نحن لم ولن نوافق على القتال من أجل هذا الزنجي الذي لا يساوي شيئًا.

رسالة من جندي مشاة في نيويورك إلى لينكون

“Forgotten Voices of the Civil War” (edited by J. B. Strait)

لقد أحكمت سيطرتك، ونصبت نفسك دكتاتورًا، وأنشأت شكلاً جديدًا واحدًا من الحكومة التي لا بد أن تظني على حقوق الفرد. عهدك هذا يُنذر بعصر رهيب، حين تضيع جميع حرياتنا من أجل حقوق النظام الواحدي. لا بد أن [الآباء] المؤسسين يراقبون في ارتياح.

شهادة دارل كمبرلاند

“The Villain Lincoln” (R. B. Arnolds)

لدينا معضلة وُضعت أمامنا، فماذا نفعل، إن كان لا بد أن تستمر سلطته ستين آخرين، وأصبح بقاء الوطن مهددًا قبل إمكانية حصولنا على رجلٍ بديل عاقل؟ ما أصعب أن تُبقي على رجل غير كفاء، كي تنقذ بلادك.

رسالة من جورج بانكروفت إلى فرانيس لير

“Lincoln Reconsidered” (David Herbert Donald)

إذا ما أعيد انتخاب ايب لينكون لأربع سنوات أخرى من هذه الإدارة البائسة، فترجو أن تظهر يدٌ جسورة تغرز الخنجر في قلب الطاغية، من أجل الصالح العام.

من صحيفة لا كروس ديموكرات

أيها العجوز ايب لينكون. لعنة الله على روحك الملعونة في الجحيم، فلتذهب إلى الجحيم ملعونًا أنت وأسرتك الملعونة في الجحيم، إلى الجحيم أنت وهم، لعنة الله عليكم وعلى أصدقائكم الملعونين، إلى الجحيم، لعنة الله على أرواحهم الملعونة، عليهم لعنات الله.

(Holzer, op. cit.)

حسنًا، وماذا في ذلك.

لا يوجد أحد فعل شيئًا يستحق الفعل ولم يُنتقد. وفيما يتعلق بالأمور التي
بين يديّ (ما يتعلق به هو) فأنا على الأقل فوق أي —

هكذا راح يفكر السيد لينكون.

غير أن عينيه (عينينا) أغمضتا في جفلةٍ أسيّ بطيئة تستجلب الذكرى.

هانز فولمن

في تلك الأيام المريعة سرّت همسات تشير إلى أن الإبقاء على حياة الصبيّ
كان يحتاج إلى حزمٍ أبويٍّ لا أكثر.

“The Prairie Torment: Lincoln’s Psychology” (James Spicer)

كان ولي سعيدًا جدًّا بالمهر الصغير الذي حصل عليه، حتى أنه أصرّ على
ركوبه كل يوم. كان الطقس متقلّبًا، ولذلك أصيب ولي بنزلة بردٍ شديدة
تطوّرت إلى حمّى.

(Keckley, op. cit.)

كان البعض يتساءل: لماذا كان الصبي يركب المهر أثناء هطول الأمطار
دون معطف؟

(Spicer, op. cit.)

أولئك الذين كانوا يعرفون أطفال لينكون شخصيًا، ورأوهم يركضون

في البيت الأبيض مثل اثنين من همج الغابة، سوف يؤكّدون أنّ أسرة لينكون كانت في حالٍ من الخبل الدائم؛ إذ يخلطون بين حبّ الأبناء والسماح لهم بفعل كل ما يريدون.

شهادة ب. ملبانك

“Accidental Jehovah: Will, Focus, and the Great Deed” (Kristen Toles)

لم يمارس [لينكون] أي شكلٍ من الحكم على أسرته. كان أطفاله يفعلون ما يشاؤون، وكان يقرّهم على كثيرٍ من تصرفاتهم الغريبة، ولم يكن يمنعهم من شيء. لم يزرهم أبدًا أو يعبس في وجوههم.

“Life of Lincoln” (William H. Herndon and Jesse W. Weik)

كان يقول دائمًا: «إنه [ليسعدني] أن يكون أطفالنا أحرارًا، سعداء وغير مقيدين بطغيان أبيّ. إنّ الحب هو السلسلة التي تربط الطفل بأبويه».

شهادة ماري لينكون

“Herndon’s Informants” (edited by Douglas L. Wilson and Rodney O. Davis)

كان أطفاله يُسقطون الكتب، ويفرغون دلاء الرماد، ورماد الفحم، والمحابر، والورق، والأقلام المذهّبة، والرسائل، و و و، يجمعونها في كومة ثم يرقصون حولها. لم يكن لينكون يقول شيئًا، كان شارد الذهن جدًّا وأعمى عن أخطاء أبنائه. فلو أنهم تبرّزوا في قبعة لينكون ومسحوا البراز في حذائه،

لضحك وقال إنها حركة ذكية.

رسالة إلى جيسي ك. ويك

“Herndon on Lincoln: Letters” (edited by Douglas L. Wilson and Rodney O. Davis)

كان يمكن لهم أن يتسابقوا ويمرّوا من جانبه ولا يرفع عينيه عن أوراقه. لقد كان لينكون (إذا نحينا جانبًا سيرَ القديسين التي كُتبت عنه لاحقًا) رجلًا طموحًا، إلى حدّ الهوس بشيء واحد يضع تركيزه فيه.

شهادة ثيودور بلاسغن

“They Knew Him” (edited by Leonora Morehouse)

أيما شخص يرى أنّ لينكون كان يجهّز نفسه منتظرًا أن يناديه الناس، فإنّ لديه فكرة مغلوطة جدًّا عنه. لقد كان يحسب كل شيء، ويخطّط دائمًا. كان لديه طموح أشبه بألة صغيرة لا تعرف الراحة.

شهادة وليم ه. هيرندون

“The Inner World of Abraham Lincoln” (Michael Burlingame)

إن كنت مثلي شخصًا قرّر منذ زمن أن يضع جانبًا تطلعاته الدنيوية من أجل المتع الأسرية، وأن يقبل كجزء من هذه الصفقة أن تكون له حياة عامة أقلّ مجدًا، فلا يسعك إلا أن تتخيل تلك السحابة السوداء التي لا بدّ أن تهبط

على رأس المرء حين يفكر فيما كان يمكن أن يحدث، لو أن تركيزه كله كان على شؤون البيت.

“Wise Words and Collected Letters from a Grandfather”
(Norman G. Grand, unpublished manuscript, edited by Simone Grand, used by permission)

حين يفقد الوالدان طفلاً، لا تنتهي عذابات النفس التي يقاسيها. حين نحب، ويكون من نحب صغيراً ضعيفاً ومعرضاً للأذى، ولا ينتظر الحماية إلا منا، ثم تفشل هذه الحماية لأي سبب كان، فأنت عزاء (أي تبرير، أي دفاع) قد يجدي؟
لا شيء.

سوف يتقيح الشك فينا طوال حياتنا.

وما إن نتصدى للحظة شك، حتى تظهر غيرها، وغيرها.

(Milland, op. cit.)

الإحساس بالذنب واللوم إنما هو سورة الغضب التي تجتاح تلك البيوت التي يغيب الموتُ فيها أطفالاً مثل ولي لينكون. وفي حالتنا هذه كان مقدار اللوم أكثر من كافٍ.

(Epstein, op. cit.)

وجّه المنتقدون سهامهم على أسرة لينكون متقدين فيها قساوة قلبها، ذلك أنها أخذت تجهز لحفلٍ بينما كان ولي مريضاً.

(Brighney, op. cit.)

لو أعدنا النظر فيما مضى لوجدنا أنّ ذكرى تلك الليلة البهيجة لا بدّ تطلّخت بالعذاب.

(Leech, op. cit.)

لما رأت السيدة لينكون أنّ حالة وليّ تزداد سوءاً، صمّمت على استرجاع بطاقات الدعوة وتأجيل الحفل. غير أنّ السيد لينكون رأى أنّه من الأفضل ألاّ تُسترجع.

(Keckley, op. cit.)

كان وِلي يشتعل حرارةً من أثر الحمّى في ليلة الخامس، في الوقت الذي كانت فيه أمه ترتدي ملابسها للحفل. كان يسحب أنفاسه بصعوبة، وكانت ترى أن رثيته تضيقان أكثر فأكثر، ففزعت.

(Kunhardt and Kunhardt, op. cit.)

على الأقل نصح [لينكون] باستشارة الطبيب قبل اتخاذ أية خطوة. وعليه فقد استدعي الدكتور سلون، فقال هذا إن وِلي يتحسن، وكلّ الأعراض تشير إلى شفاء قريب.

(Keckley, op. cit.)

لقد أكّد الطبيب للينكون أنّ وِلي سوف يتعافى.

شهادة جوشوا فريول

“The President’s Hippocrates” (Deborah Chase, M.D.)

ضجّ المنزل بصوت الموسيقى المبهجة التي عزّفتها فرقة «مارين»، والتي وقعت على مسمع الصغير وِلي مثل مغاياتٍ من رفيقٍ لعبٍ يتمتّع بصحّته.

(Sloane, op. cit.)

إنّ لم يكن الحفل قد سرّع من نهاية الصبيّ، فالأكيد أنه زاد من معاناته.

(Mays, op. cit.)

نُشر كاريكاتير في صحيفة محلية بواشنطن تُسمى غاب أند جوست يظهر فيه السيد لينكون وزوجته وهما يوزعان كؤوس الشمبانيا، فيما راح الصبي (وعيناه مرسومتان كحرفي X) يتسلق إلى قبر مفتوح ويسأل: «أبي، كأس قبل أن أذهب؟».

“The Rudderless Ship: When Presidents Flounder” (Maureen H. Hedges)

ضوضاء، وصخب، وضحك جنونيّ مخمور في وقتٍ متأخر من الليل، والصبيّ الصغير طريح الفراش حرارته مرتفعة، يشعر بأنه وحيد تمامًا، يقاتل كي يُبعد الكائن المتربص به قرب الباب!

(Spicer, op. cit.)

«أبي، كأس قبل أن أذهب؟»

«أبي، كأس قبل أن أذهب؟»

«أبي، كأس قبل أن أذهب؟»

(Hedges, op. cit.)

لقد أكّد الطبيب للينكون أنّ ولي سوف يتعافى.

شهادة جوشوا فريول

(Chase, op. cit.)

اطمأنّ لينكون إلى رأي الطبيب.

(Stranger, op. cit.)

لينكون لم يخطئ الطبيب.

(Spicer, op. cit.)

لقد اختار ألا يتوخى الحذر، فأوصى بالمضيّ قدماً في مسألة الحفل.

(Hedges, op. cit.)

أقيم الحفل بمباركة الرئيس، والصبيّ الصغير يعاني في الأعلى.

شهادة جوشوا فريول

(Chase, op. cit.)

نعقت بومةً في الخارج.

وأصبحتُ أدرك الرائحة التي تتداعى من بلدتنا: كتّان، وعرق، وشعير.

كنتُ قد فكّرتُ ألا آتي مرةً أخرى.

هكذا خطر للسيد لينكون.

مع ذلك فأنا هنا الآن.

نظرة أخيرة.

ثم نزل مقرّصاً أمام صندوق المرضى.

وجهه الصغير مرةً أخرى. يدها الصغيرتان. هاهما. دائماً ستكونان. هكذا.

من دون بسمّة. أبداً. الفم خطٌّ رفيع. لا يبدو ناتماً. كان ينام فاغر الفم وعلى وجهه تعابير كثيرة من أحلامه، وأحياناً يتمتم بيضع كلمات لا معنى لها.

لو أنّ لعازر⁽¹⁾ قد وُجد فعلاً، فلا ينبغي أن يمنع شيءٌ تلك الظروف التي حدثت آنذاك أن تحدث الآن، هنا.

وهنا حدث شيءٌ لافت: حاول السيد لينكون أن يُنهضَ الهيئة المريضة، ذلك أنه أفرغ دماغه ثم فتحه على أي شيء لا يعرفه يُمكن أن يجعل الهيئة المريضة تنهض.

شعر بالحمق، غير مصدّقٍ أنه يمكن لشيء كهذا أن —

1 - لعازر (Lazarus): الذي أقامه يسوع من الموت بعد أربعة أيام من وفاته، وفقاً للإنجيل يوحنا. (المترجم).

مع ذلك، فهو عالم واسع، وأي شيء يمكن أن يحدث فيه.
حدّق في الأسفل نحو الهيئة المريضة، وفي إصبع واحدة من يده، ينتظر
أدنى —

رجاء رجاء رجاء.

ولكن لا.

إنها خرافات.

لن تجدي.

(تعقّل، سيدي).

كم كنتُ مخطئًا حين رأيتَه مستقرًا ثابتًا فظننتُ أنني سأحتفظ به إلى الأبد.
لم يكن ثابتًا قط، ولا مستقرًا، بل كان على الدوام دفعةً طاقةً مؤقتةً عابرة. كان
عليّ أن أدرك ذلك. أولم يكن في مولده في هيئة، ثم في هيئة أخرى في الرابعة،
وهيئة أخرى في السابعة، وهيئة مختلفة تمامًا في التاسعة؟ لم يبق كما هو قطّ،
حتى ما بين اللحظة والأخرى.

أتى من اللاشيء، واتخذ هيئةً، وأصبح له من يجبه، وكان منذورًا دائمًا
للعودة إلى اللاشيء.

غير أنني لم أفكر في أنّ عودته ستكون قريبة هكذا.

أو أنه سيسبقنا.

اثنان عابران أحببًا بعضهما.

نفتنان من دخانٍ أحببت كلّ واحدةٍ منهما الأخرى.

أخطأتُ فحسبته ثابتًا صلبًا، وها أنا أدفع الثمن.

لستُ مستقرًا، ولا ماري مستقرة، ولا المباني والنُصب التي هنا مستقرة،

والمدينة الكبرى ليست مستقرة، والعالم الأوسع ليس مستقرًا. الكلّ يتغيّر،
وإنه يتغيّر، في كل لحظة.

(هل ارتحت؟).

لا.

(حان الوقت

للذهاب).

أفكار السيد لينكون أهتني تمامًا فنسيّت مهمّتي.

لكنني تذكّرتها الآن.

قلتُ في نفسي: فلتبق هنا. من الضروريّ أن تبقى. دع ماندروز يذهب
بمفرده. اجلس على الأرضية الآن واسترح، وسوف نستدعي الصبي كي
يأتي إليك، ومن يدري أية نتيجة إيجابية قد تحدث من التقاء الشمل هذا،
التقاء الشمل الذي ترغبان فيه أنتما الاثنان بشوق كبير.

بعد ذلك أتيتُ بأدقّ الصور الذهنية التي استطعتُ أن أستحضرها،
صورته وهو باق: جالس، مطمئن في جلوسه، يجلس مرتاحًا، يهدأ بالبقاء،
إلخ إلخ.

حان وقت الذهاب.

قال السيد لينكون في نفسه.

نهض على ركبتيه قليلًا استعدادًا للذهاب.

حين كان يمشي بخطواته الأولى سقط، فالتقطته ومسحتُ دموعه بقبلة.
وحين رغب الآخرون عن اللعب معه في ساحة برستر جثتُ ومعِي تفاحة
وقطعتها. للجميع.

فنجح الأمر.

بسبب هذا، إضافة إلى طبيعته.

وسرعان ما كان يأمر أقرانه ويقودهم.

والآن ينبغي أن أتركه، دوننا مساعدة، في هذا المكان البشع؟

(أنت تستمرى تعذيب نفسك. الأمر خارج قدرتك. السيد غراس العجوز في سانغامون ظل يزور قبر زوجته أربعين يوماً متواصلًا. في البدء كان الأمر مدعاة للإعجاب، ثم ما لبث أن أصبح محطَّ سخريّة، وتدمّر متجره).

إذًا، فقد حُلت.

حُلت: ينبغي علينا، ينبغي علينا الآن:

(فكّر بهذه الأفكار، مهما كانت قاسية، وسوف تقودك إلى فعل ما تعرف

أنه صحيح. انظر

انظر للأسفل.

إليه.

إلى هذا الشيء.

ما هو؟ ابحث عن جوابٍ صريح لهذا السؤال.

هل هذا هو؟

ليس هو.

ما هو؟)

هل هو الذي كان يحملُه هنا وهناك. ذلك الشيء الجوهرى (الذي كان يُحمل، الذي أحبيناه) ذهب. ورغم أنّ هذا الشيء كان جزءًا مما أحبيناه (فقد

أحببنا الطريقة التي كان ينظر بها ويمشي ويضحك ويلعب، في مزيج من شرارة الحياة وحاملها)، إلا أنه الجزء الأقل من ذلك التركيب الذي أحببناه. تلك الشرارة غابت، وهذا القابع هنا، مجرد—

(قلها لنفسك. هيا. اسمح لنفسك بالتفكير في تلك الكلمة).

أفضل ألا أفعل.

(إنها حقيقة. سوف تساعدك).

لا ينبغي أن أقولها، أن أشعر بها، أن أتصرف بمقتضاها.

(ليس من الصواب أن تصنع صئماً من هذا الشيء).

سأذهب. أنا ذاهب. لستُ في حاجةٍ إلى مزيدٍ من الإقناع.

(مع ذلك، قلها، من أجل الحقيقة. قل الكلمة التي تعتمل في داخلك).

أه يا صديقي الصغير.

(تلك الشرارة غابت، وهذا القابع هنا، مجرد—

قلها).

لحم.

سيء.

نهاية سيئة للغاية.

حاولتُ من جديد، بكلّ قواي:

توسّلتُ أقول: فلتبق. الأمر ليس بعيد المنال. أبداً. يمكنك أن تفيده

كثيراً. بل قد تكون أكثر نفعاً له الآن مما كنت في ذلك المكان السابق.

فأبديته مرهونة بالتوازن، سيدي. إن بقي هنا فسوف تغشاه تعاسةٌ أكبر

هما تتخيل .

لذلك ابق، امكث، لا تتسرع، ارتاح، اعتبر نفسك في بيتك، تلكأ، خذ راحتك وأنت تستقرّ في مكانك.

إنني أتوسّل إليك.

إنني أتوسّل إليك.

ظننت أنّ هذا يُجدي . ليس يُجدي . لا ينبغي أن أنظر إليه مرة أخرى . وحين أحتاج إلى النظر إلى ولي، فسوف أفعل ذلك في قلبي، وهذا هو الصواب . هناك حيث ما يزال سليماً كاملاً . أعرف أنني لو استطعتُ أن أشاوره الآن لاتفق معي . سيقول لي من الصواب أن أذهب ولا أعود مرة أخرى . كان روحاً نبيلة . كان قلبه يحبّ الخير أكثر من أي شيء .

كان طيباً جداً . هذا الولد الصغير الحبيب . كان يعرف دائماً ما ينبغي فعله . ويحثني على فعله . سوف أفعله الآن ، رغم قسوته . كلّ الهبات مؤقتة ، وإنني أتنازل عن هذه الهبة مجبراً . وأشكرك على ذلك . أيها الربّ ، أو العالم . أيّما ما كان الذي حباني به ، أشكرك بكلّ تواضع ، وأرجو أن أكون قد فعلتُ الصواب ، وعسى أن أستمّر في فعل الصواب وأنا ماضٍ في أمري .

أيها الحب ، أيها الحب . إنني أعرف ما أنت .

هانز فولمن

كنا قد نجحنا في شقّ طريقنا حتى مستوى الخصر تقريباً، مستخدمين
أظافرنا وحجرًا حادًا وجدناه على مقربة.
القس ايقرلي تومس

صحّت للسيد فولمن: نكاد نصل.
روجر بيقتز الثالث

لكنّ الأوان قد فات.
القس ايقرلي تومس

أغلق السيد لينكون صندوق المرضى.
(سقط قلبي).
روجر بيقتز الثالث

رفع الصندوق، ثم حمله إلى فتحة الجدار، وأدخله. (ضاع كل شيء)
القس ايقرلي تومس

وخرج من الباب.

روجر بيفتز الثالث

متجهاً صوب الجمع الذي حلّ عليه الصمت.
القس ايڤري تومس

انفضّ الجمع مستكيناً كي يدعه يمرّ.
روجريڤتزن الثالث

صاح الصبي: هل ذهب؟
كنا قد فككنا وثاقه، فاندفع من الجدار، وترنّح بضع خطوات، ثم جلس
على الأرض.

القس ايڤري تومس

وبدأت الوريقات المتسلقة تنقّص عليه من جديد.
روجريڤتزن الثالث

قلتُ للسيد بيفنز: تعال. فلم أكن كافيًا بمفردى. أظنّ أنّ علينا المحاولة معًا لأنّ نوقفه.

هانز فولمن

قال لي السيد بيفنز: أيها القسّ. هلّا انضممت الينا؟ عقل واحد آخر ربّما يصنع الفارق.

قال السيد فولمن: ولا سيّما إنّ كان عقلاً قويًا مثل عقلك.

قبل سنوات عديدة انضممتُ إلى صاحبيّ في عملية حلول في زوجين شايّين منفصلين تسللا إلى هذا المكان بعد ساعات العمل. حينها جعلنا الشابين يقترfan الفاحشة، وبذلك عادا خطيبين مرة أخرى. وبعد سنةٍ أو نحو ذلك عاد الزوج الشاب إلى هذا المكان باحثًا عن المكان الذي التقيا عنده. ولما تملّكنا الفضول أجرينا عملية حلول مرة أخرى، فوجدنا أنّ أسباب الانفصال التي كانت قد فرّقت بينهما زادت وتقيّحت في مناخ الزواج الخصب، فما كان من زوجته إلا أن تجرّعت سمًا لتقضي على حياتها مؤخرًا.

لذا، ينبغي القول إنّ تدخلنا في تلك الحالة أفضى إلى إهراق دم.

ولقد أقسمتُ، في ذلك المكان وفي تلك اللحظة نفسها، على ألا أشارك مرة أخرى في تلك العملية. غير أنّ مشاعري نحو الصبي، وإحساسي بالمسؤولية عن الأذى الذي أصابه حين انصرفُ عنه، يجعلاني الآن أحنّ

بقسمي وأنضمّ إلى صاحبيّ.

القس ايقرلي تومس

اندفعنا من البيت الحجري الأبيض في عدوٍ وثاب بأسرع ما يمكن،
فحاصرنا السيد لينكون.

روجر بيقتز الثالث

ثم وثبنا.

هانز فولن

داخل الرئيس.

روجر بيقتز الثالث

والحشدُ يتجمّع حولنا.

هانز فولن

ألهمنا بما فعلناه بضعة أشخاص كانوا أكثر شجاعة من غيرهم، فشرعوا
في الدخول أيضًا.

القس ايقرلي تومس

كانوا في البدء يقومون بجولات استكشافية عبر الرئيس، أو يتهاشون معه، أو يندفعون فيه ويخرجون، مثل طائرٍ غوّاص يكسر سطح بركة ليصطاد سمكة.

هانز فولمن

السيد (كوهويس) صانع السخّانات المفوّه كان يجاري مشية السيد لينكون، يمشي الهوينى ليحلّ فيه من الخلف، ويظلّ هناك يمشي معه وهو داخله، خطوة بخطوة.

روجر بيقتز الثالث

صاح كوهويس: ما أسهل الأمر! وزادت حدّة صوته بجرأة ما كان يفعل.

القس ايقرلي تومس

وهنا حلّت الشجاعة في الجميع.

هانز فولمن

وسرعان ما أصبحت حركة عامة.

روجر بيقتز الثالث

ولا أحد يودّ أن يُستثنى منها.

هانز فولن

أشخاص عديدون يتخطّون بعضهم البعض—

القس ايثري تومس

يحلّون في بعضهم البعض—

هانز فولن

فيغدون مندجين ببعضهم—

روجر بيثنز الثالث

ثم يقلصّون اندماجاتهم حسب الحاجة—

هانز فولن

كيما يمكن استيعاب الجميع.

روجر بيثنز الثالث

دخلت السيدة كروفورد، وكالعادة يتحسّسها السيد لونغستريت.

هانز فولن

ودخل السيد (بويز) المطعون، ثم (أندي ثورن)، ثم السيد (توستنغز)، وكذلك السيد (ديرننغ).

روجر بيقتز الثالث

والزُمرَة الزنجية دخلت أيضًا بعد أن تحرّرت من الملازم ستون ودوريتّه. أما هؤلاء فقد رفضوا أن يتبعوهم إذ شعروا بالإهانة أن يكونوا قرب تلك الزُمرَة.

القس ايثري تومس

حتى بارون وزوجته دخلا الآن. والآنسة (دُولِتِل)، والسيد (يوهانس)، والسيد (بارك)، و(توبن مولر).

روجر بيقتز الثالث

مع عديدين غيرهم.

هانز فولن

عدد كبير لا يُحصى.

القس ايثري تومس

كثير من الإرادات، والذكريات، والشكايات، والرغبات، وكثير جدًا من قوة الحياة الملتهبة.

روجر بيقتز الثالث

خطر لنا الآن (فيما كان ماندرز يسبق الرئيس نحو بستان من الأشجار
رافعاً مصباحه عاليًا) أننا ربما نستخر هذه القوة المجتمعة لخدمة هدفنا.

هانز فولمن

الذي لم يستطع السيد فولمن أن يحققه بمفرده—

روجر بيغنز الثالث

لعلنا نحققه إن عملنا جميعًا على قلبٍ واحد.

القس ايثرلي تومس

وهكذا، حين مال ضوء المصباح أمامنا، طلبتُ من الجميع أن يحثوا السيد
لينكون على التوقف في نفسٍ واحد.

هانز فولمن

(سوف نوقفه أولاً، فإذا ما نجحنا، حاولنا أن نعيده).

القس ايثرلي تومس

وافق الجميع.

روجر بيغنز الثالث

وقد شعروا بالزهو أن يُطلب منهم أي شيء، أو أن يشاركوا في أقل شيء.

القس ايقرلي تومس

قلت في نفسي: قف!، وانضمّ الجميع إليّ، كل منهم يعبر عن ذلك الباعث بأسلوبه.

روجر بيغنز الثالث

قف، توقف، مكانك.

هانز فولمن

لا تراوح، امنع الحركة.

وما إلى ذلك.

القس ايقرلي تومس

يا لها من متعة. يا لها من متعة أننا كنا هناك. معًا. متحدين في هدفٍ مشترك. معًا في الداخل، لكننا متداخلون أيضًا في بعضنا، فتجري فينا لمحاتٌ من عقول بعضنا، ومن عقل السيد لينكون. كم كان جميلًا أن نفعل ذلك معًا!

روجر بيغنز الثالث

رحنا نفكر.

هانز قولمن

كلنا فكرنا.

القس ايقرلي تومس

كعقل واحد. في وقت واحد.

هانز قولمن

عقل واحد مجتمع، متحد في غاية إيجابية.

روجر بيغنر الثالث

للحظة واحدة نحينا جميع رغباتنا الأنانية (في البقاء، والنجاح، والاحتفاظ بالقوة).

القس ايقرلي تومس

يا له من إحساس منعش.

هانز قولمن

أن تتحرّر من كل ذلك.

روجر بيقتز الثالث

كنا في الوضع الطبيعي وحيدين للغاية.

نصارع من أجل البقاء.

نخافُ الزلزل.

هانز فولمن

لم نكن منعزلين هكذا دائماً. ففي ذلك المكان السابق—

القس ايثربي تومس

هكذا تذكّرنا الآن—

هانز فولمن

الجميع أخذ يتذكّر، في اللحظة نفسها—

القس ايثربي تومس

فجأة تذكّرتُ: الحضور في الكنيسة، وإرسال الإزهار، وصنع الكعك كي يُحضّره (تدي)، والذراع على الكتف، وارتداء الأسود، والانتظار ساعاتٍ في

روجر بيقتز الثالث

(لِفروورث) يطيب خاطر (بورميستر) في أسوأ اللحظات من فضيحة البنك. (فورباخ) يُخرج محفظته ويتبرّع بسخاء للدكتور (بيرل)، فقد كان هناك حريق في المقاطعة الغربية.

هانز فولمن

المجموعة التي خاضت الأمواج متشابكة الأيدي للبحث عن الغريق المسكين (تشونسي). صوت العملات المعدنية وهي تسقط في كيس الخيش المكتوب عليه «فقراؤنا». مجموعة منا جاثية تجزّ الأعشاب في ساحة الكنيسة عند الغسق. قدر الحساء الأخضر الكبير وهو يقرقع، فيما نحمله أنا وشهامي إلى النسوة البائسات في ذلك المساء في «شيبس غروف».

القس ايفرلي تومس

زُمرتنا السعيدة ونحن أطفال مجتمعون حول زير ضخّم من الشوكولاتة التي تغلي، والعزيزة الأنسة (بنت) تحرّكها، وتلفت إلينا بأصوات عطوفة، كما لو أننا قطط صغيرة.

روجر بيقتز الثالث

يا إلهي، ما أجمل هذا! أن تجد نفسك وقد اتسعت آفاقها!

هانز فولمن

كيف نسينا؟ كل هذه الأحداث السعيدة؟
القس ايثرلي تومس

لكي يبقى المرء هنا، عليه أن يفكر دائمًا ومليًا في السبب الرئيس للبقاء،
حتى لو كان ذلك على حساب أن يُقصي من تفكيره كل شيء آخر.
روجر بيفنز الثالث

لا بدّ للمرء من أن يبحث باستمرار عن فرصٍ ليحكي قصته.
هانز فولمن

(وإن لم يُسمح له أن يحكيها، فعليه أن يفكر فيها ويفكر ويفكر).
القس ايثرلي تومس

لكننا وجدنا أنّ هذا قد كلفنا كثيرًا.
لقد نسينا الكثير، من كل شيءٍ آخر كناه وعرفناه.
روجر بيفنز الثالث

أما الآن، ومن خلال هذا التعايش الجماعي العرّضي —
القس ايثرلي تومس

فقد وجدنا أنفسنا وقد جرت استعادتنا إلى كمالنا الطبيعي على نحوٍ ما
(مثل أزهارٍ أزيلت من فوقها الصخور).

روجر بيفنز الثالث

بطريقةٍ ما.

هانز فولمن

كان شعورًا جميلًا.

القس ايثري تومس

نعم.

هانز فولمن

جدًا.

روجر بيفنز الثالث

وبدا أنه ينفعنا أيضًا.

القس ايثري تومس

تطلعتُ حولي، فوجدتُ السيد فولن وقد أصبح مكسيًا على حين فجأة،
وتقلّص عضوه إلى الحجم الطبيعي. كانت ملابسه وضيعة حقًا (مريلة طبّاع،
وحذاء ملطّخ بالخبر، وجوربان غير متطابقين). مع ذلك فقد كانت معجزة.

روجر بيقتز الثالث

وإذ أدركتُ أنّ السيد بيقتز كان يحدّق بي، نظرتُ إليه فلم أجد تلك
المجاميع من العيون والأنوف والأيدي التي يصعب النظر إليها، بل وجدتُ
شابًا وسيما ذا قسماّتٍ متلهّفة ومُريحة: عينان، وأنف، ويدان، وخدّان
متورّدان، ورأس جميل، وشعر أسود في ذلك المكان الذي كانت تنمو عليه
المقلتان.

بعبارةٍ أخرى كان شابًا جذابًا، له العدد الصحيح من كل شيء.

هانز فولن

قال القس في حياء نوعًا ما: هل لي أن أسأل؟ كيف أبدو؟

قلتُ: جيدًا جدًّا. مُرتاحًا.

قال السيد فولن: لست خائفًا أبدًا.

قلتُ: الحاجبان في ارتفاع صحيح. والعينان غير مفتوحتين على وسعها.

قال السيد فولن: والشعر لم يعد واقفًا.

قلتُ: والفم لم يعد مُدورًا.

روجر بيقتز الثالث

على أننا لم نكن وحدنا المستفيدين من هذه النعمة.

القس ايثري تومس

فلسبابٍ لا نعلمها، كان (تم مدين) مشبوكًا بنسخةٍ من نفسه أكبر حجمًا، وكانت دائمًا تميل عليه فتوسوس له بالثبیط. هذا الوحش قد اختفى الآن.

هانز فولمن

والسيد ديكر و البروفيسور بلومر لم يعودا متداخلين الآن. ومهما سارا قريبين من بعضهما، لم يلتصقا.

روجر بيغنز الثالث

السيد (تادمل) الموظف سيء الذكر الذي أهمل الحفاظ على وثيقة مهمة، فانهارت مؤسسته، ولم يعد بإمكانه الحصول على وظيفة أخرى، فأدمن الخمر ثم فقد منزله، ورأى زوجته توضع في صندوق مرضى نتيجة لفرط قلقها، وأطفاله يُورَّعون على عدة ملاحى بسبب انغماسه في التهلك. كان محنًا دائمًا من أثر الندم، كنصف قوسٍ وعلى رأسه عسلوج حزين من الشعر الأبيض، يرتعش كله، ويتحرك في حذر شديد، مرتعب من أن يرتكب أقل خطأ.

أما الآن فقد رأينا شابًا نشيطًا بشعرٍ أشقرٍ خفيف يهَمُّ باتخاذ منصب جديد، مترع بالأمال الكبيرة، يضع زهرة في طية سترته.

القس ايثري تومس

توقف السيد لونغستريت عن نحرشاته، وانفجر باكياً يتوسل السيدة كروفورد أن تسامحه.

روجر بيغنز الثالث

(المسألة وما فيها أنني أشعر بالوحدة، عزيزتي).

سام لونغستريت

(إن شئت يمكنني أن أخبرك بأسماء بعض من أزهارنا البرية).

السيدة إلزبت كروفورد

(سيسعدني أن أستمع اليها).

سام لونغستريت

(فيرنا بلو) ووالدها (إيلا) كانتا في العادة تتجسدان كشمطاوين متطابقتين (رغم أن كلاً منهما ماتت أثناء الولادة، فلم تبلغا شيخوخةً في ذلك المكان السابق). أما الآن فقد ظهرتنا شابتين مرة أخرى، فتأنتين تماماً (وكل منهما تدفع عربة طفل).

هانز فولمن

لتزي المسكينة المغتصبة مرات ومرات أصبحت الآن قادرة على الكلام،

وأول ما تحدثت به كان كلمات شكر للسيدة (هوج) التي تحدثت نيابة عنها
في سنوات الصمت الطويلة.

إلسن فارول

قَبِلت السيدة هوج شكرًا لتزيي بإيحاء باهتة، وهي تنظر في عجبٍ إلى يديها
وقدميها التي عادت كما كانت.

تومس هافنز

وعلى الرغم من تلك التحولات الإعجازية، إلا أنّ السيد لينكون لم
يتوقف.

روجر بيغنز الثالث

على الإطلاق.

هانز فولمن

على العكس.

القس ايفرلي تومس

بدا أنه يمشي أسرع من السابق.

روجر بيغنز الثالث

عازماً على مغادرة هذا المكان بأسرع ما يمكن.

هانز قولن

تمتتُ فيرنا بلو: آه، أنا!

وجدتُ جماها المستعاد رائعا، حتى في تلك اللحظة، لحظة الهزيمة النكراء.

روجر بيقتز الثالث

ناديتُ العزّاب، فجاؤوا من فورهم، وحلّقوا في الأعلى ثم (على طريقتهم الساذجة التي يحبونها) رموا بقبّعات تخرّج صغيرة. وكما ذكرتُ آنفاً فقد كدنا نياس، فطلبنا منهم أن يطوفوا بالمكان ويجلبوا أي أشخاص إضافيين للمساعدة.

قال السيد كين: وكيف نخبرهم بالضبط؟

قال السيد فولر: تعرف، نحن لسنا من «أرباب الكلام».

قال السيد فولن: قل لهم إننا نسعى إلى إنقاذ صبيّ لا ذنب له سوى أنه طفل، وقد قرّر الذي أنشأ هذا المكان - لأسبابٍ لا نستطيع معرفتها - أنك إذا كنت طفلاً وتحبّ حياتك بما يكفي لترغب في البقاء هنا، فقد ارتكبت خطيئة رهيبية تستحق أشدّ العقاب.

قال القس: قل لهم إننا قد سئمنا من أن نكون لا شيء، ولا نفعل شيئاً، ولا أهمية لنا بالنسبة إلى أحد، ونعيش في خوفٍ دائم.

قال السيد كين: لا أدري إن كنا سنستطيع تذكّر ذلك كله.

قال السيد فولر: والأمر يبدو التزاماً جاداً.

قال السيد كين: سنفوّض الأمر إلى السيد لپرت. فهو كبيرنا.

روجر بيفنز الثالث

على الرغم من أننا نحن الثلاثة من سنٍ واحدة في الحقيقة، وجاء كل

منا إلى هذا المكان في وسط السنة الثامنة والعشرين (بلا حب ولا زواج حتى ذلك الحين)، إلا أنني كنتُ فعلاً العضو الأعلى من الناحية العملية في حزبنا الصغير؛ فقد جئتُ قبلهما (وحيداً) بتسع سنوات، ثم انضمم إلي السيد كين (الذي أحضر إلى هنا إثر حادثة مؤسفة حين عُززت حربة هندية في مؤخرته). ومنذ ذلك الوقت أصبحنا ثنائياً لا ينفصل لمدة أحد عشر عاماً تقريباً، إلى أن جاء الفتى الشاب السيد فولر، بعد أن قفز قفزة طائشة من منصّة في «ديلاوير»، فأصبحنا ثلاثياً.

وقد بدا لي بعد أن قلبتُ الأمر أنه ليس من صالحنا أن نتدخل؛ فالأمر لا يعنينا في شيء، وقد يشكّل خطراً على حرّيتنا، ويثقلنا بالتزامات وخيمة، ويقىّد سعينا الدائب إلى أن نفعل ما نحب في أي وقت، بل ربما يؤثر سلباً في قدرتنا على البقاء.

صحّت قائلاً: المعذرة. لا نريد هذا.

ستانلي لپرت

أسقط العزّاب بعدها برنيطات سُود بائسة جنائزية، كما لو أنهم أدركوا جسامة الموقف، على الرغم من رعونتهم المعتادة. مع ذلك، ورغم أنهم لم يكونوا راغبين في المكوث إلا أنهم شعروا بالحسرة إذ لم يستطيعوا تقديم يد العون.

القس ايقرلي تومس

بيد أنّ حسرتهم هذه لم تدم طويلاً.

هانز فولمن

كانوا يبحثون دائماً عن الحب (أو هكذا أقنعوا أنفسهم)، ولذلك كانوا في حركة دائمة، يتزوّدون بالأمل، والفكاهة، والحيوية، في بحثٍ مستمر.

روجر بيفنز الثالث

يبحثون عن إحدى اللواتي أتين حديثاً، أو ممن أتين منذ زمن لكنهم لم ينتبهوا إلى روعتها التي قد تشفع لهم أن يبددوا من أجلها حرّيتهم.

القس ايثري تومس

وهكذا مضوا.

هانز فولمن

مضينا في بحثٍ مرحٍ حول المكان، يتقدّمنا «البريفيسير» لپرت.

جين كين

نحلّق على مستوى منخفض فوق التلال والمسارات، نمضي بسرعةٍ عبر منازل المرضى والسقائف والأشجار، بل إننا عبرنا من غزالٍ من ذلك العالم الآخر.

جاك فولر

جَلّ الغزال من دخولنا وخروجنا المتزامن تقريباً، فترجع كما لو أنّ نحلة لسعته.

جين كين

فترت الهمة، فبدؤوا ينفضون عن السيد لينكون.

روجر بيقتز الثالث

تكوّروا على أنفسهم كالجنين في بطن أمه، ودحرجوا أنفسهم إلى الخارج.

هانز فولن

في وثبات رشيقة.

روجر بيقتز الثالث

ومنهم من تباطأ، كي يسمح للرئيس بأن يخرج منه.

هانز فولن

سقط الجميع منبطحين على الأرض، يثنون في خيبة أمل.

القس ايقرلي تومس

كان الأمر كله أشبه بخدعة.

روجر بيقتز الثالث

وهما باطلاً.

القس ايقرلي تومس

مجرد تفكير رغبوي.

روجر بيقتز الثالث

وفي نهاية المطاف حتى نحن الثلاثة انسحبنا حين مررنا بـ(ج ل باغ):
يعيش الآن في الضوء إلى الأبد).

هانز فولن

خرج بيقتز أولاً، ثم فولن، ثم أنا.

القس ايقرلي تومس

نتساقط خارجين منه على طول الدرب، قرب نصب «موير» التذكاري.

هانز فولن

(زمرة من الملائكة، تتحلّق حول ولدَيْن توأمين في زيّ بحارة، يرقدان جنبًا إلى جنب على لوحٍ حجري).

روجر بيقتز الثالث

(فيلكس و ليروي موير: هَلْكَا في البحر).

القس ايفرلي تومس

(لم يكن الأمر يسري جيدًا. فبدأ أنّ الملائكة تريد أن تبدأ العمل على البحّارين الصغيرين، لكنها حارت في أمرها كيف تبدأ).

هانز فولمن

(كما أنّ هنالك مجدافين مطروحين على طاولة العمل، لسببٍ أو لآخر).

روجر بيقتز الثالث

عندنا فقط تذكّرنا الصبي، والألم الذي يكابده الآن بالتأكيد.

هانز فولمن

دفعنا أنفسنا للنهوض، رغم ما فينا من تعب، وعُدنا.

روجر بيقتز الثالث

تلك الحالة من التعايش الجماعي هزّنتني هزّاً عنيفاً (إذ تتهاثل أمام ناظريّ الآن سحابة ضبابية مزعجة من تفاصيل حياتي: أسماء، ووجوه، ودهاليز، وروائح من وجبات قديمة، ونقوش سجّاد من منزلٍ لا أعرفه، وقطع مميّزة من أدوات الطعام، ولعبة حصان بأذنٍ واحدة، وإدراك أنّ اسم زوجتي كان إملي)، غير أنّ هذه الحالة لم تقدّم لي الحقيقة الجوهرية التي كنت أنشدها: لماذا أصابتنني اللعنة؟ وقفتُ على الدرب، تخلّفت، مستميتاً في التركيز في تلك السحابة لأتذكر من أنا، وأيّ شيرٍ أقدمتُ عليه، لكنني لم أنجح، وهكذا كان عليّ أن أسرع كي ألحق بصاحبِي.

القس ايقرلي تومس

استلقى الصبيّ منهارًا على أرضية البيت الحجري الأبيض، متشرنقًا في
 درع يبدو متشككًا بالكامل حتى الرقبة.
 هانز فولمن

فاحت الرائحة النتنة للبصل البري، تنبعث كثيفة فتصبح رائحة مختلفة لا
 اسم لها، أكثر إنذارًا بالشؤم.
 القس ايثري تومس

ها هو مستلقٍ هناك يحدّق فينا، بعينين باهتتين، مُدعنا.
 روجر بيقتز الثالث

انتهى الأمر.
 القس ايثري تومس

لا بدّ للصبيّ من أن يأخذ دواءه.
 هانز فولمن

تجمّعنا حوله كي نوّدعه.

روجر بيغنز الثالث

وفوجئنا بصوت امرأة تقول «إنه» لن يمانع لو أردنا أن ننقل الصبيّ إلى
السطح ثانية، كيما ينتهي من عملية دفنه (اللانهائية) هناك.

القس ايثربي تومس

قال صوتٌ جهير به لثغة خفيفة: ليكن في معلومك أنه ليس لدينا خيار
في ذلك. نحن مجبورون.

روجر بيغنز الثالث

بدا كما لو أنّ هذه الأصوات تصدر من الدرع نفسه.

هانز قولمن

فقد بدا لنا أنّ الدرع يتكوّن من أناس. أناس مثلنا. مثل ما كنا. أناس
سابقين، متقلّصين على نحوٍ ما ومحقونين في نسيج ذلك الدرع. آلاف من
الأجساد الضئيلة المتلوّية، لا يزيد حجمها عن حبة خردل. وجوه صغيرة
للمغاية مُلتوية تواجهنا.

القس ايثربي تومس

من هؤلاء؟ ومن كانوا في السابق؟ وكيف أصبحوا «محشورين» هكذا؟

روجر بيقتز الثالث

قال صوت المرأة: لن نخوض في هذا.

قال الصوت الجهير: ثمة أخطاء حدثت.

هانز فولمن

قال صوت ثالث، بريطاني: إن أردتم نصيحتي، فلا تبيدوا كتيبة كاملة من عدوكم.

قال الصوت الجهير: لا تتأمر أبداً مع حبييك للتخلص من طفلٍ حيّ.

روجر بيقتز الثالث

قالت المرأة: بدلاً من أن تقتل حبييك بالسّم، تحمّله.

القس ايفرلي تومس

قال صوت شيخٍ من «فيرمونت» كما توحى لهجته: الاتصال الجنسي بالأطفال غير مسموح.

هانز فولمن

كلما تحدث واحد منهم، خرج وجهه من الدرع لوهلية، وعليه نظرة ملؤها
الأسى والشعور بالغبن.

القس ايقرلي تومس

كم رأينا من غرائب هنا.

روجريفتز الثالث

لكنّ هذا هو الأغرب حتى الآن.

هانز فولن

سأل القس: هل أنتم لاهل أنتم في الجحيم؟

قال البريطاني: ليس الجحيم الأسوأ.

قالت المرأة: فعلى الأقل لسنا مجبرين على خبط جماجمنا في مجموعة من
مفكّات البراغي.

قال الصوت الجهير: ولا يلوطُ بنا ثور هائج.

روجريفتز الثالث

شعرتُ (بل دعوتُ) أنّ خطيئتي التي لا أعرفها لا بدّ أن تكون صغيرة،
بالمقارنة مع خطايا هؤلاء. مع ذلك، فقد كنتُ منهم. أولم أكن كذلك؟ بدالي
أنني حين ذهبتُ إلى هناك، فقد كنتُ على وشك أن أنضمّ إليهم.

وكما كنتُ أقول في مواعظي مراتٍ عديدة، فإنَّ ربَّنا ربُّ مُهاب، وغامض، لا يمكن توقُّع ما يفعله، لكنه يحكم بما يراه مناسبًا. ونحن لسنا بالنسبة إليه سوى جملان، لا يتصرَّف معها بعاطفةٍ أو بشرّ. يذهب البعض إلى المذبحة، فيما يُرسل آخرون إلى المراعي، حسب هواه، وفقًا لمعياري نحن أنفه بكثيرٍ من أن ندركه.

وليس لنا سوى أن نقبل. نقبل حكمه، وعقوبتنا.

لكنّ هذه التعاليم لا تُرضي، كما هو الحال معي.

ويا لحزني، يا لحزني الغامر.

القس ايثري تومس

قال البريطاني: كيف سيجري الأمر إذا؟ هنا؟ أم فوق السطح؟

هانز فولمن

توجَّهت جميع العيون إلى الصبيّ.

روجر بيفنز الثالث

رمش الصبيّ بعينه مرتين، لكنه لم يقل شيئًا.

هانز فولمن

قال السيد بيفنز: ربما، ربما يمكنك أن تسمح باستثناء.

انفجر صوت ضحكة مريرة من الدرع.

قال السيد فولن: إنه طفل مُحترم. طفل محترم يتحلى بالكثير من—

قالت المرأة: لقد فعلنا ذلك بالكثير جدًا من الأطفال المحترمين.

قال البريطاني: القوانين تسري على الجميع.

قال السيد بيثنز: ولكن إن سمحت لي، لماذا تكون هناك قوانين خاصة بالأطفال تختلف عنا؟ ليس في ذلك عدل.

تعالت صيحات استنكار غاضبة من الدرع بلغاتٍ مختلفة، وكثير منها لغات غريبة تمامًا بالنسبة إلينا.

قالت المرأة: لا تكلمنا عن العدالة لو سمحت.

قال الفيرمونتّي: هاه، عدالة!

قالت المرأة: هل قتلْتُ (إلمر)؟

قال البريطاني: نعم.

قالت المرأة: نعم، فعلت. هل وُلدت بتلك الاستعدادات والرغبات التي كانت ستقودني، بعد حياتي السابقة كلها (والتي لم أقتل فيها أحدًا)، إلى أن أفعل ذلك الشيء مُعيدًا؟ نعم. هل كنتُ مُحيرة في فعل ذلك؟ هل كان ذلك عدلًا؟ هل طلبتُ أن أُولد فاجرةً، جشعةً، كارهةً للبشر بعض الشيء، وأن أرى في إلمر شخصًا مستفزًا؟ كلا. لكن هكذا وُلدت.

قال البريطاني: وهكذا أنتِ.

قالت: نعم صحيح، وهكذا أنا الآن.

قال الفيرمونتّي: وهكذا أنا. هل طلبتُ أن أُولد برغبة في مضاجعة الأطفال؟ لا أذكر أنني فعلت، هناك في رحم أمي. هل قاومتُ تلك الرغبة

الملحّة؟ بقوة. في الحقيقة، نوعًا ما. بأقوى ما استطعت. بأقوى ما يمكن للشخص الذي يُولد بتلك الآفة، وبذلك القدر منها. وحين كنتُ أغادر ذلك المكان السابق، هل حاولتُ أن أوضّح الأسباب لأولئك الذين وجّهوا لي الاتهام؟

قالت المرأة: أعتقد أنك فعلت.

قال الفيرمونتّي في سخط: بالطبع فعلت.

قال البريطاني: وكيف كان ردّهم؟

قال الفيرمونتّي: ليس جيدًا.

قالت المرأة: لقد كان لدينا وقت طويل لتفكّر في هذه المسائل.

قال الفيرمونتّي: أطول مما ينبغي، في الحقيقة.

قال الصوت الجهير الألتغ: اسمعوا. حين تخلّصنا أنا و(ماري) من ذلك الطفل، شعرنا بأننا نفعل خيرًا. صدقًا! كنا نحب بعضنا، والطفل لم يكن سليبيًا. كان عائقًا لحبنا. نُموّه المتعثر أعاق تعبيرنا الطبيعي عن حبنا (لم نستطع أن نساfer، ولا أن نخرج للعشاء، ونادرًا ما نعمنا بأي درجة من الخصوصية) فبدا (لنا، آنذاك) أنّ التخلص من التأثير السلبي الذي هو الطفل (عبر رميه في نهر فيرنس) سوف يعيد لنا حريتنا. لكي نزداد حبًا، ونداد حياةً، ولكي يرتاح هو من العذاب الذي يعنيه ألا يكون سليبيًا. سوف يجره ذلك من العذاب، ويزيد قدر السعادة للجميع.

قال البريطاني: هكذا رأيتما الأمر حينها.

قال الجهير الألتغ: نعم، حقيقةً.

قالت المرأة: وهل تراه هكذا الآن؟

قال الجهير الألتغ في حزن: ليس كثيرًا.

قالت المرأة: إذا عقابك هو أن تحصل على ما أردته.

القس ايثري تومس

صاح الأثغ الجهير: لقد كنا كما كنا! كيف كان لنا أن نكون غير ذلك؟ أو كيف كان يمكن لنا ونحن على ذلك النحو أن نفعل شيئاً مختلفاً؟ لقد كنا على ذلك النحو، في ذلك الوقت، وسبق بنا إلى ذلك المكان، لا لشرٍ متأصلٍ فينا، وإنما نتيجة ما لنا من إدراكٍ وخبرة حتى تلك اللحظة.

قال الفيرمونتّي: لأنه القدر، لأنه المصير.

قال الأثغ الجهير: لأن الزمن يسير في اتجاه واحدٍ فقط، ونحن نُحمل في مساره، مدفوعين لنفعل الأشياء التي نفعها بالضبط.

قالت المرأة: ثم نعاقب عليها عقاباً أليماً.

قال البريطاني: لقد أثنخ البلوش القتل في كتيبتنا، لكنّ الأمور انقلبت، واستسلمت مجموعة منهم، ورفعوا الراية البيضاء، ثم نزلوا إلى الخندق، وأطلق الرجال النار بأمرّي (على غير مضضٍ من أي واحد منهم)، وألقينا برايتهم البيضاء فوق أولئك الهمج وغطيناهم. كيف كان لي أن أفعل شيئاً آخر؟ كيف والزمان يسري في اتجاه واحدٍ فقط، وأنا مخلوق كما أنا؟ كيف بمزاجي العصبيّ وأفكاري عن الرجولة والشرف، وذكريات طفولتي حين كان يضربني إخوتي الثلاثة الأكبر مني إلى أن أكاد أموت، كيف والشعور بتلك البندقية في يديّ جميل، كيف وأعدائي يبدون في عينيّ مثيرين للاشمئزاز؟ كيف كان لي (ولأي أحدٍ منا) أن يفعل شيئاً آخر غير الذي كنا نفعله، في ذلك الوقت؟

قالت المرأة: وهل أقنعتهم هذه الحجّة؟

قال البريطاني: تعلمين جيدًا، أيتها الفاجرة، أنها لم تقنعهم! فأنا هنا.

قال الفيرمونتّي: نحن جميعًا هنا.

قال البريطاني: وسنكون هنا دائمًا.

قال الأثلغ الجهير: ليس في يدنا شيء نفعله.

قالت المرأة: ولا شيء أبدًا كان يمكن فعله.

روجر بيقتز الثالث

التفتُ حولي، فأبصرتُ نظرةً تعبر وجه القس.. ومضةً من عزم، أو تحدي.

هانز فولن

أن أوضع في سلةٍ واحدة مع هؤلاء، وأتقبّل خطاياي بهذه السلية، بل بهذا الزهو، دون أيّ أثرٍ من ندم؟

لم أستطع أن أحتمل ذلك. أو هل يتوجب عليّ أن أتخلّى عن الأمل، حتى في هذه اللحظة؟

(خطرت لي أنّ هذا قد يكون الإيمان: أن نؤمن بأنّ الرب يتقبّل حتى أصغر النوايا الطيبة).

القس ايثري تومس

قال الفيرمونتّي: هذا يكفي.

قالت المرأة: لنباشر عملنا. لقد أضعنا جهدًا أكبر من اللازم.

قال البريطاني: تذكرون الحالة السابقة، البنت؟ كانت مطيعة أكثر بكثير.
قالت المرأة: طفلة رائعة. مستسلمة تمامًا.
قال البريطاني: لم نواجه معها أي مشكلة، أبدًا.
قال الألتغ الجهير: أخذنا ما نريد منها بكل سهولة.
قال الفيرمونتّي: ولكن لم يكن معها هذا القدر من «المساعدة».
قال البريطاني: صدقت. لم يقدم لها أحد أي مساعدة.
قالت المرأة: أيها الصبيّ. هل تريد أن يتم الأمر هنا؟ أم فوق السطح؟
روجر بيفنز الثالث

لزم الصبيّ الصمت.

هانز فولن

قال القس: فوق السطح، من فضلك.
قالت المرأة: حسنًا.
سقط الدرع من فوره، وتحزّر الصبيّ.
روجر بيفنز الثالث

قال القس: هل لي أن أتشرّف بحمله إلى هناك؟
قالت المرأة: لك ذلك طبعًا.

هانز فولن

مددتُ يديّ، وحمَلتُ الصبيّ.

وركضت.

خرجتُ من القبو إلى ظلام الليل.

ركضتُ أعبُر المسافات، كالريح.

متجهاً نحو المكان الوحيد الذي به شيءٌ من أملٍ في أن يكون ملاذًا

للصبيّ.

القس إيثرلي تومس

مرحى، مرحى!

يا لها من حركة فائقة الجرأة!

روجر بيفنز الثالث

صاحت المرأة في استياء واضح: ابن الحرام!

هانز فولمن

ركضنا أنا والسيد فولمن نجتاز المسافات، في محاولة للحاق بالقسّ.

روجر بيفنز الثالث

من خلفنا انبجست موجة خفيضة، كجدار متحرك من موادٍ حلّت فيها
تلك الكائنات الشيطانية (عشب، تراب، شاهد قبر، تمثال، دكة) —

هانز فولمن

مرّت بنا الآن —

روجر بيفنز الثالث

(مُحَلْنَا ثُمَّ أَنْزَلْنَا عَلَى الْأَرْضِ، مِثْلَ أَطْفَالٍ قَذَفَتْ بِهِمْ مَوْجَةٌ مِنَ الْبَحْرِ).

هانز فولمن

—وتجاوزتُ القسَّ

روجر بيفتز الثالث

لَطَمَهُ ذَلِكَ الْغَبْسُ الَّذِي انْثَالَ مِنْ حَوْلِهِ، فَانْهَارَ عَلَى التَّلَّةِ الصَّغِيرَةِ قَرَبَ سَقِيفَةِ الْبَسْتَانِيِّ.

هانز فولمن

لَا حَتَّ لَنَا الْكَنِيسَةَ، فَأَدْرَكْنَا عَلَى حِينٍ فَجْأَةً مَا هُوَ مُقَدَّمٌ عَلَيْهِ.

روجر بيفتز الثالث

انْقَسَمَتْ تِلْكَ الْكَائِنَاتُ الشَّيْطَانِيَّةُ إِلَى فَرِيقَيْنِ انْدَفَعَا فِي سُرْعَةٍ عَلَى جَانِبِي الْقَسِّ، ثُمَّ نَاوَرَاهُ عَلَى مَسْتَوَى الرِّكْبَةِ، وَدَاهَمَاهُ.

هانز فولمن

سَقَطَ أَرْضًا، وَلَكِي يَحْمِي الصَّبِيِّ مَالٍ إِلَى الْخَلْفِ عَلَى ظَهْرِهِ كَيْ يَمْتَصَّ قُوَّةَ الضَّرْبَةِ.

روجر بيفتز الثالث

أمسكوا به.

هانز فولمن

أمسكوا بهما.

كانوا في الحقيقة يريدون الصبيّ، لكنّ القسّ لم يسلم من هجمتهم.

روجر بيغنز الثالث

بدا أنهم في سُعارهم ذاك لم يعودوا يستطيعون، أو يحفلون، بالتمييز بين
الصبيّ والقسّ.

هانز فولمن

ولما وصلنا إليهما كانا قد قُيدا بإحكامٍ في درعٍ جديدٍ يزداد قوّةً في كل
لحظة.

روجر بيغنز الثالث

دوّت صرخات القسّ الرهيبة من أعماقه.

هانز فولمن

كان يصيح: لقد أمسكوا بي! حتى أنا أمسكوا بي! عليّ أن.. عليّ أن أذهب!

يا إلهي! أوليس كذلك؟ وإلا ظللتُ مقيّدًا هكذا، إلى الأبد—

صرختُ له: بلى. اذهب، أنقذ نفسك يا صديقي!

فصاح: لكنني لا أريد! أنا خائف!

أدركنا من تشوّه صوته المختنق أنّ الدرع قد بلغ حلقه، ثم بدا أنه اخترق دماغه أيضًا، فصار يهذي.

وفي النهاية أخذ يصيح: القصر. ذلك القصر الماسيّ المخيف!

روجر بيفنز الثالث

عندها جاء من داخل الدرع ذلك الصوت المألوف المخيف، صوت النار المرتبط بظاهرة التوهج الضوئي.

هانز فولمن

وذهب القسّ.

روجر بيفنز الثالث

برحيل القسّ صار هناك فراغ مؤقت داخل الدرع—

هانز فولمن

فسدّد السيد فولمن ركلةً قويةً إلى ذلك الشيء، فانهار.

روجر بيفنز الثالث

ولما سقطنا فوقه غاضبين ننشب أظفارنا فيه، شعرتُ بالكائنات الشيطانية داخله تنظر إلينا شزرًا، تحاول أن تتقي غضبتنا، تتقي ما استعدناه من نزعة بشرية إلى الفعل المدفوع بالكراهية. مدَّ السيد بيثنز ذراعًا إلى المرفق، ومن الجانب الآخر استطعتُ أن أثقب الدرع بغصنٍ طويل. وضعتُ نفسي تحت ذلك الغصن وصرتُ أدفع نفسي بركبتي إلى الأعلى، فانفلق الدرع، واستطاع السيد بيثنز أن يدخل ذراعيه كاملتين. نددت عن الصبي صرخة تعب، وبدأ يتنفس بقوة، وما هي إلا لحظات حتى خرج مثل مُهرٍ وليد (رطبًا، متسخًا). للحظة واحدة لاحت لنا داخل الدرع الممزق دمغة لوجه القس، ويسعدني القول إنه في تلك اللحظات الأخيرة لم يكن ذلك الوجه الذي عهدناه (الوجه المفزوع، بحاجبين مرفوعين وفم فاغر). كانت ملامحه الآن تُبدي شيئًا من الأمل، كما لو أنه كان ذاهبًا إلى ذلك المكان المجهول مطمئنًا إلى أنه قد فعل كل ما في وسعه حين كان هنا.

هانز فولمن

انتزع السيد فولمن الصبي وانطلق مبتعدًا.

وتدفقت الكائنات الشيطانية من بقايا الدرع، وأخذت تطارده.

وسرعان ما طوّقت كاحليه من أسفل، فهوى على ركبتيه، وتحولت الكائنات الشيطانية إلى وُريقات مرة أخرى، فهجمت على ساقيه وجذعه، ثم بدأت تنقض على ذراعيه.

هُرعتُ إليه، والتقطتُ الصبي، وأطلقتُ ساقِي للريح.

وما هي إلا ثوان حتى أدركتني.

روجر بيثنز الثالث

قفزتُ على قدمي، وانطلقتُ مسرعًا، فالتقطتُ الصبيّ من السيد بيفنز،
واندفعتُ نحو الكنيسة. وقبل أن يدركوني تمكّنتُ من الدخول عبر الجدار
الشمالي. تمتم الصبي: أعرف هذا المكان.

قلت: طبعًا. كلنا نعرفه.

بالنسبة إلى الكثير منا كانت الكنيسة بمثابة البوابة، المكان الذي نترجّل
عنده. هي آخر مكان عوملنا فيه بشيء من الجدّية.

هانز فولن

بدأت الأرض حول الكنيسة تهتزّ. قلتُ: حتى هنا؟ في هذا المكان
الأقدس؟

قال البريطاني: كل الأماكن سواء بالنسبة إلينا، مقدّسة أم غير مقدّسة.

قال الفيرمونتّي: لدينا عملٌ نوّديّه.

قالت المرأة: مجبورون.

قال البريطاني: ادخلوا، وقولوا له أن يخرج.

قال الفيرمونتّي: أنتم تؤخّرون المسألة لا أكثر.

قال البريطاني: إننا نستجمع قوانا.

قالت المرأة: وسوف نكون في الداخل حاليًا.

قال الفيرمونتّي: وقد جئنا بثأر.

قال الأثلغ بعصبية: أخرجوه.

روجر بيفنز الثالث

كان السيد بيغنز قد دخل لتوّه عبر الجدار، حين تناهت إلى مسامعنا
نحنحةً رجوليّة واضحة، فأدركنا أننا لسنا وحدنا هناك.

كان السيد لينكون جالسًا في الصفّ الأمامي، في المكان نفسه الذي جلس
فيه بالأمس بالتأكيد.

هانز فولن

حين اقتربنا من البوابة الأمامية يا توم ورأى الرئيس الكنيسة خطر له أن يدخلها ويجلس في ذلك المكان الهادئ بعض الوقت لم أمانع وقد أسر لي أنه يشعر بأن ولده ما يزال هنا معه ولم يستطع أن يتخلص من ذلك الشعور وربما يساعده الجلوس بضعة دقائق في صمتٍ هناك.

لم يأخذ المصباح الذي عرضته عليه وقال إنه لن يحتاج إليه فقد كان يرى جيدًا في الظلام سار في ذلك المكان الذي كان بالأمس مكتظًا بالمئات الواقفين على العشب تحت الرذاذ بمعاطفهم السوداء ومظلاتهم المفتوحة وأصوات الحزن المنبعثة منهم وعدتُ أنا إلى غرفة الحراسة حيث أنا الآن أكتب لك وأسمع في الخارج صوت ركلاتٍ من حصانه المسكين على الحصى كما لو أن وجود سيده على مقربةٍ يجعله يرقص في مكانه استعدادًا للعودة إلى البيت.

ما يزال الرئيس في الكنيسة.

(Manders, op. cit.)

استجابت النوافذ المملّخة استجابةً كبيرة، وإنْ كانت باهتة، لنور القمر الخافت.

هانز فولمن

فأضفت على كل شيء مسحةً من زُرقة.

روجر بيقتز الثالث

جميع الصفوف أزيلت منذ الأمس باستثناء الصفوف القليلة الأولى التي كانت غير مرتبةٍ إلى حدٍ ما.

هانز فولمن

جلس السيد لينكون ووجهه للأمام، مادًا ساقيه، شابكًا يديه على حجره، خافضًا رأسه.

لوهلةٍ ظننته نائمًا.

لكنه رفع نفسه ونظر حوله، كما لو أنه أحسّ بدخولنا.

روجر بيقتز الثالث

تَدَقُّقُ الْفَضُولِيَّوْنَ عِبْرَ جَدْرَانِ الْكَنِيسَةِ، كَالْمَاءِ الَّذِي يَعْبُرُ مِنْ سِدِّ طِينِيّ
ضَعِيفٍ.

قلت للصبي: ادخل.

هانز فولمن

رَمَشَ الصَّبِيِّ مَرَّتَيْنِ.

ودخل.

روجر بيقتز الثالث

إِذْ جَلَسَ عَلَى حِجْرِ أَبِيهِ.

هانز فولمن

كما كان يفعل في ذلك المكان السابق دون شك.

روجر بيقتز الثالث

ولما كانا يجلسان في بعضهما الآن، فقد شغلا الحيز نفسه من المكان. الطفلُ
صورةٌ مُحْتَوَاةٌ لِلرَّجْلِ.

هانز فولمن

(أبي، ها أنذا

ماذا أفعل

إن أمرتني بالذهاب، ذهبت

وإن أمرتني بالبقاء، بقيت

أنا رهن نصيحتك)

بقيت أنتظر ردّ والدي

ازداد نور القمر أصبح كل شيء أكثر زُرقة عقلُ أبي كان فارغًا فارغًا فارغًا

وعندها

لا أصدّق أنّ هذا كلّه فعلاً قد

بدأ يتذكر يسترجع أشياء عني

تتعلق بمرضي

ما اسم تلك المرأة التي صعق البرقُ ابنتها؟ في حقل القشّ في أرض «بونس». قبلها بقليل كانتا تمشيان معًا، تتحدثان عن الخوخ. عن أنواعه المختلفة. عن النوع الذي تفضّله كل منهما. بعد ذلك ظلّت عدة ليالٍ تجول في الحقل، تتمم بكلام عن الخوخ، تبحث عن مفترق الحوار الذي دار بينهما حيث ربما تستطيع أن تحترق الزمان وتعود إلى هناك، فتدفع ابنتها جانبًا، وتتلقي هي الصعقة. لم تستطع أن تتقبل ما حدث، غير أنها مجبورة على أن تظلّ تراود الذكرى، مرّة تلو المرة.

الآن أفهم.

في عصر ذلك اليوم جاء بخمسة صخور على صينية. كان يريد أن يبحث عن الاسم العلمي لكلٍ منها. وما تزال الصخور فوق تلك الصينية. على حافة النافذة في الممر قرب غرفته. (لا أظنني أقوى على إزالتها من هناك).

قرب الغسق وجدته جالسًا فوق السلام، والصينية على ركبتيه.

قال: لستُ على ما يرام هذا اليوم.

وضعتُ يدي على رأسه.

كان مشتعلًا.

ولي لينكون

تلك الحمى التي شخّصها الأطباء سابقًا على أنها نزلة برد تطوّرت إلى تيفوئيد.

(Leech, op. cit.)

التيفوئيد يفعل فعله ببطءٍ وقسوةٍ أسبوعًا تلو أسبوعٍ، يجرم ضحيته من إمكانية الهضم، يخترم الأمعاء، ويسبب النزف والتهاب الصفاق.

(Epstein, op. cit.)

عانى كثيرًا من أعراض مرضه. حمى عالية، وإسهال، وانقباضات مؤلمة، ونزف داخلي، وقيء، وإجهاد عظيم، وهذيان.

(Goodwin, op. cit.)

يمكن للأفيون الكافوري أن يسكن الآلام الباطنية الشديدة. أما الهذيان فقد يحمل الطفل إلى ملاذٍ من الأحلام الجميلة، أو يورده متاهةً من الكوابيس.

(Epstein, op. cit.)

لقد بلغ به الهذيان أنه لم يتعرف إلى ذلك الوجه المحبّ الذاهل، وجه

الرجل الطويل الذي عند رأسه.

(Kunhardt and Kunhardt, op. cit.)

كان الرئيس يعود من عمله فيذرع الغرفة، ممسكًا رأسه بين يديه من أثر الأنين المتوجّع إذ يتعالى من الولد المسكين.

(Flagg, op. cit.)

كانت تتدفق من شفثيه على الدوام «كلمات بسيطة طيبة، من جنس الأفعال العظيمة المقدّسة».

شهادة إلزبت تود غرْمزلي

“Lincoln as I Knew Him” (Harold Holzer)

كان قلب لينكون يرقّ كثيرًا لأية محنة، سواء أكان المصاب بها إنسانًا أم حيوانًا أم طيرًا.

شهادة جوشوا فراي سبيد

(Holzer, ibid.)

كان يحمل قلبًا طيبًا للغاية. وكان عقله مترعًا بأرقّ المشاعر. كان إنسانيًا إلى أبعد الحدود.

شهادة لينرد سوت

(Wilson and Davis, op. cit.)

لم أعرف في حياتي إنسانًا له ذلك القدر من الاستعداد لخدمة إنسانٍ آخر.
شهادة جون ه. لتلفيلد

(Holzer, op. cit.)

كان من دون شك شخصًا حقودًا مثيرًا للشفقة.

“Abraham Lincoln: The True Story of a Great Life (William
H. Herndon and Jesse W. Weik)

لا بدّ أنّ عذابات الصبيّ المسكين مزّقت شخصًا كان بطبيعته عطوفًا
للغاية.

(Flagg, op. cit.)

كان ولي لينكون يتلوّى ويئنّ من شدّة الألم، ولم يكن هناك ما يمكن فعله.
شهادة الخادم د. سترمپهورت

(Hilyard, op. cit.)

وجنتاه المشتعلتان، وعيناه الجوّالتان في احتياج، وأثات اليأس الخفيفة،
كلها كانت تشير إلى عذابٍ هائل في داخله، ورغبة مساوية في الهروب من
ذلك العذاب، كي يعود كما كان، ولدًا صغيرًا سعيدًا.

(Hohner, op. cit.)

كان ولي حين يتلوّى يرفس مفرش السرير الذهبي-الأرجواني. كان
المفرش مكوّمًا على الأرض.

(Sternlet, op. cit.)

الزركشات الصُفر، والشرايات المذهّبة لم تخفّف من عُتمة الأثاث الفخم.
بل إنّها كانت تذكر الزوّار بأنّ الظلام والموت يأتيان حتى للأمرء.

(Epstein, op. cit.)

انطفأت العينان، والجسمُ الذي كان لا يكفّ عن التلوي سَكَنَ فجأةً.
السكونُ في حدّ ذاته هو الذي بدأ أكثر ما يُرعب في الأمر. كان يواجه مصيره
الآن، ولم يكن لأحد أن يساعده أو يوقف رحلته التي بدأ أنها انطلقت.

(Hohner, op. cit.)

تجمّع ندى الموت على حاجبيه.

(Keckley, op. cit.)

في غرفة الموت، قبيل انقطاع النَّفس، يبدو الزمان متوقفًا تمامًا.

(Sternlet, op. cit.)

لم يكن للرئيس إلا أن يقف في مكانه وينظر، بعينين مفتوحتين على

اتساعهما، لا حول له ولا قوة في هذا العالم القاسي الذي طرق بابه.

(Hohner, op. cit.)

قال الصبي: انتظر.

جلس هناك، داخل أبيه، تلوح على وجهه الصغير نظرة هلع، ويبدو مستاءً مما كان يسمعه.

قلتُ: اخرج.

قال: لا أفهم.

قلت: اخرج فوراً.

هانز فولمن

جرى تحنيط الجثمان في الثاني والعشرين من فبراير، على يد الطبيين (براون) و(ألكزاندر) بمساعدة الدكتور (وود).

“Lincoln Lore: Bulletin of the Lincoln Life Foundation”, No. 1511, January 1964.

في الحقيقة لم يتم (براون) أو (ألكزاندر) بعملية التحنيط شخصيًا، وإنما تكفل بذلك معلمها المحنّط (هنري ب كاتل).

“Stealing Lincoln’s Body” (Thomas J. Craughwell)

كان الحانوتيّ الرئيس (فرانك ت ساندرز)، وقد يكون هو الذي اقترح الإجراء الاحترازي بتغطية صدر الجثمان بأزهار خضراء وبيضاء من نبتة البليحاء، والتي تُعرف برائحتها الحُلوة النفاذة.

(Epstein, op. cit.)

وقد استُخدمت طريقة (ساغنت) الباريسيّ.

“Lincoln Lore” (op. cit.)

كان (ساغنت) هو من ابتكر استخدام كلوريد الزنك.

“Pausing Death: Nineteenth Century Embalming and the Cult of Immortality” (Steven Wedge and Emily Wedge)

إنَّ حقنَ غالون وربع من محلول كلوريد الزنك بتركيز 20% في الشريان المأبضي لا يحفظ الجثمان لمدة سنتين فحسب، بل يؤدي كذلك إلى تحوّلٍ رائعٍ إذ يعطي الجسد مظهر الرخام الأبيض المنير.

(Craughwell, op. cit.)

ظهرت بعض الإدعاءات المغالية حول طريقة ساغنت، تشير إلى أنّ الجثمان يتحوّل إلى ما يشبه «الصدفة التمثال، أي منحوتة».

“Lincoln Lore” (op. cit.)

وُضعت طاولة ذات حوامل خشبية من أجل إجراء العملية. طُوِي السجّاد في «الغرفة الخضراء» ووُضعت قطعة كبيرة من قماش الخيام على الأرضية كي لا تتسخ.

“The Doctor’s Assistant: Memoirs of D. Root” (Donovan G. Root, M.D.)

لم يكن هذا الإجراء يتطلب تصريف الدم من الجسد. أُزيلت ملابس الصبّي، وأُحدِث شقٌّ في فخذه الأيسر، ثم جرى ضخُّ كلوريد الزنك باستخدام مضخة معدنية صغيرة القطر. لم تظهر أية صعوبات غير متوقعة.

بعد ذلك أُجريت خياطة بسيطة لمكان الحقن، وأعيد تلبس الصبيّ.

(Wedge and Wedge, op. cit.)

ولأنّ الأمّ كانت ما تزال ذاهلة، فقد اختار الأب ملابس الدفن وأرسلها إلينا في صندوق قبعات كبير جدًا.

(Root, op. cit.)

كانت ملابس ولي من النوع المعتاد الذي يلبسه يومياً. بنطال، ومعطف، وجوربان أبيضان طويلان، وحذاءان قصيران. وُضعت ياقة القميص الأبيض فوق المعطف، وشُمّرت طيّاته فوق الأكمام.

“Abraham Lincoln: From Skeptic to Prophet” (Wayne C. Temple, quoting “Illinois State Journal, July 7, 1871)

كلنا في البيت رأينا تلك البدلة الرمادية على الصبيّ عدة مرات وهو حيّ. شهادة الخادم د. سترميهورت

(Hilyard, op. cit.)

ألْبَس الصغِير ولي، المسكين الذي ضاع من بين يدي أهله، في واحدةٍ من بدلاته البنية القديمة، مع جوربين أبيضين، وحذاءين قصيرين، مثل دمية عرائس مسكينة.

(Epstein, op. cit.)

كان هناك بعينيه المغمضتين، وشعره البني المفرّق كما عهدناه، شاحبًا في هجعة الموت. لكنه لم يبدُ مختلفًا؛ إذ كانت ملابسه توحى بأنه يرتدي ملابس المساء، يمسك في إحدى يديه المشبوكتين على صدره حفتةً من زهور نيفسة.

(Willis, op. cit.)

جاء الرئيس ليلقي نظرة، غير أنه جاء مبكرًا جدًا. كانت الطاولة ما تزال مرفوعة، و(جنكنز) يلّم الغطاء الواقى. كانت أدواتنا ما تزال باديةً في الصندوق المفتوح. المضخة ما تزال تبقب. ساءني ذلك، فقد أتى بنتيجة سلبية. اكتسى وجه الرئيس شحوبًا واضحًا، وشكرنا ثم غادر الغرفة مسرعًا.

(Root, op. cit.)

قبع الصبيّ هناك لا يحرك ساكنًا، وعيناه مفتوحتان على اتساعهما.

روجر بيغنز الثالث

دفنوا ولي لينكون في يوم عاصف، إذ هدمت الريح أسطح المنازل،
ومزقت الأعلام إربًا.

(Leech, op. cit.)

في ذلك الموكب السائر إلى مقبرة «أوك هيل» في «جورج تاون»، كان
حصانان أبيضان يجران عربة الموتى التي تحمل الصبي، ذلك الصبي الذي
لم يكن يعرف إلا السعادة. فيما كان حصانان أسودان يجران عربة يجلس فيها
الرئيس الذي هدته الفجيرة.

(Randall, op. cit.)

هدمت الريح أسطح المنازل الطويلة، وحطمت النوافذ الزجاجية،
وسوّت الخيام العسكرية بالأرض، وحوّلت الشوارع الموحلة إلى قنوات،
والقنوات إلى منحدرات نهريّة. كانت هناك هبات ريح دمّرت عدة
كنائس، وكثير من العرازيل، واقتلعت أشجارًا، وأطفأت أنوار المناور في
مكتبة الكونغرس. أمواج اجتاحت «لونغ برج» فوق نهر «البوتوماك» إلى
«الإسكندرية».

(Epstein, op. cit.)

مضى الأب في عربته عبر هذا الحطام، لا يرى شيئاً.

(Leech, op. cit.)

امتدّ طابور العربات في موكب الجنائز لمسافة كبيرة، حتى أنّ العربات استغرقت وقتاً طويلاً كي تشقّ طريقها صعوداً على مرتفعات «جورج تاون» ثم إلى مقبرة «أوك هيل» التي تزيّنها أشجار البلوط.

(Kunhardt and Kunhardt, op. cit.)

حين وصل قائد الموكب إلى مقبرة «أوك هيل» عبر شارع «واشنطن» وجد أنه من الضروريّ لذلك الطابور الطويل أن يتفرّع جزءاً منه من شارع «برج» إلى شارع «هاي ستريت». وهكذا صعدت تلك العربات التلّة من أمام «سدّ هاي لفل» الجديد، واستدارت نحو شارع «رود» ثم سارت شرقاً إلى المقبرة حيث يوضع جثمان وليم والاس لينكون في قبو «و.ت. كارول»، في القطعة رقم 292.

“Essay on the Death of Willie Lincoln” (Mathilde Williams, curator, Peabody Library Association)

في هذا الوقت هدأ الجوّ، وهبط المئات من عرباتهم يمشون من بوابات المقبرة إلى الكنيسة القوطيّة الصغيرة ذات الحجر الأحمر والنوافذ المبقّعة بالأزرق.

(Kunhardt and Kunhardt, op. cit.)

في لحظةٍ من اللحظات طَلعت الشمس، تصبَّ أشعتها عبر النوافذ الصغيرة، فلَوّنت كل شيءٍ داخل الكنيسة بوهجٍ أزرق، كما لو أننا في قاع البحر، فتسببت في وقفةٍ قصيرة في الصلوات، وشعورٍ بالرهبة بين المصلّين.

(Smith-Hill, op. cit.)

هنا، فوق التابوت، كان الدكتور (غورلي) يتلو المزيد من الصلوات.

(Kunhardt and Kunhardt, op. cit.)

لنا نحنُ - وكذلك للآباء والأمهات المفجوعين وجميع المبتلين - أن نتيقن من أن ابتلاءهم لم يأتِ من عدم، وأن مصائبهم لم تنبُت هكذا من الأرض. إنما هو تدبير الأب ربهم. قد يرون في ذلك تصرفًا غامضًا، ولكن إنما له الأمر وحده. وفيما هم يتلون رثاءهم، يقول الرب لهم كما قال يسوع لتلاميذه حين حاروا في تصرفه: «إنكم لا تُدركون الآن ما أفعله، لكنكم سوف تعلمون».

(Gurley, op. cit.)

هناك جلس الرجل، بحملٍ ثقيلٍ يتعجّب منه العالم بأكمله. ينحني الآن تحت وطأة الحمل في قلبه وعقله، مترنحًا من هذه الضربة أن يُسلب منه ولده!

(Willis, op. cit.)

نهض الرئيس، اقترب من التابوت، ووقف هناك وحده.

“The Dark Days” (Francine Cane)

ساد التوتر والحزن داخل الكنيسة. أحنى الرئيس رأسه وهو يقضي تلك اللحظات الأخيرة مع ولده، في صلاة، أو بكاء، أو ارتياح، لا ندري.

(Smith-Hill, op. cit.)

يتهدى صراخ من بعيد. ربما هو عاملٌ يوجّه زملاءه للتنظيف بعد تلك العاصفة الجائحة.

(Cane, op. cit.)

استدار الرئيس مبتعدًا عن التابوت، في حركة إرادية واضحة، وبدأ لي كم كان صعبًا عليه أن يترك طفله في مكانٍ كئيب كهذا. لم يكن ليفعل ذلك أبدًا حين كان وليّ أمره وهو حي.

في مراسلات خاصة بالسيد سمويل بيرس، بإذن من ورثته

بدا أنه شاخ كثيرًا في الأيام القليلة الأخيرة. توجّهت نحوه نظرات التعاطف والدعاء، فبدا أنه انتبه لها، وترك الكنيسة وعلى وجهه نظرة مفعمة بالتعاسة، غير أنه لم يستسلم للدموع بعد.

(Smith-Hill, op. cit.)

ذهبتُ إلى الرئيس، أمسكتُ بيده، وقدمت خالص التعازي.

بدا أنه لم يسمعني.

أضاء وجهه بتعجب قاتم.

قال: «ماتَ ولي»، كما لو أنه لم يدرك ذلك إلا الآن.

(Pierce, op. cit.)

وقف الصبيّ.

هانز فولمن

إذ ظهر على هذه الهيئة من داخل السيد لينكون.

روجريفتز الثالث

التفت إلينا.

هانز فولمن

تعلو وجهه المدوّر الشاحب نظرة فزع.

روجريفتز الثالث

قال: هل لي أن أقول لكم شيئاً؟

كم أحببته في تلك اللحظة. يا له من ولد متفرد، بقذالته الطويلة، وبطنه المدوّره البارزة مثل الكبار.

قال: أنتم لستم مرضى.

هانز فولمن

فجأة ساد التوتر والاهتياج.

روجر بيثنز الثالث

قال: ذلك الشيء القابع في صندوقي، لا يمتّ لي بصلة.

هانز فولمن

بدؤوا يتحرّكون ببطءٍ نحو الباب.

روجر بيثنز الثالث

قال: أقصد توجد صلة طبعًا. أو بالأحرى كانت. لكنني الآن.. أنا الآن شيء منفصل. عنه. لا أعرف كيف أشرح.

هانز فولمن

قال السيد فولمن: لا تكمل. من فضلك اصمت الآن.

قال الصبيّ: هناك وصف لهذا الشيء الذي نعاني منه. ألا تعرفونه؟ أولاً تعرفونه حقًا؟

روجر بيثنز الثالث

كثيرون الآن كانوا يحاولون الهرب، فأحدثوا زحاما عند الباب.

هانز فولمن

قال الصبي: وصف عجيب فعلاً.

قال السيد فولمن: كفى. أرجوك كفى. لمصلحة الجميع.

قال الصبي: موتى. كلنا، موتى!

روجر بيغنز الثالث

وفجأة، حدث الأمر هناك، من خلفنا، مثل فرقعات البرق. ثلاث طلقات من صوت النار المألوف المخيف، المرتبط بظاهرة التوهج الضوئي.

هانز فولمن

لم أجرؤ على النظر حولي كي أعرف من ذهب.

روجر بيغنز الثالث

صاح الصبي: «موتى»، وكأنه في حالة من المرح، مختالاً إلى وسط الغرفة.

«موتى موتى موتى!».

يا لها من كلمة.

تلك الكلمة الرهيبة.

هانز فولمن

كان (بيردي بلو) و(بارك بلو) و(إيلا بلو) يرفرفون داخل إطار نافذة، مثل طيورٍ محبوسة، واهنة، مُهدّدة بالخطر من كلام الصبيّ المتهور.

روجر بيقتز الثالث

بقيت (فيرنا بلو) في الأسفل، تتوسّل أمها كي تنزل.

هانز فولمن

قال السيد فولمن للصبي: اسمع. أنت مخطئ. إن كان ما تقوله حقيقةً، فمن يكون إذاً الذي يقوله؟

قلتُ: ومن الذي يسمعه؟

قال السيد فولمن: مع من تتحدث أنت الآن؟

قلتُ: ونحن مع من نتحدث؟

روجر بيقتز الثالث

لكنّه لم يسكت.

هانز فولمن

لقد أضع سنواتٍ من العمل والتعب مع كل جملةٍ متهوِّرةٍ يقولها.
روجر بيفنز الثالث

قال الصبيّ: أبي قالها. قال إنني ميت. لماذا قال ذلك إن لم يكن حقيقة؟
للتو فقط سمعته يقولها. سمعته يتذكّر أنه قالها.
لم يكن لدينا جواب لذلك.
هانز فولمن

بكل تأكيد لم يبدُ لنا (من معرفتنا بالسيد لينكون) أنّه كان يمكن أن يكذب
بشأن شيءٍ جليلٍ كهذا.
عليّ أن أعترف بأنّ الأمر استوقفني.
الآن فقط تذكّرت أنني في أيامي الأولى هنا، ولفترةٍ وجيزةٍ كنتُ أرى
نفسي أنني —

روجر بيفنز الثالث

لكنك بعد ذلك رأيت الحقيقة. رأيت أنك تتحرك، وتتكلم، وتفكّر. إذا
لا بدّ أن يكون مجرد مرضٍ له اعتلالاتٍ غير معروفةٍ سابقاً، ولا يمكن أن
يكون —

هانز فولمن

لقد استوقفني الأمر.

روجر بيقتز الثالث

قال الصبي: كنتُ إنسانًا خيرًا. أو حاولتُ أن أكون كذلك. وأريد أن أتصرّف الآن كما ينبغي، وأذهب إلى حيث يجدر بي الذهاب. حيث كان يجدر بي الذهاب منذ البداية. أبي لن يعود إلى هنا. ولن يُسمح لأحدٍ منا بالعودة أبدًا إلى ذلك المكان السابق.

هانز فولمن

كان ينظّ من السعادة الآن، مثل طفل صغيرٍ ممتلئٍ المثانة.

قال: اسمعوا. تعالوا معي. كلّكم. لماذا تبقون هنا؟ لا شيء يستدعي ذلك. لقد انتهينا. ألا ترون ذلك؟

روجر بيقتز الثالث

داخل إطار النافذة ذهب بيردي وبارك وإيلا في انفجارٍ ثلاثيٍّ يُعمي الأبصار من ظاهرة التوهج الضوئي.

هانز فولمن

ما لبثت فيرنا بلو أن تبعتهم، غير راغبةٍ في تحمّل البقاء من دون أمّها (بعد

أن كانت في ذلك المكان السابق مجبولةً على التحمّل فترات طويلة).

روجر بيقتز الثالث

صاح الصبيّ: كنتُ متأكدًا! كنتُ متأكدًا من أن ثمة شيئًا غريبًا يحدث في!

هانز قولمن

بدا لحمه ربيعًا مثل رِقِّ. والاختلاجات تسري في جسده.

روجر بيقتز الثالث

بدأت هيئته تومض على نحوٍ متقلب (كما يحدث أحيانًا لأولئك الذين يوشكون على الذهاب) بين الأنفُس المختلفة التي كان عليها في ذلك المكان السابق: الوليد بلونه الأرجواني، الرضيع العاري وهو يصرخ، الطفل الصغير بوجنتيه الرجراجتين، الصبيّ المحموم على سرير المرض.

هانز قولمن

بعد ذلك، ودون أن يتغيّر حجمه (أي ما يزال في حجم الأطفال)، ظهرت هيئاته المستقبلية المتعددة (الهيئات التي لم يُتح له أن يصل إليها للأسف):

شاب متوتّر في ملابس الزفاف

زوج عار، بقضيب ما يزال مبللًا من أثر المتعة

والد شاب يقفز من سريره ليشعل شمعةً حين بكى طفله

أرمل محزون، والشعر قد امتلأ شيبًا
شيخ محنيّ الظهر بمسماحٍ بوقيّ فوق جدعة شجرة، يهشّ الذباب.
روجر بيقتز الثالث

وأثناء ذلك كله لم يبدُ عارفًا بهذه التغيّرات.
هانز فولمن

قال في حزن: ياه، كان الأمر جميلًا. جميلًا جدًّا هناك. ولكن لا يمكننا
العودة. إلى كيف كنا. كل ما نستطيع فعله هو ما ينبغي علينا فعله.
روجر بيقتز الثالث

أخذ نفسًا عميقًا، وأغمض عينيه—
هانز فولمن

وذهب.

روجر بيقتز الثالث

ذهب الصبيّ.

هانز فولمن

لم يحدث قطّ أن كنا أنا أو السيد بيفنز قريين جدًّا هكذا من ظاهرة التوهج
الضوئي وصوت النار المألوف المخيف.

روجر بيفنز الثالث

أطاح بنا الانفجار.

هانز فولمن

بعينين نصف مفتوحتين من على الأرض رأينا لمحةً قصيرة أخيرة لذلك
الوجه الطفوليّ الشاحب، ويدين قابضتين على الترقّب، وظهر مقوّس بعض
الشيء.

روجر بيفنز الثالث

وذهب.

هانز فولمن

ظلت بدلته الرمادية الصغيرة لحظةً لا أكثر.

روجر بيفنز الثالث

أنا ولي، أنا ولي، رغم أني
لستُ

ولي

لستُ ولي بل

أقل من ذلك على نحو ما

بل أكثر

كل شيء مسموح الآن كل شيء مسموح لي الآن
النهوض من السرير والنزول إلى الحفلة، مسموح

حلوى النحل، مسموح

قطع الكعك، مسموح

البَنش (حتى بنش الرّم)، مسموح!

لتعزف الفرقة بصوتٍ أعلى!

التعلق في الثريّا، مسموح. الطفو عاليًا حتى السقف، مسموح. الذهاب

لإلقاء نظرة من النافذة، مسموح مسموح مسموح!

الطيران من النافذة، مسموح مسموح (ضيوف الحفلة كلهم ينضمّون إليّ

في سعادة، يَحْتَوْنِي على أن أطيّر بعيدًا) (يقولون: أوه، إنه يشعر بتحسّن بالغ

الآن، لا يبدو مريضًا أبدًا!).

أيا ما كان الذي يملكه ذلك الشخص السابق (ولي)، لا بد أن يُعاد الآن
(وهو يُعاد الآن على الرحب والسعة) إذ إنه لم يكن ملكي قطّ (ولا ملكه)
ولذلك ليس صحيحًا أنه يؤخذ منا، على الإطلاق!

فأنا الآن (بعد أن كنتُ من ولي لكتني لم أعد من ولي «فقط») أعودُ
إلى هذا الجمال.

ولي لينكون

هناك على مقعده، بُغت السيد لينكون.

روجر بيغنز الثالث

مثل تلميذ في الصف استيقظ فجأة بعد غفوة.

هانز فولن

نظر حوله.

روجر بيغنز الثالث

بدا لوهلة غير عارف أين هو.

هانز فولن

ثم وقف على قدميه وتوجه إلى الباب.

روجر بيغنز الثالث

فرحيل الصبيّ قد حرّره.

هانز فولن

تحرك بسرعةٍ شديدة، حتى أنه عبر فينا قبل أن نتمكن من الابتعاد جانبًا.

روجر بيثنز الثالث

ومرةً أخرى، عرفناه لتلك الوهلة من الزمن.

هانز فولن

ولده قد ذهب. ولده ما عاد.

هانز فولمن

لم يكن ولده في أي مكان. كان ولده في كل مكان.

روجر بيغنز الثالث

لم يبق له الآن شيء هنا.

هانز فولمن

لم يعد ولده هنا أكثر مما هو في أي مكان آخر. لم يعد ثمة شيء يميّز هذا المكان.

روجر بيغنز الثالث

استمرار وجوده هنا كان خطأ. كان عبارة عن تمرّغ.

هانز فولمن

بل إنّ قدومه هنا من الأساس كان التفافاً، وضعفًا.

روجر بيقتز الثالث

كان عقله الآن مَيَّالًا إلى الأسي. إلى حقيقة أنّ العالم مُترع بالأسي. أنّ الجميع يرزحون تحت الأسي نفسه. أنّ الجميع يعانون. أنّ أيّما ما كان الطريق الذي يسلكه المرء في هذا العالم، فعليه أن يتذكّر أنّ الجميع يعانون (لا أحد راضيًا، الجميع مظلومون، مُهملون، أسيء فهمهم). ولذلك ينبغي على المرء أن يفعل ما في وسعه كي يخفّف الحمل عن أولئك الذين يلقاهاهم. فالحال التي يشتكي الآن منها ليست حاله وحده، بل إنّ هناك عشرات الآخرين مرّوا بها وسوف يمرّون بها، في كل زمان وفي كلّ مرة. ولا ينبغي لهذه الحال أن تُستطال أو يُبالغ فيها، ذلك أنه في هذه الحال لن يكون نافعًا لأيّ أحد. وبها أنّ موقعه في هذا العالم جعله إما ذا نفع شديد أو ضرر شديد، فليس من المفيد أن يظّلّ تعيشًا ما دام في وسعه أن يفعل شيئًا حيال ذلك.

هانز فولمن

كان الجميع في أسي، أو خبروه من قبل، أو سيأتيهم عمّا قريب.

روجر بيقتز الثالث

تلك طبيعة الأشياء.

هانز فولمن

ورغم ما يبدو من اختلاف بين شخصٍ وآخر، إلا أنّ ذلك ليس الحقيقة.

روجر بيقتز الثالث

ففي جوهر كل واحد منا تسكن معاناة. من نهايتنا، ومن الخسارات
الكثيرة التي علينا أن نتجرّعها في الطريق إلى تلك النهاية.

هانز فولمن

علينا أن نحاول رؤية بعضنا البعض بهذه الطريقة.

روجر بيقتز الثالث

على أننا كائنات محدودة تعاني —

هانز فولمن

تهزمن الظروف دومًا، وتعوّضنا ببعض النعم على نحوٍ غير ملائم.

روجر بيقتز الثالث

في هذه اللحظة يتمدّد تعاطفه إلى الجميع، يتخبّط وفق منطقته
الصارم إلى جميع ما يتجاذبه.

هانز فولمن

كان يغادر الهُنا مكسورًا، متضائلًا، تملؤه الرهبة والهوان.

روجر بيغنز الثالث

مستعدًا لتصديق أي شيء عن هذا العالم.

هانز فولمن

وقد صيرَه الفقدُ أقلَّ قسوة.

روجر بيغنز الثالث

قويًا.

هانز فولمن

متضائلًا، مُحطَّمًا، وقد أعيد تشكيله.

روجر بيغنز الثالث

رحيمًا، صبورًا، مبهورًا.

هانز فولمن

ومع ذلك.

روجر بيقتز الثالث

ومع ذلك.

فقد كان في معركة. ورغم أنّ أولئك الذين يقاتلهم كانوا هم أيضًا كائنات محدودة تعاني، إلا أنه لا بد أن—

هانز فولمن

يقضي عليهم.

روجر بيقتز الثالث

يقتلهم، ويقطع عنهم سُبُل عيشهم حتى يعودوا إلى الخطيرة.

هانز فولمن

ينبغي عليه (بل علينا، هكذا شعرنا) أن نفعل كل ما نستطيعه، أخذًا في الاعتبار الكثير من الجنود الذين قضوا أو جُرحوا في الميادين المفتوحة على اتساع الأرض. أجسادهم للأعشاب تنتهكها، ومقلهم للجوارح تنقرها أو مندورة للتحلل، وشفاههم قد انكشمت على نحوٍ مخيف. رسائلهم منقوعة بالمطر والدم والثلج، ماثورة حولهم، كي تؤكد لنا أننا ونحن نسير في تلك الطريق الصعبة لم نتعثر، لم نتعثر أكثر (فقد تعثرنا كثيرًا أصلًا)، إذ كلما تعثرنا حطّمنا المزيد من هؤلاء الصبية الذين كانوا ذات يومٍ أعزاء على شخصٍ من

الأشخاص.

شعرنا بأننا لا بدّ أن نحاول ألا نحطّم المزيد.

لا بدّ أن يُهزم حزننا. لا ينبغي أن يصبح سيّدنا، ويجعلنا غير قادرين على الفعل، فيودي بنا إلى غياباتٍ أعمق فأعمق.

روجر بيقتز الثالث

ولكي نبلغ المراد الأقصى، علينا أن نوقف ذلك الشيء بأسرع ما يمكن و—

هانز فولمن

نقتل.

روجر بيقتز الثالث

نقتل على نحوٍ أكثر كفاءة.

هانز فولمن

دون تردد.

روجر بيقتز الثالث

نجعل الدم يتدفق.

هانز فولمن

نُدمي العدو أكثر فأكثر إلى أن يعود إلى رشده.

روجر بيقتز الثالث

إنَّ الطريق الأسرع لإيقاف ذلك الشيء (وإيقافه هو الرحمة الكبرى)
قد تكون الأكثر دموية.

هانز فولمن

علينا أن نداوي الجرح بمزيد من الجراح.

روجر بيقتز الثالث

لقد كنا نُعساء، تائهين، فاشلين، محطّ سخرية، ولم يبق لنا شيء
تقريبًا. ولا بدّ أن نقدم على فعلٍ يوقف سقوطنا، ونستعيد أنفسنا.

هانز فولمن

علينا أن نربح. أن نربح ذلك الشيء.

روجر بيقتز الثالث

هو قلبه من فكرة القتل.

هانز فولمن

هل كان ذلك الشيء يستحق. يستحق القتل. قد يبدو أنها مسألة تنفيذية لا أكثر (مجرد اتحاد)، غير أننا إن نظرنا عميقاً سوف نجد ما هو أكثر من ذلك. كيف ينبغي للناس أن يعيشوا؟ كيف يمكن لهم أن يعيشوا؟ تذكر الآن الفتى الذي كانه ذات يوم (يختبئ عن أبيه كي يقرأ لجون بِنِيان، يرَبِّي الأرانب كي يكسب حفنة نقود، يقف في البلدة فيما يتشَدَّق الطابور اليومي المهزول بكلام صعبٍ صنعته المجاعة، يُضطر إلى التراجع خلفاً حين يمرّ أحد الموفورين حظاً بعربته)، يشعر بأنه غريب مختلف (وذكّي أيضاً، ومتفوق)، بساقيه الطويلتين التي يدكّهما الأشياء فتقع أرضاً، تذكر الألقاب التي كان يُعَيِّرُ بها (ايپ لينكون، عنكبوت، ايباهام، الوحش الطويل⁽¹⁾). لكنه كان أيضاً يفكر، بهدوء في نفسه، أنه ربما يحقّق ذات يوم شيئاً لنفسه. بعد ذلك سار إلى ما يريد، فوجد الطريق واضحة. كان فطناً سريع البديهة، وقد أحبه الناس لتلعثمه ولقوّة ما يرمي إليه. كاد يُجِنّ من جمال بساتين الخوخ وأكوام القش والفتيات والمزارع القديمة، والحيوانات الغريبة التي تتحرك في كسلٍ على الأنهار الموحلة، تلك الأنهار التي لا يمكن عبورها إلا بمساعدة ناسكٍ عجوز يجذّف ويتحدث لغةً بالكاد تكون إنجليزية. وكلّ ذلك، كل تلك الوفرة من النعمة كانت للجميع. يستخدمها الجميع، ويبدو أنها وُضعت هناك كيما تُعلم الإنسان أن يكون حرّاً، وأنه يستطيع أن يكون حرّاً، وأن

1 - هنا تلاعب بالكلمات، إذ إنّ اختصار اسمه هو ايب (Abe)، فيُحرّف الاسم إلى (Ape) التي تعني «القرود»، وكذلك مع اسمه الأول أبراهام (Abraham) حين يُحرّف إلى (Ape-a-ham). (المترجم).

أي إنسان، أي إنسان أبيض حرّ، يأتي من مكان متواضع مثل مكانه (حيث صوت التحزير يأتي من كوخ الخيزران، وكان قد نظر في الباب المفتوح فرأى أربعة أقدام، وطفلةً تحبو، تثبت نفسها بالقبض على قدمي أحد المحززين)، وحتى الشاب الذي رأى ذلك، وعاش بين أولئك، يمكن أن يصعد، هنا، عاليًا كما يريد.

في مقابل ذلك هناك الملوك الذين يخطفون التفاحة من يدك ويزعمون أنهم هم الذين زرعوها، رغم أنهم يحصلون على ما لديهم جاهزًا، أو بطريقة غير عادلة (ووجهُ الظلم في ذلك قد يكون لمجرد أنهم ولدوا أقوى، وأذكى، وأكثر نشاطًا من الآخرين). وهؤلاء بعد أن يأخذوا التفاحة يأكلونها بكل اعتزاز، فهم كما يبدو لا يعتقدون أنهم زرعوها فحسب، بل هم الذين اخترعوا فكرة الفواكه نفسها. أما ضريبة هذه الكذبة فتقع على قلوب المستضعفين (السيد بلوي يحث أطفاله على السير سريعًا من شرفتهم، يتهادى مع أبي بكيس الحبوب الثقيل الذي يتدلّى بينهما).

في الجهة الأخرى من البحر كان الملوك البدناء يتفرجون في سعادة، لأن الشيء الذي انطلق على نحوٍ جيد خرج الآن عن مساره (وكذلك في الجنوب ملوك مثلهم يتفرجون). ولئن خرج عن مساره، فقد ذهبت معه الأدوات كلها، إلى الأبد. وإن خطر لأحد أن يبدأ الأمر من جديد، فسوف يُقال (وهو قولٌ حق): لا يمكن للرعاع أن يديروا أنفسهم.

في الحقيقة، الرعاع كانوا يستطيعون. وسوف يفعلون.

سوف يقودُ الرعاعَ في إدارتهم لأنفسهم.

وسوف يربح ذلك الشيء.

روجر بيقتز الثالث

ولي الذي نعرفه لم يكن ليرغب في أن نظلّ مكبّلين في تلك المحاولة بحزني
عقيم عديم النفع.

هانز فولمن

في عقلنا كان الصبيّ يقف فوق تلة، يلوّح لنا في سعادة، يحثنا على أن
نتحلّى بالشجاعة ونحلّ ذلك الشيء.

روجر بيثنز الثالث

ولكنّ (أوقفنا أنفسنا فجأة) ألم يكن ذلك مجرد تفكير رغبويّ؟ ألم
نكن في الحقيقة نفترض من صديقنا الصبيّ مباركةً لم يكن لنا أن نستوثق
منها، لا لشيء إلا لكي نمكّن أنفسنا من الذهاب؟
بلى.

هانز فولمن

ولكن ينبغي علينا أن نفعل ذلك، وأن نصدّقه، وإلا هلكنا.

روجر بيثنز الثالث

وينبغي ألا نهلك.

هانز فولمن

ولكن علينا أن نمضي.

روجر بيقتز الثالث

رأينا كلّ ذلك في تلك اللحظة التي استغرقها السيد لينكون في العبور
فيها.

هانز فولمن

بعدها، خرج من الباب، ليدخل في عتمة الليل.

روجر بيقتز الثالث

لم ندخل نحن معشر السود إلى الكنيسة مع الآخرين.

فمن تجاربنا السابقة كنا نعرف أنّ البيض لا يحبون وجودنا هناك في كنائسهم، إلا كي نمسك طفلاً، أو نسند أحداً، أو نروّح على شخصٍ عجوز.

ثم جاء ذلك الرجل الأبيض الطويل خارجاً من الباب، متجهًا صوبي مباشرة. تمسكتُ بمكاني وهو يعبر فيّ، والتقطتُ من كلامه شيئاً من قبيل: سوف أمضي. سأفعل. بعون الرب. رغم أنّ القتل يبدو مصاداً تماماً لإرادة الرب. ترى ما موقف الربّ من ذلك. لقد أرانا. كان يمكنه أن يوقفه. لكنه لم يفعل. علينا أن نرى الرب لا بوصفه «هو» (شخصاً ذا بعدٍ واحدٍ يمنح الثواب)، بل بوصفه «الشيء»، كائنًا ضخمًا أبعد من استيعابنا، يريد شيئاً منا، وعلينا أن نعطيه إياه. وكل ما في وسعنا أن نتحكم به هو الروح التي نُعطي بها، والهدف الذي يحققه العطاء. ترى ما الهدف الذي يريد «الشيء» تحقيقه؟ لا أعرف. يبدو الآن أنّ ما يريده «الشيء» هو الدم، والمزيد من الدم، وتغيير الأمور مما هي عليه إلى ما يريد «الشيء» أن يبغي لها أن تكون. ولكن ما هو ذلك الوضع الجديد، لا أعرف، وأنا منتظر بصبرٍ أن أعرف، رغم أنّ الثلاثة آلاف الذين سقطوا يحدّقون بي بأعينٍ مصابة، ويحرّكون أياديهم الميتة في توتر، يسألون عن الهدف الذي قد يحققه ذلك فيجعل من تضحيتنا الرهيبة تستحق —

ثم خرج مني، وكنتُ سعيدة بذلك.

قرب البوابة وقف السيد (هافتز)، ثابتاً في طريق ذلك الرجل الأبيض مثلما كنتُ أنا، لكنه أقدم على شيء لم أجرؤ (ولم أرغب) في فعله.

السيدة فرانسيس هوج

لا أعرف ما الذي اعتراني. لم يحدث قط في ذلك المكان السابق أن كنتُ شخصًا أرعن. وما الذي يدفعني إلى ذلك؟ فالسيد (كونر) وزوجته الطيبة وجميع أطفالهما وأحفادهما كانوا لي مثل عائلتي. لم يفصلوني أبدًا عن زوجتي وأطفالي. كنا نأكل جيدًا، ولم نُضرب قط. أعطونا كوخًا أصفر صغيرًا، لكنه جميل. كان وضعًا جيدًا إن أخذنا كل شيء في الاعتبار.

حقًا لا أعرف ما الذي اعتراني.

حين عبر السيد في شعرتُ بما يشبه القرابة.

وقررتُ أن أمكث قليلًا.

هناك، داخله.

وهكذا أصبحنا نتحرك معًا، خطوة بخطوة. لم يكن ذلك سهلًا، فساقاه طويلتان. مددتُ ساقِي، كي أواكب ساقيه، ومددت جسمي كله، فأصبحنا على الحجم نفسه. وفي الخارج على ظهر الحصان (اسمحوالي) كانت نشوة امتطاء الحصان مرةً أخرى أمرًا يفوق طاقتي، ف..فمكثت. في داخله. يا لها من نشوة! أن أفعل ما أريد. دون أمرٍ من أحد، دون أن أضطر إلى الحصول على رخصة من أحد. لقد طار عني سقف حياةٍ كاملة، إن جاز لي التعبير. عرفتُ في تلك اللحظة أجزاء شاسعة من «إنديانا» و«إلينوي» (بلدات كاملة، بتصميمها الكامل وضيافة أهلها هناك، رغم أنني لم أزر أيًا من تلك الأماكن من قبل). أصبحتُ أشعر أنّ هذا الشخص..يا إلهي، لا أجرؤ على ذكر منصبه. بدأتُ أشعر بالخوف، أن أسكنَ شخصًا متحققًا إلى هذه الدرجة. مع ذلك فقد كنت مرتاحًا هناك. وفجأة، أردته أن يعرفني. أن

يعرفنا. أن يعرف جماعتنا. لا أعرف لماذا أحسستُ بهذا الشعور. لم يكن يحمل لي أي نوع من الاشمئزاز. نعم، هذه هي الكلمة. أو ربما كان يحمل ذلك الاشمئزاز سابقًا، وما يزال يحتفظ بآثارٍ منه، لكنه استطاع أن يتخلص منه على نحو ما حين تفحصه ووضعه تحت الضوء. كان كتابًا مفتوحًا. كان كتابًا يفتح. فُتح للتو فقط باتساع أكبر. لقد فتحة الأسي، ونحن، نحن جميعًا، من سودٍ وبيض، بعد أن سكننا فيه. يبدو أنه لم ينبج من تأثير تلك الحادثة. أبدًا.

لقد جعلته حزينا. أكثر حزنا. نحن الذين فعلنا ذلك. كلنا، من سودٍ وبيض، جعلناه أكثر حزنا، بحزنا. والآن، ورغم أنه من الغريب قول ذلك، إلا أنه أصبح يجعلني أكثر حزنا بحزنه. فخطر لي أن أقول حسنا يا سيدي، إن كنا سنقيم مجلس حزن، فلدي ما أعتقد أن شخصا في قوتك قد يودّ معرفته. فكرتُ عندها، بأقوى ما أستطيع، بالسيدة هوج، والسن، ولتزي، وجميع الذين سمعتهم في مكوثنا الطويل في تلك الحفرة، بمشكلاتهم الكثيرة وتدهوراتهم، واستدعيْتُ إلى ذهني عدة أشخاص آخرين من عرقنا عرفتهم وأحببتهم (أمي، وزوجتي، وأطفالنا پول ومِثي وغلوريا، ورانس، وأخته بي، وأطفال كوشمان الأربعة)، واستدعيْتُ كل الأشياء التي تحمّلوها، أقول في نفسي يا سيدي إن كنتَ على تلك الدرجة من القوة كما أظنك، وتميل إلى حالنا كما يبدو، فحاول أن تفعل شيئًا لنا، لعلنا نفعل شيئًا من أجل أنفسنا. نحن جاهزون يا سيدي. غاضبون، وقادرون، نتلقّع بآمالنا بقوةٍ مميّته، أو مقدّسة. فكّ وثاقنا يا سيدي، واركنا لهذا الأمر، ودعنا نُظهر ما نستطيع أن نفعله.

السيد تومس هافنز

كان إلسن ولتزي عند باب الكنيسة، يتسمّعان.
فهرولا سريعًا يدًا بيد.

قالت لتزي: ذلك الصبيّ الأبيض؟
قال إلسن: قال إننا موتى.

السيدة فرانسس هوج

قالت السيدة هوج: يا إلهي!

إلسن فارول

خلال تلك السنوات كلها في حفرتنا، كنتُ أكنزُ الفكرةَ أنّ طفليّ (أناليز)
و(بنجامن) يوماً ما سوف—

سوف ماذا؟ ينضمان إليّ؟ يوماً ما ينضمان إليّ؟ هنا؟ كانت فكرة سخيفة.
فجأة أدركتُ كم كانت سخيفة.
مسكينة أنا.

مسكينة، كل تلك السنوات.

لن يأتيا إلى هنا أبداً. سوف يشيخان ويموتان ويُدفنان هناك، في تلك
البقاع القصية التي أخذنا إليها (حين أخذنا مني). لن يأتيا إلى هنا. ولماذا أريد

أن يأتيًا؟ كنتُ أريد ذلك، على نحوٍ ما، حين كنتُ أنتظر، مصدِّقةً أنني في وقفة. أما الآن، الآن وأنا—

الآن وأنا أعرف أنني ميّنة أردتُ لهما أن يذهبا إلى المكان الذي يجدر بهما الذهاب إليه. مباشرةً إلى هناك. أينما كان ذلك المكان. وإذا أحسستُ بهذا الشعور فقد رأيتُ أنه ينبغي لي أنا أيضًا أن أذهب.

نظرتُ إلى لتزي على طريقتنا القديمة كما لو أنني أقول لها: سيدي، ما رأيك؟

فقلت لتزي: سأفعل ما تفعلين يا سيده هوج. كنتِ لي دائمًا مثل أمي.

السيدة فرانسيس هوج

مع ذلك فهو أمر محزن.

فما كدتُ أستعيد صوتي حتى حان الذهاب.

لتزي رايت

قلتُ: إلسن؟

قال: لا. لئن كان ثمة وجود لأشياء مثل الخير والأخوة والتضحية، ويمكن تحقيقها، فلا بد أن تتطلّب في بعض الأحيان الدم والانتقام والرعب الشديد للمجرم السابق، وإخضاع المضطهد الذي لا قلب له. إنني أنوي البقاء. هنا. إلى أن أنتقم. من شخصٍ ما.

(يا له من فتى. معتزّ جدًا بنفسه، ممتلئ بالحيوية).

قلت: نحن موتى.

قال: ها أنذا. أنا هنا.

لم أقل شيئاً آخر. فإن أراد أن يبقى، لن أقف في طريقه.

علينا جميعاً أن نفعل ما نريد.

قلتُ للتزي: جاهزة؟

وكأنها تذكرني بالأيام الخوالي، رمشتُ لي رمشتها المزدوجة التي كانت

دائماً تعني: نعم.

السيدة فرانسس هوج

أخي العزيز، هذا ملحق للرسالة.. بعد أن كتبتُ ما جاء أعلاه ذهبتُ إلى سريري.. بعد مدةٍ قصيرة استيقظتُ على صوت حصان يضرب بحوافره.. ناديتُ (غريس) فساعدتني في الجلوس على الكرسي المتحرك والذهاب إلى النافذة.. أتعرف من كان يغادر؟ السيد لينكون نفسه.. أقسم بذلك.. بدا متعبًا جدًّا ومنحنياً على السرج وهو يمتطي حصانه.. فتحتُ النافذة وصحتُ لـ«صديقنا القديم ماندرز» ليؤكد لي ما رأيت.. لقد كان الرئيس فعلاً.. ترى أيّ ألم كان يكابده كي يأتي هنا في هذه الساعة الباردة القاسية من الليل؟

لا بدّ أن أطلب من غريس أن تعيدني إلى السرير الآن.. أحاول قدر استطاعتي أن لا أنادياها إلا للضرورة، فقد أصبحت تستاء مني مؤخرًا.. دائماً تكون في مزاج سيء، ولم تعد سعيدة معي.. وكأنها برمت مني، ولكن من يستطيع أن يلومها.. ليس من دواعي السعادة أن تكون رهن إشارة واستدعاءً من شخص غير قادر على الحركة هكذا.. ولا أستطيع أن ألومها لأنني في الفترة الأخيرة أصبحت أتألم أكثر، وكثيراً ما أجد روعي الجميلة منقوصة.. لكنها ليست صديقتي.. ينبغي أن أذكر نفسي بذلك دائماً.. هي مُستأجرة كي تعني بي.. لا أكثر.

أخي، متى تعود؟ أعرف أنك تهيم هنا وهناك برغبتك.. لكنني لا أكاد أصدق أنك لا تشعر بالوحدة.. أفهل أوقعت سيدة من المراعي في غرامك؟.. أختك متعبة ووحيدة ومريضة.. ألا تحبني؟ ألا تريد أن تراني مرة أخرى؟.. أرجوك عد.. لا أريد أن أقلقك علي.. لا أقول هذه الأشياء كي أحملك على العودة لكنني في حالة سيئة جدًّا مؤخرًا. أشعر بضعفٍ وتوهان ولا أستطيع

أن آكل.. أليس صحيحًا أن من يحبّون بعضهم ينبغي أن يكونوا معًا؟

أرجوك عُد.. افتقدتك جدًّا. وليس لديّ صديق حقيقيّ في هذا المكان.

أختك المحبة

إيزابيل

(Perkins, op. cit.)

ما إن ظهر الرئيس من الكنيسة حتى انسلتُ من غرفة الحراس كي أقفل البوابة خرج الرئيس ولم يقل شيئاً بدا ساهياً مديده وشدّ على ساعدي ثم امتطى حصانه الصغير وخطر لي أنّ جماعة كاملة سوف تسير إلى جانبه ولكن لا فذلك الحصان البطل الصغير ضرب بحوافره مبتعداً معتزاً بنفسه كأنه يقصد أن يحمي سمعة الرئيس حين يتصرف كما لو أن قدمي الرئيس لم تكن على وشك أن تحكّ الأرض صدّقني يا توم ذلك الحصان النبيل ربما كان يحمل هرقل أو جورج واشنطن لفرط الفخر الذي بدا في خطواته وهما يعبران إلى شارع «ر» ويختفيان في الليل البارد.

وفيما كنتُ أقفل شعرتُ بأنّ أحداً يراقبني فرفعتُ بصري ورأيت «فتاتنا الغامضة» في الشارع المقابل تجلس عند نافذتها رفعت النافذة من مكان جلوسها بجهد بالغ ونادتني تسأل هل كان ذلك الرئيس الذي غادر للتو فقلت نعم هو شعرتُ بالحزن يا توم فقد عرفتها أو رأيتهما على الأقل منذ أن كانت صبية تستطيع المشي والجري مع الآخرين والآن لا بد أنه اقتربت من الثلاثين وإذ شعرت بعطف نحوها صحتُ لها أنّه يجدر بها إغلاق النافذة عن البرد فقد سمعت أنها ليست على ما يرام فشكرتني لاهتمامي وقالت إنه أمر محزن أليس كذلك تقصد ما حدث لابن الرئيس وقلت بلى محزن جداً بالتأكيد فقالت إنها تشعر بأنّ الطفل لا بد أن يكون في مكان أفضل الآن فقلت إنني آمل ذلك ودعوتُ له ثم تعلّق صوتانا هناك كما لو أننا كنا آخر اثنين على وجه الأرض فقلت لها تصبحين على خير وردّت وأنت من أهل الخير ثم أغلقت النافذة وما لبث أن انطفأ الضوء في غرفتها.

(Manders, op. cit.)

تلا ذلك خروج جماعيّ من الكنيسة، فأخذت زُمرتنا تهرب من خلال
الجدران الأربعة في وقتٍ واحد.

هانز فولمن

كثيرون استسلموا حتى وهم يتحرّكون.

روجر بيقتز الثالث

هُرَعنا أنا والسيد بيقتز معًا، فيما كان الليل الوضّاء حول الكنيسة يضيء
بعده حالات من ظاهرة التوهج الضوئي.

هانز فولمن

كانت فوضى عارمة.

روجر بيقتز الثالث

سبح في الهواء رداءُ الخلاسيّة الجميلة الشاحبة المُغتصبة، ما يزال ملطّخًا
بعلامات كفوفٍ دامية عند الردفين.

هانز فولمن

بعده هبط فستانُ السيدة هوج، كبيرًا خاويًا.

روجر بيغنز الثالث

كان الهواء معبأً باللعنات، والصيحات، وأزيز السرعة من أصدقائنا
الأعزاء الذين كانوا يفرّون في استماتةٍ عبر الأجمات والأشجار الخفيضة.

هانز فولمن

كثيرون اعتراهم الشكُّ، حتى غدا التحرك معه مستحيلًا.

روجر بيغنز الثالث

تهاوى هؤلاء في تعبٍ على الأحجار، وزحفوا واهنين على الطرقات،
وقبعوا منسدلين كالمنكسرين فوق الدكك، كأنها ألقيَ بهم من السماء.

هانز فولمن

وكثيرٌ منهم استسلموا وهم في تلك الأوضاع غير اللائقة.

روجر بيغنز الثالث

الآن انطلق الملازم ستون في حديقة الكنيسة.

هانز فولمن

متوجهًا نحو السيد فارول مباشرة.

روجر بيقتز الثالث

ابتعد من هنا. لا تلوّث هذا المكان المقدّس أيها الكسرة.

بما أنني أطول الجميع مقامًا هنا (عدد الليالي التي قضيتها هنا أكثر من ألفين، وعدد الأرواح التي جاءت إلى هنا ورحلت سريعًا من جنبها ونكوصها يكاد يصل إلى تسعمئة حين أحصيتهم آخر مرة)، فمن له الحق في إدارة الأمور هنا سواي؟ ولسوف تحلّ بي اللعنة لو استغلّ رجلٌ -كسرة هذه الفوضى كي يتكاسل!

الملازم سيسل ستون

حتى ثقة الملازم الهائلة بنفسه يبدو أنها تأثرت من تلك البلبلة التي حدثت، فلم يزدد طولُه وهو يقول ذلك الكلام القاسي، بل بدا لنا أنه تقلّص بعض الشيء.

روجر بيقتز الثالث

أمر الملازم السيد فارول أن يعود إلى عمله، يعود إلى أيما عملٍ كان قد أُسند إليه، من أيما شخصٍ أبيض أمر به. فما كان من السيد فارول إلا أن أمسك الملازم من ياقته وصرّعه بعنفٍ على ظهره.

هانز فولمن

طالب الملازم بمعرفة كيف تجرأ السيد فارول على لمس رجل أبيض وهو غاضب، وأمر فارول أن يرفعه. رفض السيد فارول، فركله الملازم في صدره، وطار فارول إلى الخلف، ثم قفز الملازم على قدميه وجلس فوقه، وبدأ يضربه بقبضتيه في رأسه. وفي حالة من الاستماتة تلمس فارول حوله بحثاً عن حجر، فضرب به رأس الملازم، وسقط هذا على الأرض وطارت قبعته المثلثة. عندها وضع فارول ركبته فوق صدر الملازم وراح يهشم جمجمته بالحجر حتى أصبحت كتلة عجينية مسطحة. بعدها نهض مترنحاً وجلس على الأرض مغتماً، رأسه في يديه، يبكي.

روجر بيقتز الثالث

تشكّل رأس الملازم مرة أخرى سريعاً، فعاد كما كان، وما إن أبصر السيد فارول يبكي حتى نبج قائلاً بأنه لم يعرف أنّ الكسرة تبكي، فالمرء لكي يبكي لا بدّ أن يملك عواطف إنسانية. مرةً أخرى أمر الملازم السيد فارول أن يعود إلى عمله، يعود إلى أيما عمل كان قد أسند إليه، من أيما شخص أبيض أمر به. ومرةً أخرى ما كان من السيد فارول إلا أن أمسك الملازم من ياقته وصرعه بعنفٍ على ظهره. ومرةً أخرى طالب الملازم بمعرفة كيف تجرأ السيد فارول على لمس رجل أبيض وهو غاضب، وأمر فارول أن يرفعه. ومرةً أخرى رفض السيد فارول، ومرةً أخرى ركّله الملازم في صدره—

هانز فولمن

وهلم جرّاً.

روجر بيقتز الثالث

استمر الأمر هكذا فيما ابتعدنا نحن عن المشهد.

هانز فولمن

لم تكن ثمة علامة على أن الأمر سيتوقف.

روجر بيفنز الثالث

بل كان يجري بغضبٍ يوحى بأنّ الاثنين قد يقتتلان إلى أبد الأبدين.

هانز فولمن

إلا إذا حدث تعديلٌ أساسيٌّ في الواقع لا يُمكن تخيُّله.

روجر بيفنز الثالث

جرينا أنا والسيد قولن في استهاتة عابرين المسافات باتجاه بيوتنا.

روجري بيقتز الثالث

مهزوزين.

هانز قولن

حتى نحن كنا مهزوزين.

روجري بيقتز الثالث

حتى السيد بيقتز وأنا كنا مهزوزين.

هانز قولن

صحتُ له: ما العمل يا أخي؟

ردّ السيد قولن: «ها نحنذا. انظر إليّ. أنا هنا. أنا أتحدث إليك، أليس

كذلك؟

وأنت تسمع ما أقوله، أليس كذلك؟».

غير أننا مهزوزين.

روجر بيغنز الثالث

مررنا الآن بالزوجين سيّي السمعة بارون وزوجته. وجدناهما منهارين متكوّمين فوق تلة مرضى (قسطنطين) (وهو لوح من الحجر الجيري لا يميّزه شيء، متشقق عند الزاوية، وقد شوّهته فضلات الطيور على مدى عشرات السنين—

هانز فولمن

(فقبل زمنٍ طويل زرع أحدهم شجرةً صغيرة كي تقي قسطنطين حرّ الشمس).

روجر بيغنز الثالث

انهضي انهضي.

اللعنة، ليس وقت التوقف الآن. ليس وقت التفكير.

إدي بارون

لستُ أفكّر ولا أيّ زفت.

مجرد شعور بأنّ لست على ما يرام.

بتسي بارون

انظري إليّ. انظري إليّ.

تذكرين تلك المرة حين سكنا في ذلك الحقل الزفت الجميل؟ مع الأطفال؟
في ذلك المرعى الفسيح؟

في تلك الخيمة؟ تذكرين؟ بعد أن طردنا الزفت (دونوفن) من حفرة
الخ-- الزفت عند النهر؟
كانت أيامًا جميلة، أليس كذلك؟

إدي بارون

لم يكن مرعى فسيحًا ولا أي زفت، يا آخر--! كان المكان الذي يجتمع فيه
الحثالة الزفت كي يخر-- ويلقون بزبالتهم اللعينة!

بتسي بارون

ولكن كان هناك منظر رائع، هه؟ أطفال كثر لا يحظون بمنظر كهذا. كنا
نظّل من فتحة الخيمة فنجد أمامنا البيت الأبيض الزفت.

إدي بارون

حتى ترى ذلك عليك أن تمشي أولاً حول كومة الزباله اللعينة. وتبقي
عينيك مفتوحتين حذرًا من تلك الجرذان الزفت الكبيرة. وتلك العصابة من
المتحرّشين الهيسيّين⁽¹⁾ الزفت الذين كانوا يقيمون هناك.

بتسي بارون

1 - الهيسيّون (Hessians): جنود ألمان من ولاية «هيسه» استعانت بهم بريطانيا للقتال إبان الثورة الأميركية. (المترجم).

لكنهم لم يتحرّشوا بك أبدًا.

إدي بارون

هراء! لقد اضطرّرت إلى حرق ساقٍ واحدٍ من أولئك المنايد- بملء مجرفةٍ من الفحم المشتعل! كي أبعده عني! لقد تهجّم عليّ في الخيمة الزفت! أمام الزفت الأطفال! لا عجب أنهم لا يأتون لزيارتنا أبدًا. مضى علينا هنا..كم مضى علينا؟ وقت طويل زفت. ولم يأتوا ولا مرة واحدة.

بتسي بارون

اللعنة عليهم. أولئك الثعابين الملاعين العاقون ليس لهم أي حق ولا زفت في لومنا على أي زفت، إلا إذا وضعوا أنفسهم في مكاننا، ولا واحد من هؤلاء الملاعين وضع نفسه ولو—

إدي بارون

لا يا إدي!

لقد كانوا أولادنا.

نحن الذين أحققنا.

بتسي بارون

لا نريد أيّ خر-- حزين ولا زفت الآن.

ولا نريد توقّفًا ولا تفكيرًا ولا زفت.

تعرفين لماذا؟

لأننا نريد أن نبقى هنا! ما يزال هناك احتفال كثير أمامنا، أليس كذلك؟

إدي بارون

إدي.

نحن موتى بحق اللعنة يا إدي.

أحبك، أيها المنبي--.

بسي بارون

لا!

لا لا لا . لا تفعلي ذلك. لا تفعلي.

اللعنة، ابقى معي يا طفلي.

إدي بارون

بدا لحمها ربيعًا مثل رِق. والاختلاجات تسري في جسدها. بدأت هيئتها تومض على نحوٍ متقلب بين الأنفس المختلفة التي كانت عليها في ذلك المكان السابق (لا يمكن ذكرها لفرط تهتكها و فقرها و عارها)، ثم بين هيئاتها المستقبلية المتعددة التي لم يُتَح لها أن تصل إليها للأسف: أم ترعى أطفالها، خبّازة حريصة تجيد إعداد الخبز والكعك، امرأة تتردد إلى الكنيسة بانتظام، جدّة مُحترمة لطيفة الكلام يحيط بها أحفاد نظيفون يحبونها.

روجر بيفنز الثالث

عندها جاء صوت النار المألوف المخيف دومًا، المرتبط بظاهرة التوهج الضوئي.

هانز فولمن

وَذَهَبَتْ.

روجر بيقتز الثالث

تساقط ثيابها المهلهلة التنتنة في كل مكان.

هانز فولمن

أطلق السيد بارون عواءً طويلًا من السباب ثم استسلم، وإنْ على مضض، مجبورًا بعاطفته المفرطة تجاه تلك المرأة. واللون الذي كان عليه التوهج الضوئي في حالته لم يكن ذلك الأبيض الوضّاء، بل رماديًا كَدِرًا.

روجر بيقتز الثالث

وسقطتْ ملابسُه، تنبعث منها رائحة التبغ، والعرق، والوسكي.

هانز فولمن

واستمارة سِباقي، ورَسْمَة كاريكاتيرية داعرة.

روجر بيقتز الثالث

على حين فجأة لم يبُد السيد بيقنر على ما يرام.
 بدا لحمه ريفاً مثل رِقِّ. والاختلاجات تسري في جسده.
 هانز قولن

اندفعت ذكريات كثيرة جداً في عقلي الآن.
 تذكّرتُ صباحاً من الصباحات. صباحي الذي—
 الصباح الذي—

رأيتُ فيه غلبرت. في المخبز.

نعم، نعم رأيتُه.

يا إلهي.

لقد كان—آه. كان ذلك مؤلماً أشدَّ الألم! لقد كان رفقة شخصٍ آخر.
 رجل. طويل بشعرٍ داكن. عريض الصدر. همس له غلبرت بشيءٍ فضحكا.
 وبدا أتمها ضحكا عليّ. تهاوى العالم في عينيّ. بدا مثل مسرحٍ مجهزٍ لإطلاق
 نكتة، عنيّ: أن أولد بميولي تلك، وأجد غلبرت، وأقع في حبه، لكنني لن
 أستطيع أن أكون معه (لأنه كان يريد «العيش عيشة صحيحة»)، ثم تأتي نهاية
 النكتة: أنا في عمر ذلك المخبز، خائب الأمل، أحمل رغيماً في يدي، والاثنان
 يقتربان مني، يتوقفان. الهمسة. الضحكة. يقف كل منهما على جانب مني،
 وهذا الرجل الجديد (كان فائق الجمال) يرفع حاجبه كما لو أنه يقول: هذا؟
 هذا هو؟

ضحكة قاتلة أخرى.
هرعت إلى البيت و—
سّرعت.

روجر بيغنز الثالث

هو السيد بيغنز على ركبتيه.
بدأت هيئته تومض على نحوٍ متقلب بين الأنفوس المختلفة التي كان عليها
في ذلك المكان السابق:
ولدت متأنث لكنه عطوف، يلقي عنايةً كبيرة من أسرةٍ كلها أخوات.
تلميذ مجتهد، منكبّ على جدول الضرب.
شابٌ عارٍ في موقف العربات، يميل ليقبل غلبرت.
ابنٌ مهذب، يقف بين والديه لالتقاط صورة بمناسبة عيد ميلاده.
رجل منكوبٌ ذاهل بوجهه الأحمر، تنهمر الدموع على وجهه، في يده
ساطور، وعلى حجره حوض البورسلين.
قال: هل تذكر، حين جئتُ هنا؟ كنتُ في غاية الطيبة معي. هدأتُ من
روعي. أقنعتني أن أمكث هنا. هل تذكر؟
قلت: من دواعي سروري.
قال بنبرة عجب: تذكرتُ للتوّ شيئاً آخر. زوجتك جاءت تزورك ذات
مرة.

هانز فولن

ردّ السيد فولمن في جمود: لا أذكر شيئًا كهذا. زوجتي تفضل ألا تزورني، فهي تعتقد أن العزلة لبعض الوقت هي الوسيلة الأفضل لشفائي.

قلتُ: يا صديقي، كفى. دعنا نتحدث بصراحة. أنا أتذكر الآن أشياء كثيرة، وأظنك تتذكر أيضًا.

قال السيد فولمن: لا، على الإطلاق.

قلتُ: جاءت إلى هنا امرأة ممتلئة القوام متألمة. قبل سنةٍ أو نحو ذلك. وراحت تعدّد أشياء كثيرة، أشياء تبعث على السعادة في حياتها (أطفالها الكثيرين، وزوجها الرائع)، وشكرتك -شكرتك أنت، تخيل - على طيبتك معها، والتي وفقًا لكلامها «سمحت لي بأن أقدم نفسي، طاهرة، إلى الرجل الذي وجدتُ فيه حبّ حياتي». لقد شكرتك لأنك وضعتها «على طريق الحب»، ولأنك لم تكن (ولا مرة) قاسيًا معها، بل كنتَ على الدوام رقيقًا ومراعيًا. «صديقًا حقيقيًا»، هكذا وصفتك.

انهمرت الدموع على وجه السيد فولمن.

لقد احترمتك فجاءت لتوديعك، ووقفت عند قبرك، وأوضحت أنها لن تستطيع، في المستقبل، أن تنضمّ إليك هناك، كما ينبغي عليها أن تفعل، بل إنها سوف تكون بجانب الرجل الجديد، زوجها الذي كان—

«من فضلك». قال السيد فولمن.

قلت: الذي كان أصغر بكثير. منك. أقرب إلى سنّها.

قال السيد فولمن فجأة: أنت. أنت قطعتم معصميك، ونزفتَ حتى الموت على أرضية المطبخ.

قلت: نعم، نعم، فعلت.

قال: قبل سنوات طويلة.

قلت: سنوات طويلة جدًا.

قال السيد فولمن: «يا إلهي». بدا جسمه ربيعًا مثل رِقِّ. والاختلاجات تسري في جسده، وبدأت هيئته تومض على نحوٍ متقلب بين الأنفس المختلفة التي كان عليها في ذلك المكان السابق:

فتى متدرّب جديد بشبابٍ مهلهلة ملطّخة بالخبِر.

شاب أرمِل، يكفكف فقدَه لزوجته الأولى، حوافّ أظافره مزرقّة من عمله، على الرغم من أنها كُشِطت كُشِطًا هائلًا قبل الجنازة.

رجل وحيد في منتصف العمر، لا آمال له على الإطلاق، يقضي وقته بين العمل والشراب (على نحوٍ يائس) والتردد إلى العاهرات من وقتٍ لآخر.

طبّاع سمين قصير فيه عَرَجَة، وله أسنان خشبية، يبلغ من العمر ستّة وأربعين عامًا. يُطل بعينيه في صالة منزل «وِكِت» ليلة رأس السنة، فيرى شابّة متألّقة في فستان بلون الليمون (بالكاد تكون أكبر من فتاة). وفي تلك اللحظة يشعر أنه لم يعد كبير السن، بل شابًا (لافتًا للاهتمام ممتلئًا بالحيوية)، ولأول مرة منذ سنوات يشعر أنّ لديه ما يمنحه، وأنّ ثمة شخصًا يرجو أن يُسمح له بأن يمنحه إياه.

روجر بيقتز الثالث

قال السيد بيقتز: هلّا ذهبنا؟ معًا؟

واتخذ هيئاته المستقبلية المتعددة (التي لم يُتاح له أن يصل إليها للأسف):

شاب جميل المحيّا على مقدمة سفينة، يحدّق في صفّ من البيوت الصفراء والزرقاء التي تظهر الآن على شاطئ بعيد (في تلك الرحلة ضاجعه مهندسُ برازيلي مضاجعة عظيمة، وعلمه الكثير، ومنحه الكثير من المتعة) (فعرّف

السيد بيثنز أن تلك الحياة هي التي يريدها، سواء أكانت جيدة أم لا في عين الرب).

عاشق مسرور لصيدلانيّ ملتحٍ رقيق اسمه (ريردن)، مضت عليهما سنوات عديدة.

رجل مزدهر ممتلئ الجسم في منتصف العمر، يرمى المسكين ريردن في أيام مرضه الأخير.

عجوز يبلغ ما يقرب المئة عام، رُزق بالتححرر من كل رغبة (في الرجال، والطعام، والهواء)، يُساق إلى الكنيسة في شيء يشبه العربة المعجزة، لا تجرّها أحصنة، تسير على عجلات مطاطية، صاحبة مثل مدفع لا يهدأ.

هانز فولمن

قال السيد فولمن: نعم. لنذهب. معًا.

روجر بيثنز الثالث

بدا أننا تجاوزنا الآن مرحلة الاختيار. كان إدراكنا لما نحن عليه قويًا جدًا، لا يمكن إنكاره.

هانز فولمن

ومع ذلك كان ثمة شيء يوقفنا.

روجر بيثنز الثالث

عرفنا ما هو.

هانز فولمن

عرفنا من هو.

روجر بيقتز الثالث

بعقلٍ متّحدٍ طرنا متجاوزين المسافات (على نحوٍ غير منتظم، نخبط
الجلاميد والروابي وجدران البيوت الحجرية، مثل طيور مُصابة، لا نشعر
بشيء سوى الحاجة الملحة إلى بلوغ وجهتنا)، نومض وننطفئ، واهنين نزداد
وهناً، لا يكاد يبقي علينا سوى إيمان متبدّد متلكئ في واقعنا. نتجه شرقاً
شرقاً شرقاً، إلى أن وصلنا إلى حافة القفر الشاسع غير المسكون.

هانز فولمن

الذي ينتهي عند السور الحديدي الرهيب.

روجر بيقتز الثالث

كانت فتاة ترينر هناك كالعادة، محصورة في السور وهي جزء منه، تتجسّد الآن في شكل حطامٍ متقلّصٍ من عربة قطار. داخلها عشرات الأفراد المتفحّمين المنقّضين، ينبحون بأقذع المطالب فيما عجلات «عجلات» تدور بلا رحمة فوق مجموعةٍ من الخنازير الذين (كما أفهمنا) تسبّبوا في الاصطدام، وكانت لهم وجوه وأصوات بشرية، يصيحون على نحوٍ مثير للشفقة فيما العجلات تدور وتدور، تطحنهم مرّة تلو المرة، فتنبعث رائحة لحمٍ خنزير محترق.

هانز فولمن

كنا قد جيئنا لنعذر.

روجر بيفنز الثالث

على ما أبديناها من جبنٍ أثناء ما حلّ بها من دمارٍ في البداية.

هانز فولمن

فقد ظلّ ينخر فينا دائماً، في كل دقيقةٍ منذ ذلك الوقت.

روجر بيفنز الثالث

كان الإخفاق الأول لنا.

هانز فولمن

كان خذلاننا الأول لتلك الطبيعة الأفضل، التي جئنا بها من ذلك المكان السابق.

روجر بيفنز الثالث

صحتُ وأنا واقف عند العربة المحترقة.

هل تسمعي يا عزيزتي؟ هناك شيء نودّ أن نقوله.

هانز فولمن

تحوّل القطار قليلاً عن مساره، فتطايرت ألسنة اللهب، واستدار عدد من الخنازير إلينا. قالوا لنا بلهجة أميركية جميلة من وجوههم البشرية الكاملة، وبثقة لا شكّ فيها، أنّ الفتاة لا تريد، ولن تريد إنقاذها، وقد كرهت الأمر برمته، وكرهتنا كلّنا. وإنّ كنا نهتمّ لأمرها فعلاً، فلنتركها وشأنها، لأنّ وجودنا يؤجّج عذابها الكبير، يذكّرها بالأمال التي كانت تحملها في ذلك المكان السابق، ويذكّرها بما كانت عليه حين جاءت إلى هنا.

روجر بيفنز الثالث

شابة تدور وتدور.

هانز قولن

ترتدي فستانًا صيفيًا متبدّل الألوان.

روجر بيقتز الثالث

صحّت: نحن آسفان. آسفان فعلاً لأننا لم نبذل مزيداً من الجهد لإقناعك
بأن تذهبي آنذاك، حين كانت ما تزال الفرصة في يدك.
قال السيد بيقتز: كان كلّ منا خائفاً. خائفاً من نفسه.
قلت: قلقاً. قلقاً من الفشل في محاولتنا.
قال السيد بيقتز: خطر لنا أنه يجدر بنا توفير جهودنا.
قلت: نحن آسفان فعلاً لما حدث لك.
قال السيد بيقتز: لم تفعلي ما يستحق ما حدث لك.
قلت: ونحن آسفان أكثر لأننا لم نبق معك كي نهوّن الأمر عليك وأنت
تدهورين.

قال أحد الخنازير: فعلاً، لقد انسللت خلسةً.

هانز قولن

تلوى وجه السيد قولن من تلك الذكرى.

ثم تغير شيء، وبدا قويًا حيويًا، مثلما كان بالتأكيد في مكان عمله، رجلاً

لا ينسَلْ خلصة من أي شيء على الإطلاق.

ثم تنقل سريعاً بين هيئاته المستقبلية المتعددة:

رجل متألق في فراشٍ غير مرتّب، في الصباح بعد أن أتمّ زيجته بآنا (إذ أَلقت رأسها على صدره في سعادة، ومدّت يدها بين ساقيه، مشتاقة إلى معاودة الكرة).

أب لطفلتين توأمين، تبدوان نسختين أصغر وأكثر شحوباً من آنا.

مطبعيٌّ متقاعد لم تعد تسعفه ركبته، تساعد آنا في المشي، وقد أصبحت هي نفسها أكبر سنّاً لكنها ما تزال جميلة، وفيما يمشیان معاً يتبادلان حديثاً خاصاً كعادتهما، لا يتفقان فيه بالضرورة، عبر شفرةٍ في الحديث يبدو أنهما اصطنعاها مع الزمن، يتحدثان عن التوأمين اللتين أصبحت كلٌّ منهما أمّاً.

التفت السيد فولن نحوي، مبتسماً في ألم، وطيبة.

قال: لا شيء من ذلك حدث. ولن يحدث أبداً.

ثم أخذ نفساً عميقاً.

ودخل القطار المحترق.

روجر بيثنز الثالث

رأيتُ الآنسة تريزر هناك، في ما كان سابقاً عربة طعام، وجهها واضحٌ على خلفية ورق الجدران الأرجواني المخطط.

هانز فولن

الشاب (برستول) كان يريدني، والشابان (فيلوز) و (دلوي) كانا

يريداني. في المساء يجلسون فوق العشب حولي وفي أعينهم تلتهب الرغبة
بأقوى أشكالها.

كان ذلك شيئاً

ثم تُرسل أُمِّي (آني) في طلبي.

كنتُ أريد فعلاً أن أمسك بطفلٍ حبيب.

لعلّك يا سيّدي

لعلّك يا سيّدي تسدي لي خدمةً خدمةً عظيمة

أعلم أنّي لا أبعدو جميلة جداً.

لعلّك تحاول

لعلّك على الأقل تحاول

افعلها هنا افعلها الآن هيّا

فجّر هذا القطار من مؤخرته سيّدي

بذهابك

إن فعلتَ فقد يجرّني ذلك لا أدري لست متأكّدة

لكنني تعيسة جداً هنا منذ زمن.

إليز تريتر

قلتُ: سأحاول.

هانز فولمن

من داخل القطار جاء صوت النار المألوف المخيف دومًا، المرتبط بظاهرة التوهج الضوئي.

بدأ القطار يهتزّ، والخنازير تزعق.

ألقيتُ بنفسي على الأرض الطيبة المباركة، والتي عمّا قريب لن تكون لي.

انفجر القطار. تساقطت المقاعد، وأطراف من الخنازير، وقوائم الطعام، والأمتعة، والصحف، والمظلات، وقبعات السيدات، وأحذية الرجال، والروايات الرخيصة. كلها تساقطت كالطر.

نهضتُ على ركبتيّ، فرأيتُ أنه لم يبق في المكان الذي كان فيه القطار سوى السور الحديديّ الرهيب.

ولم يعد ما أفعله هنا، سوى الذهاب.

لكنّ أشياء من العالم كانت ما تزال حاضرةً في داخلي بقوة.

مثل: مجموعة أطفال يمشون متناقلين في عصفه ربح ديسمبرية. اثنان يتشاركان عود ثقابٍ تحت عمود إنارةٍ مائل من أثر اصطدام. ساعة متوقفة، تزورها الطيور داخل برج عال. ماء بارد من إبريق قصديري. شخص ينشّف قميصه من أمطار ما بعد يونيو.

اللائي، الأسماك، الأزهار، خيوط السجاجيد، رغوة البيرة.

أمنيات طيبة من شخصٍ ما. شخص يتذكّر أن يكتب لك. شخص يلاحظ أنّك لست مرتاحًا.

شواء أحمر على صحن. يداك على السياج وأنت تتسلل متأخرًا إلى مدرسةٍ تفوح برائحة الطباشير وحطب المدفأة.

إوزّات في الأعلى، برسيم في الأسفل، صوت أنفاسك حين تلهث.

كيف يعْبُشُ ماءُ العين حقلاً من نجوم. ذلك المكان الذي يؤمك في
كتفك من أثر الزلاجة التي كنت تحملها. كتابة اسم حبيبيك على نافذةٍ ضربها
الصقيع بإصبعٍ من خلف قفاز.

ربط الحذاء. ربط عقدة على طردٍ بريدي. ملمس الشفاه فوق شفتيك.
اليد فوق يدك. كيف ينتهي اليوم. كيف يبدأ. الشعور بأنه دائماً سيكون هناك
يوم قادم.

وداعاً. لا بدّ الآن أن أقول وداعاً لكّل ذلك.

صوت طائر الغاق ليلاً. الشدّ العضليّ في ربله الساق. حكّ الرقبة في
الصالة. رشفة الحليب في نهاية اليوم.

كلبٌ مقوّس الساقين يجرث العشب عكسيّاً بكلّ فخر، كي يغطّي خراءه.
كتلة سحب عند الوادي تنفصل على مدى ساعةٍ معمّقة بالبراندي. ستائر
نافذةٍ تميل مغبرةً تحت إصبعك وأنت تسحبها، والوقت قرب الظهيرة الآن،
وعليك أن تقرّر. لقد رأيتَ ما رأيت، وانجرحت، ويبدو أنه لم يعد لديك
سوى خيار واحد.

طاسة بورسلين ملطّخة بالدم تتأرجح مقلوبةً على أرضيةٍ من خشب.
قشرة برتقال لم يعكّر صفوها على الإطلاق نَفْسٌ أخير مُنكِرٌ هناك بين طبقة
الغبار الصيفية، وسكّين قاتلة موضوعة على الأرض في فَرعٍ عابرٍ على عمود
درازين مهترّ، تُسقطها لاحقاً (بل تُلقِي بها) أمي (العزيزة، أمي) (مقبوضة
الصدر) في نهر الهوتوماك المتدفق بطيئاً، بلونه البني كالشوكولاتة.

لا شيء من ذلك كان حقيقياً. لا شيء كان حقيقياً.

كل شيء كان حقيقياً. حقيقياً على نحوٍ لا يُدرِك، قريباً من القلب إلى أبعد
الحدود.

هذه وكل الأشياء سواها، بدأت كلا شيء، كامنةً في مرّقٍ هائلٍ من

الطاقة، لكننا بعد ذلك منحناها الأسماء، وأحببناها، وجئنا بها.

أما الآن فينبغي علينا أن نُطلقها.

أصدقائي الأعزاء، أرسل لكم هذا، قبل أن أذهب، في فورة الفكر الآنيّة هذه، من مكان يتباطأ فيه الزمان، ثم يتوقف. ونحن إنما قد نعيش أبداً في لحظة واحدة.

وداعاً، وداعاً، وداعاً—

روجر بيفتز الثالث

كنا هناك أنا و كارولين و ماثيو و رتشرد، مشبوكين ببعض في مكاننا قرب
السارية. شيئي مشتبك بفم كارولين، ومؤخرتها بشيء رتشرد، وشيء رتشرد
بمؤخرتي، وشيء كارولين بين فم ماثيو وإصبعي الوسطى.

السيد لينرد ريدي

يبدو أننا فوتنا حدثًا مثيرًا.

السيدة كارولين ريدي

إذ كنا منشغلين بإثارة خاصة بنا.

رتشرد كروتشر

غير أن صوت العديد من ظواهر التوهج الضوئي غدا مزعجًا—

السيدة كارولين ريدي

أصابتنا رخاوة، نحن الرجال.

السيد لينرد ريدي

فلم يعد بالإمكان تحقيق مزيد من الإثارة.

السيدة كارولين ريدي

رفعنا أنا ورتشرد والسيد ريدي بناطينا. وعدّلت السيدة ريدي تنورتها
وقميصها، ثم هرعنا إلى السور حيث وقعت تلك الإثارة الأخرى (الأخف).

ماثيو كروتشر

في الطريق لمحنا السيد بيقتز —

السيدة كارولين ريدي

المخنث الملعون.

رتشرد كروتشر

جائياً على ركبتيه عند السور، يتمتم لنفسه.

السيد لينرد ريدي

ثم وقع الحدث الكبير المعتاد:

وهجّج، وملابس تتساقط كالطر.

ماثيو كروتشر

ولم يعد هناك بيقتز.

رتشرد كروتشر

الصباح على وشك.

تجمّع الذين نجوا في تلك الليلة الرهيبة، تشاوروا، ثم مضوا يتفقّدون المكان، يبحثون عن ناجين آخرين.

لم نجد بيردي، ولا يوهانس، ولا كراولي.

ولم نجد بـكلر، ولا إيلا بلو، ولا فيرنا بلو، ولا أبلتن، ولا سكارى، ولا ثورن.

لم نجد مدن، ولا غونكور، ولا كُپ، ولا إدول، ولا لونغستريت.

القسّ تومس أيضًا.

حتى بيثنز وفولمن، وقد كانا من أقدمنا وأخلصنا مقامًا هنا.

كم أشفقنا عليهما. يا لهما من ساذجين. لقد أودت بهما تشدّقات صبيّ صغير. ها قد فُقدنا إلى الأبد.

أحمقان مسكينان.

لانس ديرنغ

لقد كنا هنا، أليس كذلك؟ نتحدث، ونسمع، أليس كذلك؟

بيرسفل كولير

يا لها من مذبحة.

هذا ونحن لم نفتش سوى جزء ضئيل من المكان.
لانس ديرنغ

سرعان ما حلّ الصباح بعنفوانه، وهنا جاءنا الوهن المعتاد في أجسادنا،
وما يصاحبه من شعور بالتضاؤل. فانطلقنا إلى بيوتنا، ووضعنا أنفسنا في
قَرَفٍ داخل هيئاتنا المريضة. نغمض أعيننا أو نتحاشى النظر كي لا نرى ما
أصبحت عليه تلك الأشياء المقرزة.

روبرت توستنغز

وفيما كانت الشمس تشرق، تلونا دعاءنا المعتاد.
لورنس دكروا

أن نطلّ هنا حين تشرق الشمس مرة أخرى.
السيدة أنطوانيت بوكسر

وأن نكتشف في تلك اللحظات الأولى حين نستعيد حركتنا أننا وُهبنا مرة
أخرى تلك المنحة العظيمة:

روبرت توستنغز

الوقت.

لانس ديرنغ

المزيد من الوقت.

پيرسفل كولير

كما يحدث في كل شروق، يندمج العالمان، وكل ما كان حقيقياً في عالمنا، يغدو حقيقياً في عالمهم: كل حجر، وشجر، ووادٍ، وينبوع، وبركة، ومستنقع، وبقعة ضوء أو ظلّ، تندمج. فتصبح هي نفسها بين المكانين، وليس بمستطاع أحدٍ أن يميّز بين العالم والآخر.

في تلك الليلة وقعت أحداث كثيرة جديدة، غريبة، مثيرة.

راقبنا نحن العزّاب الثلاثة ما حدث من مكان عال: آمن، منعزل، وحرّ—كما نحبّ.

أصدرتُ أوامري بأنه ينبغي علينا الآن أن نعود إلى صناديق المرضى، لندخل فيها.

في تلك التي كانت في انتظارنا، هناك.

ستانلي لپرت

أخخخ.

جين كين

لم نكن نحبّ الدخول في تلك الأشياء.

جاك فولر

أبدًا.

جين كين

لكنّ هذا هو الثمن. وعلينا أن ندفعه. نكون مستيقظين تمامًا، لكننا في
كمون، داخل تلك الأشياء المقزّة التي كانت ذات مرة تمثّلنا (بل كانتنا) نحن
(وقد أحببناها أيها حبّ)، إلى أن يحلّ الليل، فننطلق، ونكون—

ستانلي لپرت

أحرارًا.

جين كين

أحرارًا من جديد.

جاك فولر

نصبح أنفسنا، حقيقةً.

جين كين

يعودُ الخلق المبارك كلّهُ، لنا.

ستانلي لپرت

يغدو كل شيء ممكنًا، مرة أخرى.

جين كين

نحن الثلاثة لم نتزوج قط، ولم نجرب الحبّ. ولكنّ ما أن يحلّ الليل، ونجد أنفسنا ما نزال مقيمين هنا، حتى يصبح بمقدورنا أن نشطب من قاموسنا كلمة «أبدًا» —

ستانلي لپرت

فلا وجود لـ «أبدًا» إلى أن تنتهي.

جاك فولر

وقد نجد الحبّ.

جين كين

أخذتُ الآن المصباح وتوجّهت إلى قبو كارول يا نوم كي أتأكد أنّ كل شيء على ما يرام وجدتُ تابوت الصغير لينكون نافراً بعض الشيء من فتحة الجدار فدفعته إلى الداخل أوه يا للمسكين الصغير يختم ليلته الأولى من الوحدة هنا في انتظار ليالٍ كثيرة مثلها أبديةً طويلة حزينة من هذه الليالي.

لم أستطع أن أمنع نفسي من التفكير في ابني فِليب هو تقريباً في سنّ ولد الرئيس يتسابق في الباحة ويعود مشتعلًا بمرح الحياة بعد أن كان يغازل من على السور الأنستين (أيمي) و (ريا) في البيت المجاور بشعره الأشعث ويمسك في يده مكنسة في فورة روحه المرححة يضرب مؤخره السيدة ألبرت الطباخة لكنها حين تستدير لتضربه وهي تمسك حبة لفتٍ كبيرة ترى ذلك الوجه المتوهج ماذا عساها أن تفعل سوى أن تلقي بحبة اللفت في المغسلة وتمسك به من عنقه تخنقه بالقبلات فيما أنا أمّر لها خلسةً مكنستها كي تنتقم لنفسها وهو ينسلّ منتصراً بينظاله المعتاد المهترئ من أثر اللعب فتعطيه ضربة جيدة ذلك أنّ ذراعها مثل صحّين طويلين يا إلهي لا أستطيع أن أتحمّل مجرد التفكير في أنّ فِليب يقبع ساكناً في مكان كهذا وحين تبرز الفكرة في رأسي أجبر نفسي على أن أدندن بلحنٍ ما في حماسة بينما أتلو دعائي لا لا لا يا ربُّ خذ عني هذه الكأس⁽¹⁾ دعني أرحل أولاً قبل الذين أحبهم (قبل فِليب وميري وجاك الصغير وقبل الحبيبة ليدا) لكنّ هذا ليس بالأمر الحسن أيضاً لأنهم حين يبلغون نهايتهم لن أكون معهم كي أساعدهم أوه كلا الأمران لا يُحتمل

1 - دُعاء مأثور عن السيد المسيح، ويُقصد به خُذ حياتي أو عذابي، بما يعني خَلصني من هذا العذاب. (المترجم).

يا رب يا له من مأزق صديقي العزيز أودّ أن أنام أنتظر وصولك وأرجو أن
تتبخر هذه الأفكار الحزينة السقيمة قريبًا مع المنظر السعيد لصديقنا العزيز
حين يأتي مع الصباح.

(Manders, op. cit.)

مضيتُ مع الرجل، فوق حصاننا الصغير، عابرين الشوارع الهادئة، ولم أكن حزينا. لكنّه كان حزينا. لقد شعر بأنه أهمل زوجته حين انغمس في هذه الليلة. كان لديهما طفل مريض آخر في المنزل. قد يستسلم هو الآخر. ورغم أنه كان أفضل حالا اليوم، إلا أنه قد يستسلم. كل شيء ممكن. هكذا أصبح يدرك. كان قد نسي. كان قد نسي، نوعا ما، أمر الولد الآخر.

تاد، الحبيب الصغير تاد.

كان الكثير يجيش في رأس الرجل. لم يكن يودّ أن يعيش، حقيقة. لقد غدا الأمر شديد الصعوبة الآن. ثمة أشياء كثيرة ينبغي فعلها، ولم يكن يُحسن في ما يفعله، ولو أساء فعلها فسوف يتحطّم كل شيء. ربّما مع الوقت (هكذا حدّث نفسه) سوف تتحسن الأوضاع، وقد تصبح جيّدة مرة أخرى. لم يكن يصدّق ذلك فعلا. كان صعبا. صعبا عليه. صعبا عليّ. أن نكون هناك. قررتُ على أية حال أن أبقى. كان الصباح يقترب. في الوضع الطبيعي كنا نرتاح خلال النهار. كنا نُعاد إلى مساكننا ونُجبر على البقاء فيها. في تلك الليلة لم أشعر بذلك الجذب. لكنني كنتُ نعسانا. غفوتُ، وانسلتُ منه، إلى الحصان الذي كان، كما شعرتُ في تلك اللحظة، آيةً في الصبر، من رأسه حتى حافره، ويحبّ الرجل جدا. لم أكن من قبل متحمسا هكذا لأن أكون شيئا إيجابيا في العالم، ولا اشتييتُ هكذا قطّ لحافا أزرق. ثم رفعتُ نفسي، وجلستُ مستقيما، فانضمتُ إلى الرجل مرة أخرى.

هكذا مضينا في الليل، نعب البيوت النائمة في بلادنا.

تومس هافنز

عن المؤلف

جورج سوندرز (George Saunders) كاتب أميركي له تسعة كتب، من بينها العاشر من ديسمبر (Tenth of December) الذي تأهل للقائمة النهائية في الجائزة الوطنية للكتاب (National Book Award) وفاز بجائزة فوليو (Folio Prize) في دورتها الأولى كأفضل كتابٍ سرديٍّ بالإنجليزية، كما فاز بجائزة القصة (Story Prize) كأفضل مجموعة قصصية. حصل سوندرز على منحتي زمالة «ماك آرثر» وزمالة «غوغنهايم»، كما حصل على جائزة بن/مالامود (PEN/Malamud) للتميز في كتابة القصة القصيرة، وانتُخب مؤخرًا لعضوية الأكاديمية الأميركية للفنون والعلوم. هذا وقد صنّفته مجلة التايم الأميركية واحدًا من المائة شخصية الأكثر تأثيرًا في العالم عام 2013م. يدرّس سوندرز في برنامج الكتابة الإبداعية بجامعة سيراكيوز.

لينكون في البارادو جورج سوندرز

«جورج سوندرز يجعلك تشعر كما لو أنك تقرأ السرد الأدبي لأول مرة.»

خالد حُسيني

«تُحفة أدبية.»

زادي سميث

العام 1862م. تشتعلُ الحرب الأهلية في أميركا بينما يقع ابن الرئيس أبراهام لينكون طريح الفراش. وما هي إلا أيام معدودات حتى يتوفى هذا الصبي ذو الأحد عشر عامًا. تقول الصحف إن الرئيس لينكون قد هذه الأسي فعاد إلى المقبرة عدة مرات لكي يضمّ ابنه إليه قبل أن يُوارى الثرى. من هذه الحقيقة التاريخية ينسج جورج سوندرز قصةً لا تُنسى عن الحب والفقد، يتحرر بها من الواقعية إلى فضاءٍ غيبيّ مفعم بالطرافة والرعب. يجد الصبي نفسه عالقًا في نوعٍ من البرزخ يُسمى في التراث البوذي البارادو. وهكذا يستخدم سوندرز مجموعة هائلة من الأصوات، الحية والميتة، والتاريخية والمخترة، لي طرح سؤالًا أبدئيًا: كيف لنا أن نعيش ونُحب حين نعرف جيدًا أن كل ما نحبه ماضٍ إلى نهاية؟

«يذكّرنا سوندرز بأنّ التاريخ في نهاية المطاف هو الناس إذ يحكون قصصهم.»

كلير أندرسن-راموس

ISBN: 978-1-947836-16-7



9 781947 836167

